

خِصَالُ الْجُهَادِيْنَ فِي الرُّغَدَاءِ وَالْعُرْفَانِ

الْأَسْتَاذُ مَظَاهِرِي



دارُ الرُّسُوْلِ الْكَرِيْمِ

دارُ الْحِجَّةِ الْبَيْضَاءِ



خِصَالُ الْجُهَادِيْنَ
فِي
الْأَضْلَاقِ وَالْعُرْفَانِ

خِصَالُ الْجُهَادَيْنِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْعُرْفَانِ

الاستاذ مظاهري
استاذ الاخلاق والعرفان والفلسفة الإلهية

ترجمة وتحقيق
لجنة الهدى

دار المحجة البيضاء

دار مكتبته الشوكية للاكبر

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م



دار المحبة البيضاء، للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

مقدمة المترجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطاهرين سفن النجاة وأبواب الهدى لا سيما خاتمهم المنتظر .

وبعد :

الكتاب الذي نضعه بين أيدي أعزائنا القراء هو ترجمة لاثنتين وعشرين محاضرة ألقاها آية الله حسين المظاهري خلال شهر رمضان المبارك ، والأستاذ المحاضر هو أحد مجتهدى الحوزة العلمية ، وأحد كبار علماء الأخلاق وله دروس أخلاقية تربوية خاصة وعامة مستمرة ، وهو أحد المترجمين للمدرسة الأخلاقية العرفانية القائمة على أساس الوصول إلى التكامل المطلوب من خلال شمولية الالتزام المتوازن بأحكام الشريعة وآدابها كافة . بلا اعتزال نافٍ للجنبية الاجتماعية الفطرية في الإنسان ، والفاتحة لإحدى أبواب التكامل المارة عبر خدمة الخالق من خلال خدمة خلقه متخلفاً بأخلاقه عز اسمه ؛ وبلا انغماس في مظاهر الحياة الاجتماعية يُنسي التوجه إلى الحق تعالى ويُغفل الإنسان عن الحقيقة الكبرى الكامنة خلف تلك المظاهر ؛ بلا جمود على ظواهر أحكام الشريعة وآدابها يحرم الإنسان الكثير من ثمارها الإلهية ، التي تحتاج إلى تعمق في بواطنها يكشف أسرارها بما يتناسب مع درجة تكامل الإنسان واستعداده ، وبلا إفراط في استظهار البواطن يقلل أهمية الالتزام بالظواهر ويحمل الأحكام بواطن ليست منها في شيء .

ومن نفس هذا الأساس الذي تقوم عليه مدرسة العرفان التكاملية ، تنطلق هذه المحاضرات التربوية في إطارها العام وفي تفصيلاتها ووصاياها ، معبرة عن شمولية الالتزام المتوازن بالأحكام المقدسة من خلال مزج الأستاذ البارع بين مقتضيات الجهاد الأكبر « مجاهدة النفس والشيطان » ومستلزمات الجهاد الأصغر « مجاهدة أعداء الله والقيم الإلهية » وتحديد المواقف العملية الشرعية تجاه قضايا الصراع والتحرك باتجاه تحقيق الأهداف الإلهية على ضوء هذا المزج الرائع الذي تميّز به المدارس الإلهية عن غيرها ، وهو الذي يميز خيار الجهاد الإسلامي عن غيره من خيارات المواجهة ودفع الظلم والعدوان .

فالخيار الجهادي الإسلامي يمتاز بالخاصية الإلهية التي تحارب الأعداء الخارجيين مثلما تحارب الأهواء الشيطانية والنزعات الانحرافية الداخلية . وتحارب الطغيان الداخلي مثلما تحارب الطغيان الخارجي ، فتضمن بذلك حصانة تحول دون تبدل ثوريي اليوم والمدافعين عن المظلومين إلى سلطوي الغد والممارسين لمظالم أبشع : وما تريده هذه المحاضرات هو تعريف المجاهدين ومواجهي الظلم والعدوان بسبل تحصيل هذه الضمانات التي يكمن فيها الانتصار الحقيقي .

وإضافة إلى هذا الهدف الأهم تسعى هذه المحاضرات إلى تعريف المجاهدين بجانب من آداب كلا الجهادين « الأكبر والأصغر » وفق ما تقرره الشريعة المحمدية السمحاء وهي الآداب التي يضمن الالتزام بها الانتصار على كلا جبهتي هذين الجهادين والفلاح على كلا المستويين وبالتالي يضمن تحقق السعادة الحقّة في كلا الدارين . وفي طيّات كل ذلك تتحدد العديد من الخصال الحقّة لكلا الجهادين .

هذا فيما يتعلق بالإطار العام لهذه المحاضرات وأهدافها ونثبت هنا بعض الملاحظات فيما يتعلق بالترجمة :

أولاً : سعى الأستاذ - وكعاداته - أن تكون لغة المحاضرات لغة عملية توضح المفهوم الإسلامي والموقف الشرعي المطلوب من خلال مواقف عملية يومية وتعرض ذلك بلغة حوارية سهلة وهذا ما حاولنا قدر المستطاع الحفاظ عليه عبر حفظ لغة المخاطبة في هذه الترجمة والابتعاد عن اللغة الكتابية .

ثانياً : ارتكزت منهجية الأستاذ المظهري على مبدأ الربط بين الواقع العملي المعاصر وبين تجربة صدر الإسلام ووصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وهذا ما حاولنا الإضافة فيه بعض الشيء من خلال الهوامش الحافية لوصايا الرسول والأئمة عليه وعليهم الصلاة والسلام والأحاديث الشريفة المؤكدة لما ذكره الأستاذ أو المكمل له ، وهناك بعض التعليقات والتوضيحات ثبتناها في الهامش لنفس الغاية .

ثالثاً : بحكم لغة المحاضرة والصبغة العامة فيها واعتمادها المخاطبة فقد اضطر الأستاذ إلى ذكر الكثير من النصوص الشرعية بترجمتها الفارسية دون ذكر نصوصها العربية أو مصادرها ، فعمدنا إلى استخراج النصوص الشرعية الأصلية وإدخالها في المتن ، حرصاً على الحفاظ على قوة تأثير بلاغة النصوص الشرعية والأحاديث الشريفة على المُخاطَب العربي ، وهناك موارد قليلة لم نعرّض عليها رغم كثرة البحث على نصوصها الأصلية فاضطررنا إلى نقل ترجمتها وهي نادرة على كل حال .

رابعاً : ملاحظة أخيرة نرى من الضروري تثبيتها هنا وهي : أن ما يتضمّنه هذا الكتاب هو وصايا عامة تنطبق على كافة جبهات الصراع ومواجهته الظلم والعدوان حيثما كانت ، فالوصايا في حقيقتها موجهة بدرجة أو بأخرى لكل المجاهدين حيثما كانوا ومهما كانت طبيعة ومظاهر الجهاد الذي يخوضونه ، بل هي موجهة لكل عامل في سبيل الله والحياة الكريمة العادلة ، بل وكل ساع من أجل أن يحقق في نفسه الصورة الفضلى للإنسان الإلهي . . الإنسان الخليفة لله في أرضه . . الإنسان المتخلق بأخلاق الله ، وغاية الأمر أن على كل قارئ أن يسعى إلى استكشاف الصورة المثلى لتطبيق هذه الوصايا بما يناسب موقعه وطبيعة المهام التي يقوم بها ، وعلى كل حال فهناك وصايا عامة لا تفترق مصاديقها العملية بشيء بين مسلم وآخر .

وختاماً نسأل الله تعالى توفيق إخلاص النية في تقديم هذا الجهد المتواضع في ترجمة هذه الوصايا للقارئ العربي مثلما نسأله عز اسمه التوفيق للجنة في العمل بها والانتصار في كلا الجهادين وعلى كلا الجبهتين . . إنه وليّ النعم .

لجنة الهدى للترجمة

الجهاد والمجاهد

بسمه تعالى

قبل أن ندخل في بحث موضوعنا الأساسي علينا أن نعرف أن الجهاد هو مدرسة حقيقية، بل قد لا توجد مدرسة أفضل منه لخلق الإنسان وتربيته .

﴿ وما كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(١) .

الآية الكريمة تتساءل لماذا لا يتهايا من كل طائفة جمع للحرب والقتال وجمع آخر يتوجه إلى رسول الله (ص) ليتلقى العلم الإلهي منه (ص) ثم ليعلموا قومهم بعد عودتهم إليهم كي يتقي قومهم الله تعالى ويحذروا التمرّد عليه . . وهذا هو أحد التفاسير التي فسرت بها هذه الآية الكريمة ، إلا أن هناك تفسيراً آخرأ قد يكون أفضل من سابقه ، يفسر الآية على النحو التالي : أن على المجاهد في سبيل الله أن يتوجه إلى الجهاد لأنه مدرسة حقيقية يرى فيه آيات الله ويكتسب فيه صفات الكمال ثم يعود إلى قومه فيعلم الذين لم يشهدوا الجهاد ويدعوهم إلى الحق ويخوفهم الله تعالى ويدعوهم إلى التقوى .

وبناءً على التفسير الثاني للآية الشريفة ، يجب أن يصحح الأشخاص الذين ذهبوا إلى الجهاد معلّمين ، مربين لأولئك الذين لم يذهبوا إلى الجهاد ، وهذا ما يجب أن يكون حقاً .

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

« المواجهة مدرسة صنع الإنسان »

حقيقة حال الذين يذهبون إلى المواجهة هي أنهم يقومون هناك في آنٍ واحدٍ بتأدية جهادين مقدسين ، أحدهما الجهاد الأكبر ، والآخر هو الجهاد الأصغر ، أحدهما دحر العدو وهزيمته ودفع شره والآخر بناء الذات واكتساب الفضائل والأخلاق والصفات السامية .

على المجاهد بنفس الصورة التي يتحلّى بها بالصبر والصمود والثبات تجاه المصاعب عليه أن يعمق في نفسه صفات الإيثار والتضحية وينزّه نفسه عن الصفات المذمومة الواحدة تلو الأخرى . . . وبنفس الصورة والوقت الذي يدحر فيه العدو عليه أن يهزم النفس الأمارة بالسوء وينتصر عليها ، وهو بذلك يعود من الجهاد ، وهو إنسان بكل معنى الكلمة ويستحق بجدارته أن يكون معلماً ومربياً للذين لم يذهبوا إلى محال الجهاد .

وما أتعس الذي يذهب إلى الجهاد ويعود دون أن يحصل فيه أي تغيير إيجابي أي أنه لم يستفد شيئاً من هذه المدرسة العظيمة ، ولم يربّ نفسه فيها ولم يتخلّ عن الصفات المذمومة .

وإذا كانت مدرسة العرفان والروحانية تحتاج إلى عشرين أو ثلاثين عاماً لكي تربي الإنسان ليصبح إنساناً حقاً ، فإن مدرسة الجهاد تربي الإنسان في مدة خمسة أو ستة أشهر . . . وهذا ما كان يحدث في صدر الإسلام الأول ، حيث كان الأفراد يتربون في الجبهة في مدة قصيرة جداً ، في الصدر الأول للإسلام كان هناك أفراداً يفتقدون التخلّق بالأخلاق الإلهية ، بل وفيهم الكثير من الصفات المذمومة ولكن ذهابهم إلى الحرب أحدث فيهم تغييراً عجبياً ، بحيث يقف الباحث مندهلاً إزاءه يحيرُهُ تساؤلٌ عن هل من الممكن أن يتغيّر الإنسان بهذه السرعة ؟ .

بعد معركة « أحد » وعندما كان رسول الله (ص) جالساً مع جمعٍ من أصحابه في وادي الجبل قال (ص) : « من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات » ، فقام رجلٌ من الأنصار ، وذهب إلى مصارع القتلى فوجد سعداً بينهم وبه رمق فجلس عند رأسه ووضع رأسه في حجره

ففتح عينه وقال : أهذا رسول الله ، ألدك خبرٌ عن الرسول ، فقال الرجل : إن الرسول سالمٌ وهو جالس مع الأصحاب في وادي الجبل . فقال سعد : الحمد لله رب العالمين . . فقال الأنصاري : إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ فقال سعد : أنا في الأموات . فأبلغ رسول الله (ص) عني السلام وقُلْ له : إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عَنَّا خير ما جزى نبياً عن أُمَّتِهِ . وأبلغ قومك - ويقصد الأنصار قومه لأن سعد بن الربيع كان منهم أيضاً - عني السلام وقُلْ لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم أن لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم (ص) ومنكم عَيْنٌ تطرف^(٢) .

وفي معركة أحد أيضاً جلبوا إناءً من الماء لعددٍ من المجروحين كانوا يحتضرون فأعطوا الإناء لأحدهم فأبى وقال أعطوه لذك الأخ الجريح فهو أحوج إليه فذهبوا إلى الثاني فقال ما قاله الأول ، وهكذا حتى وصلوا إلى سابع جريح فما أدركوه إذ فاضت روحه إلى بارئها فرجعوا بالماء إلى الجرحى الآخرين فما أدركوهم أيضاً إذ كانوا قد استشهدوا جميعاً . . نعم الجبهة تصنع هكذا أفراداً وتخلق هكذا رجالاً^(٣) . . .

الذي يذهب إلى الجبهة ولم يربِّ نفسه فيها بهذه التربية فلن يكون أجره حتى لو استشهد كأجر من ربَّى نفسه وجاهدها في الجبهة ، فأحد الشروط الهامة للغاية بالنسبة للمجاهد في سبيل الله هو أن يهذب نفسه ويحلِّيها بالأخلاق الفاضلة ويخلِّيها عن الرذائل والصفات المذمومة .

(٢) الرواية مذكورة باختلاف يسير في سيرة ابن هشام الجزء الثاني ص ٩٤ . ينقلها المازندراني في شجرة طوبى المجلس التاسع عشر ص ٢٨٠ وفيها : « فقلت - والكلام للراوي - له : يا سعد إن رسول الله (ص) قد سئل عنك ، فرفع رأسه وانتعش كما ينتعش الفرخ - فرحاً لأنه علم أن الرسول (ص) لا زال حياً - ثم قال إن رسول الله (ص) ، لحي قلت : إي والله إنه لحي . . . ثم قال سعد : أبلغ عني قومي الأنصار السلام ، وقُلْ لهم والله ما لكم عند الله عذر أن تشك رسول الله (ص) شوكة وفيكم عين تطرف » .

(٣) نظير لهذه الحادثة ما ينقله الطبرسي الحفيد في مشكاة الأنوار ص ١٨٨ ط . النجف ، وكذلك في تفسير الدر المنثور ج ١ ص ٩٥ : « أهدي لرجلٍ من أصحاب رسول الله (ص) رأس شاة فقال إن أخي فلاناً وعتاله أحوج إلى هذا منا ، فبعث به إليهم فلم يزل يبعث واحداً إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول » .

كراراً ومراراً كان رسول الله (ص) يوصي المسلمين العائدين من الحرب والقتال بالجهاد الأكبر ، وعندما كان يُسأل عما هو الجهاد الأكبر وهل هناك جهادٌ أكبر من الذهاب إلى قلب مواقع أعداء الله ومحاربتهم ، فكان رسول الله (ص) يجيب : « نعم جهاد النفس »^(٤) ، ويعني مجاهدة النفس وأهوائها . . أي بنفس الصورة التي يجب أن تكونوا على يقظةٍ وحذرٍ تجاه عدوكم كي تنتصروا عليه . . عليكم أن تكونوا على حذرٍ ويقظةٍ تجاه النفس الأمانة بالسوء والنفس الشيطانية كي تنتصروا عليها أيضاً^(٥) .

« ثواب المجاهد والمواجهة »

قد لا يوجد في الإسلام أجرٌ أعظم من أجر المجاهد في سبيل الله وأجر من يذهب بنيةٍ مخلصيةٍ إلى المواجهة ، الرسول الأكرم (ص) كان كثيراً ما يردد هذه العبارة :

« فوق كل ذي برٍّ برٌّ - حتى يقتل في سبيل الله - فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ »^(٦) .

والله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(٤) عن السكوني عن الصادق (ع) : أن النبي (ص) بعث سريةً فلما رجعوا قال مرحباً بقومٍ قضاوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس .

(٥) وفي المجلد الثالث من ميزان الحكمة ص ١٤٢ نقلاً عن غرر الحكم عن الإمام علي (ع) قال : « جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوه وغالبها مغالبة الضدَّ ضدَّه فإن أقوى الناس من قوى على نفسه » .

وعن الإمام الكاظم (ع) أنه قال لهشام بن الحكم ضمن حديثٍ طويل : « وجاهد نفسك لتردها عن هواها فإنه واجبٌ عليك كجهاد عدوك » تحف العقول ص ٣٩٩ .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن الصادق (ع) قال : « واجعل نفسك عدوًّا تتجاهده ، وجاهد هواك كما تتجاهد عدوك » ج ٤ ص ٢٩٤ .

وعنه (ع) في نفس المصدر : « أشجع الناس من غلب هواه » ص ٢٨٢ .

(٦) يرويه الحر العاملي في الوسائل ج ١١ ص ١٠ .

بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٧﴾

الآية الكريمة تُرشدُ المؤمنين إلى تجارة ، تنجي من العذاب الأليم . . . هذه التجارة هي بين العبد والمولى جلا وعلا ، المشتري فيها هو الله تعالى والبائع هو العبد ، الله يهب المغفرة والجنة وجنات عدن وفي المقابل يشتري أموالكم وأنفسكم .

من القرآن الكريم ومن روايات الأئمة الطاهرين (ع) يُستفاد أن لأهل الجنة درجات متعددة يوم القيامة ، أي أن هناك درجات متعددة وجنات متعددة احداها جنة العموم ، وأهلها يتنعمون فيها بالقصور والأطعمة والأشربة المختلفة والحدود العينية . . . وغير ذلك . . . أهل هذه الجنة هم في نعيم ودعة ورفاه كامل وخاص من مختلف الجهات واللذائذ المادية والمعنوية . . . ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم فيها صحبة طيبة

وفوق هذه الجنة هناك جنة أخرى وهي جنة عدن حيث القصور الضخمة والمسكن الطيبة ، وهناك أيضاً ما هو أعلى من جنة عدن وأفضل منها ، هناك أيضاً رضوان الله . . . وهذه درجات لا تتحمل عقول أمثالنا فهمها ولا تقدر على إدراكها . . . فلا نعرف ما هي جنات عدن وما هو رضوان الله ، وعلى أي حال فإن الروايات تذكر بصورة عامة أن العبد يصل إلى الدرجة والمقام الذي يصله فيه النداء من رب العزة أن يا عبدي رضييت عنك^(٨) وهذه النسبة للإنسان لذة ما بعدها لذة . . . ولكن مع ذلك هناك ما هو أعظم وأعلى درجة من هذه الجنات . . . هناك جنة المجاهد ومكانها « عند الله » فالشهداء عند الله . . . بل أحياء عند ربهم يُرزقون . . .

الشيخ الكبير الحر العاملي عليه الرحمة أورد في الباب الأول من

(٧) سورة الصف ، الآيات ١٠ - ١١ .

(٨) لنستمع معاً إلى هذه الآية الكريمة ونتأمل بقلوبنا حرارة وروعة الخطاب الإلهي : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة . . . ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي ﴾ [سورة الفجر ، الآيات ٢٧ - ٣٠] .

المجلد ١١ من كتابه الوسائل - الكثير من الأحاديث التي تتحدث عن المجاهد ، ومنها تعرف عظمة الثواب والأجر الجزيل الذي أعدّ للجهاد في سبيل الله . . . والذي وُعد به المقاتل المسلم . . . وهذا الأجر لا يختص فقط بمن يقتل في المواجهة بل إنه يشمل كل من يفكر بخدمة ومساندة الإسلام ويتنصر لله تعالى بروحه وبماله وأولاده . . . وكل من يقوم بذلك يصدق عليه وصف المجاهد ، القتل في سبيل الله تعالى ليس أمراً هاماً جداً ، المهم هو نصرة دين الله . . .

وهنا نذكر على سبيل المثال والاستشهاد حديثين من كتاب الوسائل لنعرف منهما أي أجر وثواب للمجاهد وللحضور والمرابطة في ساحة المواجهة .

الرسول الأكرم (ص) يقول : « من خرج في سبيل الله مجاهداً ، فله بكل خطوة سبع مائة ألف حسنة ، ويُمحى عنه سبعمائة ألف سيئة ، ويرفع له سبعمائة ألف درجة ، وكان في ضمان الله بأي حتف مات كان شهيداً ، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه »^(٩) . ونلاحظ على الحديث إشارته إلى أن مسألة الذهاب إلى ساحة الجهاد لا تعني القتل وحسب . . بل إن المجاهد هو في عين الله وضمانه سواء استشهد أم لا .

الحديث الثاني ورد عن الإمام زين العابدين (ع) وهو ينقله عن الرسول الأعظم (ص) أيضاً وهو « للشهيد سبع خصال من الله . . . » .
أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب .

والثانية يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان له مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما . . .

والثالثة يُكسى من كسوة الجنة . . .

والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه .

(٩) الوسائل ج ١١ ، ص ١٢ .

والخامسة أن يرى منزله - في الجنة - .

والسادسة يُقال لروحه : اسرح في الجنة حيث شئت - فيختار جوار الله - .

والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنها لراحة لكل نبي وشهيد^(١٠) .

ويصل الشهيد بذلك إلى لقاء الله والفناء بالله . . . واللذة العظمى هنا هي أن الله تعالى ينظر إليه أيضاً . . . وهذه هي اللذة والنعيم . . . لذّة وصول ولقاء العاشق بمعشوقه وتلطف واهتمام المعشوق بعاشقه .

وورد في رواية أخرى أنه وعندما ينزل أهل الجنة في منازلهم ، يُذهلون من رؤية « وجه الله » ، حتى أن الحور العين تظل سبعة عشر عاماً في حيرة من أمرهم بحيث يضطرون إلى أن يشكين الله تبارك وتعالى أن لا خبر من هؤلاء ولا يلتفتون إلينا فيجيب الله تبارك وتعالى الحور العين بأن هؤلاء عشاق غارقون في عالم الوحدة .

وهناك الكثير من الروايات الأخرى التي تتحدث عن ثواب المجاهد ومنها يعرف - كما قلنا سابقاً - بأن أعظم الأجر والثواب والجزاء الحسن هو من نصيب المجاهد في سبيل الله تعالى . . .

المجاهد عند المواجهة يصل إلى المقام والدرجة التي يتحوّل معها ليصبح مظهراً لجمال وجلال الله تعالى . . . المجاهدون . . . يضحّون بكل ما لديهم في سبيل الله . . . وحلاوة المراقبة في المواجهة والخندق التي يحسّون بها ويتذوّقونها . . . هذه الحلاوة لا يعرف طعمها غيرهم ولا يعرف حلاوة لقاء العاشق بمعشوقه سواهم . . . المجاهدون هكذا حالهم . . . في الليل يهجرون المضاجع ويشغلون بأنفسهم الوحيد المناجاة مع بارئهم ومحبوبهم^(١١) .

(١٠) الوسائل ج ١١ ، ص ٩ - ١٠ .

(١١) في كتاب الخصال لشيخ المحدثين الصدوق ص ٥٠ عن الإمام السجاد (ع) قال : « . . وما من قطرتين أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين ، قطرة دمٍ في سبيل الله وقطرة دمعة في سواد الليل لا يُريدُ بها عبدٌ إلا الله عزّ وجلّ » .

نعم . . . المواجهة تصنع وتخلق هكذا رجالاً ، وعندما يعود المجاهد من المواجهة ، يعود زاهداً بكل معنى الكلمة . . . أي يعود متحرراً من جميع قيود الهوى والشهوات ، يعود حرّاً من النفس الأمارّة بالسوء بحيث يصبح حاكماً ومسيطرّاً على جميع أعضائه وجوارحه .

نعم . . . المواجهة هي المدرسة الحقيقية ، وهي جوار الله والمحل الذي يستطيع العبد فيه أن ينظر إلى وجه الله تعالى .

« شروط الجهاد وصفات المجاهد »

كان الحديث الماضي عن الجهاد بصورة عامة والأجر المترتب عليه وعرفنا أن النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة تطلق وصف المجاهد على الذي يُربط في جبهة الصراع مع الباطل سواء استشهد أم لا ، وعلى كل حال فإن للمجاهد أجراً عظيماً وجزاءً حسناً عند الله تعالى . . .

وبالطبع لا يوجد ثوابٌ وأجرٌ أعظم من أجر الجهاد في سبيل الله تعالى لولا أجر مجاهدة النفس ، وهو أيضاً أحدُ مصاديق الجهاد بالمعنى الأعم .

﴿ . . . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً ﴾^(١٢) . ونجد في الروايات أن الأئمة (ع) عندما يريدون تصوير عظمة وأهمية عملٍ ما فإنهم يشبّهون هذا العمل وأجره بالجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى .

الله تعالى أعدّ كرامة وفضلاً وأجراً عظيماً للمسلم الذي يخاطر بحياته في ميادين الحرب مع أعداء الله ولا يبخل بشيء من أجل نصرته الله ، ويضحي بكل ما لديه من مالٍ وروحٍ ووجودٍ في سبيل الله تعالى واضعاً روحه على كفه يقدمها في سبيل الله ، وشخص كهذا من الطبيعي أن يحظى بأفضلية كبرى .

وللجهاد والمجاهد شروط يتوقّف على تحقّقها تحقق الصداق الواقعي لهذين المفهومين أي بتحقيق تلك الشروط يصبح الصراع مع الأعداء جهاداً

(١٢) سورة النساء ، الآيتان ٩٥ - ٩٦ .

حقيقياً ويصبح العامل مجاهداً بحق . . . وبتحقيق تلك الشروط أيضاً يعتبر من يُقتل في ميدان المعركة شهيداً .

« شروط الجهاد والمجاهد »

الشرط الأول : هو أن يركز الجهاد وعمل المجاهد على أساس ديني . . . وأن تُعتبر الجبهة والجهاد مدرسةً للتربية . . لذلك يجب أن تكون المعركة بالنسبة للمجاهد مدرسةً لبناء الذات بحيث يعود المجاهد منها وقد تغير فعلاً وأصبح من الربانيين ومن الجديرين بأن يصبح مربياً ومعلماً للآخرين . . . وإذا لم يكن الحال هكذا فلن يحصد المجاهدون يوم القيامة سوى الحسرة والندم . . لأن نساءم الرحمة الإلهية مرت عليهم في الدنيا ولم يستفيدوا منها .

في حين أن المسلم الذي يخوض في المعركة جهاديين عنيين (جهاد العدو الخارجي وجهاد النفس) ، يتضاعف أجره وثوابه ، بل وأكثر من ذلك . . هكذا شخص إذا قُتل فله أجر الشهيد وإن لم يقتل فله أجر وثواب المجاهد في سبيل الله أي أن يحظى برحمة ومغفرة الحق تعالى ، وأعظم أجر المجاهد وثوابه يأتي من مجاهدة النفس وتنقيتها من الصفات المذمومة . . والمجاهد بهذا النوع من الجهاد (جهاد النفس) يشق طريقه إلى جنات عدن ويصل إلى رضوان الله وجوار الله ويكون مصداقاً لقول تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، أَرْجعي إلى رَبِّكَ راضيةً مرضيةً ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي ﴾ (١٣) .

والآن وبالتوكل على الله تعالى نشرع في بيان الصفات التي يجب على المجاهد التحلي بها أو التي يجب أن يكتبها خلال جهاده في معارك النور . . .

الصبر (١٤) :

وهي الصفة الحميدة الضرورية للجميع خصوصاً للإخوة الأعزاء

(١٣) سورة الفجر ، الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(١٤) وفي عظيم فضلها خاصة بالنسبة للمجاهد ما رواه الثوري في مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥ =

المرابطين في ساحات المواجهة. اجتياز اللحظات الحرجة والمصيرية في ميادين المعركة لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن المجاهد صابراً بكل ما للصبر من معنى .

المواجهة والحرب ، الانتصار والهزيمة ، الجوع والعطش ، البرد والحر ، الدفاع والهجوم ، التراجع والتقدم وغيرها . . . كل هذه مواقف حساسة وحرجة تستلزم الصبر ، والمجاهدون حقاً هم الذين يستعينون بالصبر في هذه المواقف الحرجة وعليهم أن يدعوا الآخرين للتحلي بالصبر أيضاً لاجتياز تلك المصاعب .

إن المعارك التي يفرضها على الإسلام الجناة والمعتدون وقوى الكفر . . . تعتبر بناءً مفيدة جداً بالنسبة لنا على الرغم من أنها حملت ولا زالت تحمل معها خسائر جسيمة غير قابلة للتعويض . . . وبسببها يواجه أعزتنا في ساحة المواجهة العديد من المشاكل الصعبة من الحر اللاذع والبرد القارص . . . إن أي حرب ورغم مشاكلها وخسائرها الجمة فإنها بناءً مفيدة لنا^(١٥) .

إذا تأملنا قليلاً وقارنا بين وضع مجاهديننا حالياً في المواجهات ووضع جند الإسلام خلال الصدر الأول للإسلام . . . نستنتج بوضوح أن وضع مجاهديننا حالياً يُعتبر أفضل والله الحمد من ناحية أمور الرفاهية . . . فمسلمو صدر الإسلام كانوا يذهبون إلى القتال حفاةً وتتعرض أرجلهم العادية للكثير من الجروح والأذى بسبب ذلك ، وكانت مؤونتهم في بعض المعارك لا تتعدى التمرة الواحدة .

= عن الرسول (ص) أنه قال : « إن صبر المسلم في بعض الجهاد يوماً واحداً خير له من أربعين سنة » .

وفي كنز العمال للمتقي الهندي عن الرسول (ص) : « حرس ليلة في سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها ويُصام نهارها » .

وفي سورة القصص الآية ٥٤ ، يقول عز من قائل : ﴿ أولئك يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ . وكذلك في سورة الأنعام الآية ٣٤ .

(١٥) في غرر الحكم للأمدى عن أمير المؤمنين (ع) قال : « ربّ حرب أعوذ من سلم » .

نعم في عصر الإسلام الأول، عانى جندُ الرسول الأعظم (ص) الكثير من المصاعب والمشاكل والجوع والعطش والأذى .

ولكن يبقى الحال هو أن الحرب تحمل معها عادةً المتاعب والمصاعب وتحدث فيه بعض النقائص . . . والذي يسدّ كل نقص ويتغلب على كل المصاعب والمتاعب هو صبر وإيمان المجاهدين والمقاتلين ، فالصبر والإيمان والرضا بقضاء الله تعالى هو الذي يبعث فيهم القدرة على المقاومة والصمود .

إن الصبر والصمود تجاه الظروف الصعبة هو الذي يدحر في الواقع شياطين الإنس والجن . . . وهو الذي يوصل المجاهد إلى هدفه الأسمى . . . إلى لقاءه بمحبوبه والحياة عنده وتحت ظله .

وما أسرع ما تفضل الشياطين الإنسانَ وتدفعه إلى أسفل سافلين إذا لم يكن يتحلّى بالصبر .

حديثٌ بسيطٌ في غير موقعه عن المواجهة ، التملل وإضعاف معنويات الآخرين . . . سوء الظن وعدم الصبر تجاه بعض الصعوبات المؤقتة . . . هذه الأمور تسلب الإرادة من الإنسان وتبعث فيه اليأس وتؤدي به إلى سوء العاقبة في حين أن استمرار النشاط والحيوية والتضحية وحفظ الإيمان والعقيدة مرهون بصبر جند الإسلام المجاهدين وبصبر الشعب المسلم .

علماء الأخلاق يجمعون على اعتبار صفة الصبر كأساس لبناء جميع الفضائل في الإنسان ، فإذا فقد الصبر عجز عن اكتساب أيّ من الفضائل والصفات الحسنة الأخرى ، ولهذا السبب بالذات أولى القرآن الكريم الصبر أهميةً كبيرةً وأشار إليه وإلى متعلقاته في أكثر من مئة مورد ، وهنا يجدر التذكير بأن الله تعالى أعدَّ أجراً عظيماً جداً للصابر والصامد تجاه الظروف الصعبة إذا كان ذلك من أجل تثبيت كلمة « لا إله إلا الله » .

والصبر تجاه المصاعب والمشاكل في المواجهة هو الذي يربّي الإنسان ويركّز فيه صفات الكمال ، والمشاكل والمصاعب والنقائص التي تبدو في الظاهر بلاءً هي في الحقيقة نعماً حقيقيةً بالنسبة للرجل الرباني الذي يستعين

بالصبر في مواجهتها وهذه النعم يجب استثمارها بقدر المستطاع من أجل البناء الذاتي .

﴿ فإما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني ، كلاً . . . ﴾ (١٦) .

القرآن الكريم يتحدث عن موقف الإنسان من الابتلاء والامتحان الإلهي فيذكر موقف من يعتبر نزول النعم الإلهية عليه إكراماً له ورحمة ولطفاً في حين أنه يعتبر بعض الصعوبات التي يمر بها من محدودية الرزق وغير ذلك إهانة له ودليلاً على عدم حبّ الله تعالى له وعدم رحمته به ، والقرآن الكريم يرفض كلا الموقفين ويحدّد أن كلا الأمرين « سواء إعطاء النعم أو إنزال المصائب » هما من أجل اختبار الإنسان وابتلاءه (١٧) .

القرآن الكريم يحدد بوضوح أن الهدف من خلق الإنسان هو العبادة أي توفير الفرصة لعبادة الله تعالى والتكامل من خلال ذلك ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١٨) .

والابتلاء بالمصاعب هو طريق تحقق هذا الهدف فمن خلاله يُعرف صدق العبادة يقول تعالى في كتابه المجيد : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (١٩) .

إذن فالله تعالى يقول إنا نمتحنكم بالحرب والمصاعب والجوع والحاجة

(١٦) سورة الفجر ، الآيات ١٥ - ١٧ .

(١٧) لاحظ تكرار لفظة « ابتلاء » في بداية الحديث عن كلا الموقفين في الآية . وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي توضح وتفصّل المفهوم القرآني الذي تطرحه الآية الكريمة نذكر منها للاستشهاد ما يلي :

عن الإمام علي (ع) قال : « إنّ الله أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً ، وابتلى قوماً بالمصائب فصبّروا فصارت عليهم نعمة » نهج البلاغة باب الحكم تحت رقم ١٨ .

(١٨) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(١٩) سورة البقرة ، الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

لتمحيص إيمانكم . . . ونختبركم بأخذ الأرجل والأيدي وغير ذلك . . . لذلك فلا يظن الذين فقدوا أرجلهم أو أيديهم وغيرها في المواجهة أنهم لم يحصلوا على شيء ولم يصلوا إلى هدفهم لأنهم لم يستشهدوا . . . كلا فهم أعلى مرتبة من الشهداء . . . والمعلول من الحرب له أجر وثواب على كل لحظة تمر من عمره شريطة أن لا ينفذ صبره بل يستعين بالصبر ويواصل حياته بمعنوية عالية ويواصل جهاده بحسب قدرته شاكراً الله تعالى على كل حال « وأي فضل أعلى من هذا » (٢٠) .

الشاعر مولوي نظم في ثنائياته قصة ورد مضمونها في الروايات المنقولة عن بحار الأنوار ، وملخص القصة هي : أن شخصاً كان يواظب على أداء صلواته اليومية جماعة في المسجد ويعود إلى البيت . . . مرة لاقاه رجل كان متوجهاً بشوق ، إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة فاستفسر منه : هل انتهت الصلاة ؟ فأجابه نعم ، فتغير حال السائل أسفاً وتأثراً لأنه لم يدرك صلاة الجماعة . . . فلما رآه الرجل الأول بهذه الحالة من التأثر والأسف قال له : إني على استعداد لأن أهبك أجر ذهابي إلى المسجد وصلاتي جماعة وعبادتي مقابل أن تعطيني ثواب حالة التأثر والأسف التي تعيشها الآن لأنك لم تدرك صلاة الجماعة .

نعم قد يكتب للإنسان أجر المراقبة عاماً كاملاً في مواجهة الأعداء بسبب عيشه لحالة التأثر والأسف الصادق لعدم تمكنه من الذهاب إلى المواجهة . . . والمحصل هو أن المعلولين والجرحى يُعتبرون من الأفراد الذين يستطيعون أن يبنوا ذواتهم ويربّوها بصورة جيدة .

المنطق القرآني يؤكد أن للمجاهد الذي يصبر على المشاكل والصعوبات في الجهاد ميزتين هما : أن صبره هذا هو في الحقيقة عبادة يستحق عليها

(٢٠) عن الإمام (ع) قال : « من ابتلي ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد » نهج البلاغة باب الحكم .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إن في الجنة لمنزلة لا يبلغها عبد إلا ببلاء في جسده » .

الأجر^(٢١) . وثانياً إن الله تعالى يبشره بأنه من زمرة ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾^(٢٢) . . . فالمجاهد الصابر فضلاً عن شموله برحمة الله تعالى وصلواته عليه يدخل في زمرة المهتدين وهذا هو الأمر الأهم . . . إذ أن الهداية على عدة أقسام هي :

١ - الهداية التكوينية : وتشمل كل الوجود وهي هداية الخلق فطرياً إلى ما رُسم له وعن هذه الهداية يتحدث القرآن الكريم من خلال الحوار بين موسى وفرعون . . . فعندما استفسر فرعون من موسى وهارون : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾^(٢٣) . . . فأجابه موسى (ع) : ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾^(٢٤) . . . فالهداية المقصودة في الآية هي الهداية التكوينية بمعنى أن الله تعالى هو الذي يخلق الخلق وهو الذي يحدد له طريقة حياته فمثلاً هو الذي يهدي النحل إلى طريقة صنع خلاياه وكيفية امتصاص رحيق الأزهار ووضع العسل . . . والله سبحانه هو الذي يعلم الطفل ويهديه إلى كيفية رضاعة حليب أمه . . . هذه هي نماذج للهداية التكوينية .

٢ - الهداية التشريعية : وتعني هداية البشر إلى منهج تنظيم حياتهم ويقوم بمهمة هذا التبيين الأنبياء والقرآن والأئمة والعلماء ورجال الدين فهم الذين يبلغون رسالات الله وهدايتهم للناس هداية تشريعية أي توضيح الأحكام والشرائع لهم وتبيان ما يصلحهم عما يفسدهم وقد ذكر القرآن الكريم هذا النوع من الهداية في العديد من المواقع نذكر منها :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾^(٢٥) .

(٢١) في مستدرك الوسائل للشيخ النوري ، أن رجلاً أتى جبلاً ليعبد فيه الله فجاء به أهله إلى رسول الله (ص) فنهاه عن ذلك وقال : « إن صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة » المستدرك ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٧ .

(٢٣) سورة طه ، الآية ٤٩ .

(٢٤) سورة طه ، الآية ٥٠ .

(٢٥) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢٦) .

٣ - هداية الإيصال للغاية « الهداية الخاصة » : وهي هداية خاصة بطائفة معينة من الناس هم المتّقون وقد ورد ذكرها أيضاً في القرآن الكريم ، وفيها يأخذ الحق تعالى بيد العبد ويوصله إلى هدفه إذ يشمل الله تعالى عبده المتّقى برعاية خاصة ومستمرة ، والهداية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧) هي من هذا النوع .

« أداء التكليف الشرعي أهم من الانتصار » :

آيها المجاهدون . . . اصبروا في مواطن الجهاد وتواصوا بالصبر . . . وادعوا الآخرين إلى التمسك بالصبر والاستعانة به . . . لا تتزلزلوا ولا تهنوا تجاه الهزائم الظاهرية « نحن لم نتفرض من أجل أن نتصر أو نهزم . . . بل من أجل أداء واجبنا الشرعي . . . المسألة مسألة أداء التكليف الشرعي » (٢٨) . انتفض رجل لوحده . . . وما كانت انتفاضته من أجل الانتصار أساساً . . . بل من أجل أداء الواجب الإلهي . . . وكلّما كان البعض ينصحونه كما يدعون بترك الثورة كان يرفض ما يقولون ويردّ بأن لديّ تكليفاً شرعياً عليّ أن أؤديه ، فإذا تمكنت من الوصول إلى ثمرته فخيرٌ على خير . . . وإذا لم أصل ولم أحقق شيئاً فقد عملت بواجبي الشرعي على كل حال .

هذه القاعدة تنطبق أيضاً على المواجهة فالمهم فيها أيضاً هو أداء الواجب الشرعي الإلهي . . . وحسنٌ جداً إذا فهم البلاد ، أما إذا حققتم فتحاً كبيراً ولكن لم يكن هذا الفتح بنية أداء التكليف الشرعي ، فاعلموا أن هذا الإنجاز ليس له أية قيمة عند الله ، بل على العكس أن جزاءه هو النار والعذاب .

الطيار الذي يعرض روحه وطيارته للخطر من أجل الحفاظ على أرواح الأبرياء ومواجهة المعتدين يكون لعمله هذا قيمة إذا كان بنية أداء التكليف

(٢٦) سورة الدهر ، الآية ٣ .

(٢٧) سورة البقرة ، الآية ٢ .

(٢٨) من كلام للإمام الخميني (س) .

الإلهي وهذا هو الفخر الذي سيكتب بأحرفٍ من نور في تاريخ البشرية . أما الفتح الكبير فلن يكون فخراً بل وصمة عار ما لم يكن أداءً للتكليف الشرعي .

وإذا كان الرأي الشخصي لأحد المجاهدين يتعارض مع أوامر القيادة فعليه أن يضحي بالتنازل عن رأيه وقناعاته حرصاً على مصلحة الإسلام الذي يأمر باتباع القيادة ، قتل العدو أمرٌ مهمٌ أو صعبٌ ، العمل الصعب والمهم هو تحمل الرأي المخالف للقناعة الشخصية والتنازل عن الرأي الشخصي حرصاً على مصلحة الإسلام .

اصبروا وصابروا وليكن لديكم صدرٌ واسعٌ بحيث تلتزمون - الهدوء وتعملون - لله سبحانه وتعالى . . . وتصبرون حتى لو أساء البعض ممن تحت إمرتكم القول فيكم ، فضلاً عن لو اعترض عليكم .

عندما يقع في أيديكم أسيرٌ من قوات العدو . . . فعليكم أن تطعموه وإذا طلب السكائر منكم أعطوه وإذا كان ظمأناً أرووا ظمأه حتى لو كان قبل لحظاتٍ يُطلق نيرانه عليكم ويقتل بعضاً منكم . . . يجب أن تشملوه بعطفكم ورعايتكم فهذا هو منطق الإسلام ونهج تعامله .

ففي أثناء فاجعة كربلاء . . . كان مروان بن الحكم والياً على المدينة وقد شن آنذاك حملة شرسةً على محبي أهل البيت (ع) وأساء إليهم كثيراً . . . فقد هدم دور بني هاشم وحول بعض ضياع الإمام السجاد (ع) إلى خرابات ، ومعروفة إساءات مروان وعداؤه لأهل البيت (ع) . وبعد أن انتهت واقعة الطف وعاد الإمام زين العابدين (ع) إلى المدينة . . . وامتداداً لثورة الطف انتفض أهل المدينة ضد الأمويين . . . وهاجم أهل المدينة مقر حاكم المدينة ومنازل الأمويين وأرادوا هدم منزل مروان واعتقاله . . . وهنا فكر مروان إلى أين يلجأ وعند من يضمن حسن التعامل . . . وتوصل إلى أن لا ملجأ له غير الإمام السجاد ، ورغم كل جرائمه بحق أهل البيت والإمام السجاد توجه ليلاً إلى منزل الإمام ، فكان ما توقع ؛ إذ أحسن الإمام (ع) استقباله وأدخله داره وواساه وشمله بعطفه وحسن رعايته وأخذه في الليلة التالية وبمعية عائلته - عائلة

مروان - إلى بستان له (ع) وهياً لهم كل ما يحتاجون وكان (ع) يجلب الغذاء لهم يومياً بنفسه (٢٩) .

نحن أيضاً علينا أن نفتدي بإماننا السجاد (ع) ونهتدي في تعاملنا مع الناس بهديه وتعامله .

أيها المجاهدون الأعزاء في ساحات المواجهة . . . اصبروا تجاه المصاعب والمحن كي تستقبلكم الملائكة بالسلام والصلوات عليكم وكي تصلوا إلى الدرجة التي يأتاكم معها الخطاب الإلهي : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (٣٠) .

« طاعة القيادة »

من الشروط الأخرى التي يجب أن يلتزم بها المجاهد في سبيل الله تعالى أينما كان « في المواجهة أو أي من المؤسسات الثورية » هي طاعة القيادة والمسؤولين .

وهذا الأمر ضروري إذا نظرنا إليه من وجهة حفظ النظام وشروط ديمومته وهو واجب شرعي أعلنه الإسلام من الواجبات الشرعية ، وقد أوضحته الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة بما فيه الكفاية وبجلاء ، كما أن العقل يحكم بضرورته وبوجوب طاعة المسؤولين والقيادة في النظام الإسلامي . فالله تعالى يقول في كتابه المجيد :

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (٣١) وأولي الأمر كما

(٢٩) الرواية ذكرها ابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٥١ : « . . . وقد كان مروان بن الحكم كلف ابن عمر ، لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية ، كلفه في أن يغيب أهله - أهل مروان - عنده » عند ابن عمر ، فلم يفعل ، فكلم مروان علي بن الحسين وقال إن لي رحماً - وحرم تكون مع حرمك فقال (ع) : افعل ، فبعث مروان امرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه إلى علي بن الحسين ، فخرج علي (ع) بحرمه وحرم مروان إلى ينبع .

(٣٠) سورة الفجر ، الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٣١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

هو ثابت بالأدلة العقلية والنقلية المذكورة في الكتب المعنية بالبحوث العقائدية . . . أولي الأمر هم الأئمة المعصومون (ع) (٣٢) .

إن التمرد على القيادة الشرعية وعدم طاعتها تدلُّ في الواقع على عبادة الإنسان لنفسه وتعصبه لذاته ، وفي علم الأخلاق يذكر أن أحد طرق بناء الإنسان لذاته هو أن ينمي الإنسان في نفسه روح التسليم تجاه الحق سبحانه وتعالى والتمحور حوله تعالى « للقيادة والمسؤولين المنتخبين من قبل الولي الفقيه ، الصبغة القانونية الشرعية ومتابعتهم وطاعتهم أمرٌ ضروريٌّ وواجب » .

الاصطدام بدون مبررٍ مع الآخرين ، الانتقادات غير الصحيحة ، تسقيط القادة والمسؤولين ، إثارة الشائعات ، وتوجيه الاتهامات والعياذ بالله ، اتهام وطعن وغيبة القائد وأمثال ذلك ، كلها تعتبر ذنباً عظيماً وانحرافاتٍ من وجهة نظر الشرع الإسلامي الحنيف .

إن أول عمل ركّزه الإسلام في بداية ظهوره كان انتخاب المسؤول والرئيس للنظام والمؤسسات والهيكل . . . وقد نُفذ هذا الأمر على يد الرسول الأعظم (ص) والرسول الأكرم (ص) ففكر بمستقبل أمّته بعده وأعلن أن الأئمة المعصومين (ع) هم القادة بعده ، وكما أن الله تعالى أمر بطاعة الرسول (ص) والأئمة الطاهرين (ع) واعتبر طاعتهم طاعته وطاعته تعالى طاعتهم ، أي أن حكم النبي (ص) وحكم أي من الأئمة (ع) يُعتبر عين حكم الله .

وعندما يأمر الله تعالى بإطاعة الرسول والأئمة (ع) فأمره يعني وجوب متابعتهم بصورةٍ كاملة ، ويعني أن الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة كما هو مرهون بطاعة الله عز وجل مرهونٌ بطاعة الرسول والأئمة (ع) أيضاً .

رسول الله (ص) عيّن الأئمة الأطهار (ع) قادةً لأمّته بعد وفاته ، كما أن

(٣٢) يُراجع في هذا الموضوع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين وهو كتاب قيمٌ للغاية في هذا الباب ، ويُراجع أيضاً كتاب الألفين للعلامة الحلي والغدير للأميني وغير ذلك هناك الكثير من الكتب والدراسات التي تُثبت هذا الأمر ، والولي الفقيه العادل الجامع للشروط الشرعية هو امتدادٌ لقيادة الأئمة الشرعية كما هو ثابت في محله من الكتب المختصة بهذا المجال .

الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر (عج) عيّناً نائباً عنه وقائداً للأمة في غيبته ، واستناداً على الحديث الوارد عن الإمام الصادق أيضاً يحدد الشرع الإسلامي أن على الفرد المسلم الذي لا يتمكن من الوصول إلى الإمام المعصوم ، عليه أن يرجع إلى الولي الفقيه وتجب عليه طاعته .

واعتماداً على ما تقدم فإن عدم إطاعة الولي الفقيه تعني الاستخفاف الصريح بحكم الله سبحانه ، أي أن الراد على الولي الفقيه رادٌّ على حكم الأئمة والراد على حكم الأئمة رادٌّ على حكم رسول الله (ص) وبالتالي رادٌّ على الله تعالى وهذا هو حدُّ الكفر . . . والخلاصة فإن الموقف الشرعي للفرد المسلم هو التسليم لأوامر الولي الفقيه دون نقاش ودون كيف ولماذا .

ومما يجدرُ الانتباه إليه هنا هو وجوب طاعة القادة والمسؤولين المعيّنين من قبل الولي الفقيه أو وكيله المطلق . . . أو القادة ، فهؤلاء القادة تجب طاعتهم ما داموا مؤيدين من قبل الولي الفقيه ، ووجوب هذه الطاعة متفرعٌ من وجوب طاعة الرسول الأعظم (ص) وامتدادٌ لها ، لذا فالذي يعصي أوامر قائده عمداً يُعتبر عصيانه بمثابة حدِّ الكفر والمحصل أن التمرد على القيادة يُعتبر تجرأً على الله تعالى .

ومجريات التاريخ تدلُّ بوضوحٍ على أن الكثير من الهزائم والويلات التي مُنيَ بها المسلمون كانت بسبب عصيان أوامر القيادة الإسلامية وهذا ما تدعمه وتؤيده النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة . أنتم تعرفون جميعاً ما جرى في معركة أحد وهزيمتها وملابساتها فالهزيمة في هذه المعركة واستشهاد عددٍ من المسلمين ما كان إلا بسبب عصيان أوامر القيادة . فالانحراف عن القيادة وتجاوز أوامرها كان سبباً لتلقي المسلمين ضربة قاسيةً في هذه المعركة . . . ففيها كُسرت أسنان وجبهة الرسول الأكرم (ص) ، وفيها استشهد سيد الشهداء حمزة هذا العم العظيم للرسول (ص) وفيها وفيها وقع ما وقع . . .

بعد انتهاء هذه المعركة سُئل النبي (ص) عن سرِّ الهزيمة فأجاب (ص) : « لأنهم نسوا الله للحظة . . . نعم قد يؤدي عدم الإصغاء لأوامر القائد ، إلى هزيمة الإسلام » .

في معركة أحد نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تحَسُنَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٣) .

« شروط النصر الإلهي » :

من المسلم به صدق وعد الله تعالى بنصرة المسلمين فهو تعالى صادق الوعد ولكن تحقق هذا الوعد وتحقق النصر يستلزم توفر شروط عدة وهي :

١ - أن لا يجد التعب وضعف الإرادة والتهادن طريقاً إلى أنفسكم في مواطن الجهاد ، وعليكم أيها الإخوة المجاهدون أن تتمسكوا بالصبر والثبات تجاه المواقف الحساسة .

٢ - يجب أن تسود روح الاتحاد والأخوة والوئام بينكم .

٣ - والأهم من كل ما تقدم هو أن يتوفر شرط إطاعة القادة والمسؤولين وقد تقدم تأكيد القرآن الكريم على أن جيش الإسلام إذا لم يتابع قاداته سيهزم ويتلاشى .

« أثر التفرقة في هدم المعنويات »

هناك بحث آخر هام هو أنكم تعرفون جيداً أن جميع الانتصارات التي حققها الإسلام والتي سيحققها في المستقبل إن شاء الله ، جميعها أتت بفضل المعنويات العالية المستمدة من الله تعالى وبفضل التوكل عليه تعالى ورعايته ،

(٣٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ . وفي التفسير المبين للشيخ مغنية تعليقاً على هذه الآية : « ولقد صدقكم الله وعده - ينصر المسلمين بلسان نبيه أن ينصرهم على المشركين في وقعة أحد بشرط أن لا يعصوا للنبي أمراً - إذ تحسونهم بإذنه - إذ تقتلون المشركين في بداية المعركة ، - حتى إذا فشلتكم - ضعفتكم وجبتكم - وتنازعتكم في الأمر - أمر النبي الرماة يوم أحد أن يثبتوا في مكانهم - فوق الجبل - ولا يتركوه فوق وقع النزاع فيما بينهم ، فامتلأ بعضهم أمر الرسول وعصى آخرون - وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون - من هزيمة المشركين وما تركوا ورائهم من غنائم - منكم من يريد الدنيا - الرماة الذين أدخلوا أماكنهم للعدو طمعاً في الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة - وهم الرماة الذين ثبتوا في مكانهم وقتلوا ولم يعصوا الرسول .

إلا أن الرعاية الإلهية هذه سترفع عن هذه الأمة إذا دب الخلاف والفرقة والنزاع بين القادة والأفراد ، وستدهور معنوياتهم وفي هذه الحالة ستكون الهزيمة نصيبهم .

وهنا يجب التذكير بأن ما تقدم حول وجوب طاعة القادة والمسؤولين لا يعني أن أيًا من أفراد القيادة والمسؤولين لا يُحتمل فيه أن يخطئ أصلاً كما لا يعني حتمية وجود الانسجام الكامل بينه وبين الآخرين . . . كلا بل إن احتمال الخطأ ، وفقدان الانسجام الكامل موجوداً على كل حال ، ولكن رغم ذلك تبقى طاعة القادة والمسؤولين واجبةً وضروريةً لأنها في الحقيقة ضمانه حفظ النظام الإسلامي وديمومته .

ولا شك بأن المفترض بالقائد والمسؤول أن يحرص على الالتزام بمبادئ وأخلاق القيادة والمسؤولية في الإسلام ، وأن يحرص على احترام وجهات نظر الآخرين ورعاية حقوقهم وكذلك أن يحرص على التعامل بالحسنى والشفقة والرحمة مع من تحت إمرته وأن يؤثرهم على نفسه كي يكون بذلك قدوةً ومربياً ومعلماً بعمله .

وإذا حدث لا سمح الله أن أحد القادة أو المسؤولين لم يلتزم بهذه المبادئ والأخلاق بصورة كاملة ، فعلى أي حال يبقى التكليف قائماً على من تحت إمرته بأن يلتزموا بواجبهم الشرعي « طاعة القائد أو المسؤول » ؛ ففي المواجهة والمعسكرات وأي محل آخر للعمل تجب طاعة المسؤول وتبقى ضرورية حتى لو كانت للقائد بعض الأخطاء .

وإذا أمر القائد العام بأمرٍ أو قضى بحكم ، فموقفنا لا يقتصر فقط على طاعته ظاهراً وحسب ، بل يجب علينا أن نسلم لأمره وحكمه بكل قلوبنا وأرواحنا ، لا أن نقول إذا لم ينسجم حكم وأمر الولي الفقيه أو وكيله وممثله رأبي وطرار تفكيرني فلست مجبوراً على قبوله ، أو أن نقول مثلاً اني ألترم بأوامر الولي الفقيه أو وكيله ولكن رأبي شيء آخر (٣٤) .

(٣٤) في الكافي المجلد الاول باب التسليم وفضل المسلمين عن عبد الله الكاهلي عن الإمام =

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٣٥) .

الآية الكريمة تتعلق بالرسول الأعظم (ص) ، لكن عندما نؤمن النظر في النظام نجد أن الحكم لا زال جارياً وقائماً ، أي أن هذا الموقف الذي تحدده الآية الكريمة ينطبق أيضاً على أوامر الإمام أيضاً وكذلك على أمر من يعينه ممثلاً عنه وهذا هو الحال الذي ينطبق على النظام الإسلامي بصورة شاملة فالحكم حكم واحد ، حرمة العصيان والتمرد ووجوب الطاعة .

عندما كان رسول الله (ص) يعين شاباً صغيراً كقائد لجيش الإسلام ، كان كبار السن والجهلة يعترضون على ذلك ويقولون لماذا لا نكون نحن القادة ؟! للرسول (ص) كان يسكتهم ويأمرهم بطاعة القائد الشاب .

النبي الأكرم (ص) هياً قبل وفاته جيشاً للحرب (٣٦) ، وعين قائداً للجيش هو أسامة بن زيد ، وكان شاباً ، بعض المسلمين تخلفوا عن جيش أسامة وتمردوا عليه وعندما وصل خبر ذلك إلى الرسول (ص) قال جملة يجدر بالمجاهدين جميعاً أن يصغوا إليها جيداً ويجعلوها دائماً نصب أعينهم . . .

= الصادق (ع) قال : لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنع الله أو صنع رسول الله (ص) - القائد - : الآ صنع خلاف الذي صنع ؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون . . . ويسلموا تسليماً ﴾ ثم قال أبو عبد الله (ع) عليكم بالتسليم . . . وفي الرواية إشارة واضحة وصريحة لما ذكره الشيخ الأستاذ .

وفي الباب نفسه من الكافي عن الصادق (ع) أيضاً قال : من سره أن يستكمل الإيمان كله فليقل : القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد - القيادة - فيما أسروا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني ، الحديث السادس .

وكذلك في الباب نفسه الحديث الأول عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع) والحديث يرويه سدير قال : قلت لأبي جعفر (ع) : إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض - قال سدير - فقال (ع) : وما أنت وذاك ، إنما كلف الناس ثلاثة : معرفة الأئمة - القيادة الشرعية - والتسليم لهم فيما ورد عليهم والرد إليهم فيما اختلفوا فيه .

(٣٥) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

(٣٦) لحرب الروم .

الجملة هي : « من تخلف عن جيش أسامة فعليه لعنة الله . . . » (٣٧) .

ومن الطبيعي أن يُعزل القائد والمسؤول الذي لا يمتلك الكفاءة العملية اللازمة للمسؤولية المكلف بها ، ولكن ما دام مسؤولاً في منصبه فتجب طاعته على كل حال .

في نظام الجمهورية الإسلامية حيث الحرية بكامل معناها موجودة ، ففي إزاء هذه الحرية يُعتبر الاستغلال السيء لها وإهانة وتسقيط القادة والمسؤولين من كبائر الذنوب .

في الصدر الأول للإسلام كان حب المسلمين لقادتهم وأتباعهم لهم أمراً عجبياً حقاً ، لنستمع معاً إلى حادثة وقعت في الصدر الأول للإسلام لتتعرف منها على مستوى وطبيعة علاقة المسلمين بقادتهم .

في أثناء المسير إلى معركة تبوك تأخر الصحابي العظيم أبوذر الغفاري عليه الرحمة ثلاثة أيام عن ركب رسول الله وذلك بسبب ضعف وهزالة جمل أبي ذر فلحق بالرسول بعد ثلاثة أيام وبعد أن ترك جملة في بعض الطريق إذ وقف به فلما وصل إلى قرب الركب نظر المسلمون إليه من بعد ولم يعرفوه أولاً فأخبروا الرسول (ص) فقال (ص) : « كُنْ أبا ذر » ، فقالوا : هو أبوذر . فقال (ص) : « أدركوه بالماء فإنه عطشان » ، فأدركوه بالماء - بعد أن كان قد أغمي عليه من العطش - ووافى أبوذر رسول الله (ص) ومعه أدواة فيها ماء فقال رسول الله (ص) : « يا أبا ذر معك ماء وعطشت » ؟ فقال : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فإذا عذبٌ باردٌ فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله . . . الحديث (٣٨) .

والخلاصة فالواجب هو أن تسود روح التسليم للقيادة بين أفراد القوات الإسلامية ، فهذه الروح بناءً مفيدة للإسلام وهي التي تخلق الإنسان . . . أتى

(٣٧) تفاصيل ذلك في السيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٤ .

(٣٨) الحديث ينقله علي بن إبراهيم القمي في تفسيره المشهور وهو من أقدم التفاسير الروائية عند الشيعة ص ٢٩٤ من ج ١ في تفسير سورة التوبة .

شخصٌ إلى الإمام الصادق (ع) وقال له : إني مسلمٌ لأمرِك تسليماً كاملاً ولو شطرت رمانة شطرين وقلت هذا حلالٌ أكلُهُ ، وهذا حرام لقلتُ صدقت يا ابن رسول الله .

نعم فحفظ وحماية النظام الإسلامي « وهو أوجب الواجبات » يتوقف على طاعة القيادة ، أما التمرد على القيادة والتمحور في الجيش وغيره فممنشأها من الأفكار والأحزاب المنحرفة .

« الرفق والرحمة »

الرفق والرحمة من الصفات الهامة التي يُشترط بل ويجب توفرها في المجاهدين في سبيل الله وخصوصاً في جبهات القتال . والجميع يأنس ويرتاح لهاتين الصفتين حتى أولئك الذين ليس في قلوبهم أي شيء من الرفق والرحمة . . . الرفق والرحمة هاتان الكلمتان المقدستان والمفعمتان بالنور والعاطفة الجياشة ، يركز عليها عالم الوجود ، ولولا أن الله تعالى خلق الرحمة في الإنسان وجعلها من غرائزه الفطرية ، لما كان هناك أب أو أم على استعداد للتضحية والبذل من أجل أبنائهم ، وكلُّ هذه الجرائم التي تُرتكب في عالمنا المعاصر « في الشرق والغرب » الذي يُسمّى بالعالم المتحضر . . . تأتي بسبب انعدام الرحمة والعاطفة . . . وكل هذه المصائب والويلات التي تهيمن على العالم اليوم يرجع سببها إلى فقدان حكم الرحمة على البشرية .

وكلما انتزعت الرحمة من قلب الإنسان فمن الطبيعي أن تحلَّ محلها القسوة وغلظة الطبع وهذه من أسوأ الصفات المذمومة ، وعندها يذهب عقل الإنسان ويُطبع على سماع الإنسان وبصره ونطقه .

انعدام الرحمة هو الذي يُوصل الإنسان إلى الحال التي يثدُّ فيها بناتيه ، ويقصف منازل الأبرياء العزل بصواريخ وأسلحة أخرى .

النبي الأكرم (ص) يقول : « من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم » . . . فالذي لا يرحم الناس لا يستحق أن يرحمه الله تعالى (٣٩) .

(٣٩) في بحار الأنوار ج ٧ ص ١٦٨ عن الرسول (ص) قال : الراحمون يرحمهم الرحمن يوم =

والخلاصةُ فأنحطاط البشرية يأتي من فقدان الرحمة .

وصفةُ الرحمة هذه تمتاز بأهميةٍ أكبر بالنسبة للمجاهدين إذ أن طبيعة عملهم وهي القتال تجعلهم على تماسٍ مستمرٍ بالقتلى والجرحى والتدمير ، لذلك فما لم ينتبهوا إلى أنفسهم ويولّوا أمر تركيز صفة الرحمة والتراحم فيهم فإن القسوة والغلظة ستسيطر على قلوبهم .

في هذا المجال يحدّد لنا القرآن الكريم منهجاً واضحاً يجب على كافة الأخوة المجاهدين أن يضعوه نصب أعينهم بل وعلى الجميع أيضاً .

﴿ محمدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشدّاءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم ﴾ (٤٠) .

أنصارُ محمد (ص) . . . إذا هاجموا أعداء الله هجموا بعنفٍ وقوة وغلظة ويقاومونهم بقوة وشدة . حتّى يُقال أن لا رحمةً ولا عطف في قلوبهم ، يهجمون بعنفٍ ويشقّون صفوف أعدائهم بقوة ويتقدمون .

لكن لأنصارَ محمد (ص) وجودٌ مفعّم بالرفق والرحمة إذا نظرنا إلى تعاملهم فيما بينهم ، أنصارُ محمد (ص) يتعاملون مع أعداء الله في غاية الشدّة والغلظة ولا تأخذهم رافة ، لكن أنصار محمد (ص) في نفس الوقت يتعاملون فيما بينهم في غاية الرفق والتراحم . . . أمير المؤمنين علي (ع) كان المصدق الكامل لأنصار محمد (ص) .

= القيامة ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء .
وهناك حديثٌ آخرٌ عن الإمام الباقر (ع) يوضح الأثر الأخروي للرفق والرحمة فيقول عليه السلام : « إن الله عزّ وجلّ رفيقٌ يحبّ الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف » أصول الكافي ج ٢ ص ١١٩ .
وما أبلغ الإمام علي عليه السلام حين يتحدث عن الرفق والرحمة بعباد الله وأهميتهما فيقول عليه السلام : « ارحم من دونك يرحمك من فوقك ، وقس سهوه بسهولة ومعصيته لك بمعصيتك لربك وفقره إلى رحمتك بفقركَ إلى رحمة ربك » (عن غرر الحكم) .
وعن الباقر عليه السلام أيضاً قال : « من قُسم له الرفق قُسم له الإيمان » أصول الكافي ج ٢ ص ١١٩ .

(٤٠) سورة الفتح ، الآية ٣٩ .

« وصف ابن أبي الحديد للإمام علي (ع) »

ابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين (ع) فيقول :

«... كان أمير المؤمنين (ع) ذا أخلاقٍ متضادة ، فمنها ما قد ذكره الرضي رحمه الله وهو موضع التعجب لأن الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفكك وتمرد ، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلب وحوار طبع وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له عليه السلام .

أمير المؤمنين (ع) كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم وأزهدهم وأبعد الناس عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله وأشدّهم اجتهاداً في العبادة وآداباً لنفسه في المعاملة ، وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأكثرهم بشراً وأوفاهم بشاشة» (٤١) .

في الأعم الأغلب تفتقد المرأة للشجاعة بسبب غلبة العاطفة عليها ، والشجعان يكونون عادةً بلا عواطف وهذا هو النقص ، أما أتباع علي (ع) والمقتدون به فحالهم يختلف... فهم في قمة الشجاعة والجرأة والإقدام عندما يواجهون العدو ، وهم فيما بينهم في قمة التراحم والتعاطف .

« وصايا الرسول الأكرم لجند الإسلام »

عندما كان جند الإسلام يتوجهون إلى ميادين الحرب كان رسول الله (ص) يخطب بهم ويوضح لهم آداب الحرب في الإسلام ويقول : «أغزوا بسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تغلوا» (٤٢) ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة ولا متبتلاً في شاهر ، ولا

(٤١) المجلد الأول من شرح النهج ص ١٦ - ١٧ طبعة صيدا وقد نقلنا منه أكثر مما نقله الشيخ الأستاذ توضيحاً للمطلب أولاً وبلاغة الوصف وتكاملياً ثانياً .

(٤٢) من الغل أي تقييد الأسرى بالأغلال .

تحرقوا النخل ولا تفرقوه بالماء . . ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعاً . لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم ما لا يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد المشركين فهو جارٌ حتى يسمع كلام الله ، فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله . . . » (٤٣) .

يجب عليكم أن تعاملوا الأسرى بالحسنى . . بل وبأفضل وجه من المعاملة ارووا ظماً ظمأهم ، أشبعوا جائعهم . . . بل وأحسنوا حتى إلى المحكوم بالإعدام وأطعموه (٤٤) .

« التراحم والتعاطف فيما بينكم »

والأهم من الرحمة بأفراد العدو هو التراحم والتعاطف فيما بينكم ، يجب أن يسود التراحم والتعاطف بين أفراد الجيش ، وبالعكس ، ويتأكد هذا الأمر في ساحة المواجهة بصورة خاصة .

لا معنى لأن يتمتع أحد بالإمكانات والرفاهية دون الآخر ، وفي ساحة المواجهة لا معنى لهذا التمايز أصلاً ، وإذا حدث لا سمح الله هكذا تمايز ، فإن هذه الجبهة لن تبقى جبهة الإسلام ، الجبهة التي ينأى فيها أفراد جائعون حين يتمتع آخرون بوضع مرفه ، هذه الجبهة ليست جبهة إسلامية ؛ فالتمايز في الغذاء والملبس والإمكانات يؤدي إلى تدمير العلاقات الأخوية والتراحم ، وجبهة فيها شيء من هذا القبيل لا تستحق أن يتجلى فيها نور الله تعالى (٤٥) .

روح الأخوة والرفقة والتراحم يجب أن تكون هي السائدة والمسيطرة في

(٤٣) هذه الرصايا مأخوذة من عدة أحاديث أوردها الحر العاملي في مجلد الجهاد من كتاب الوسائل ص ٤٣ - ٤٥ وفيه عن أمير المؤمنين (ع) قال : نهى رسول الله (ص) أن يلقي السم في بلاد المشركين .

(٤٤) هذا المقطع لم يرد ضمن وصايا الرسول (ص) إلى المقاتلين ولكنه ورد في وصايا وأحاديث أخرى للرسول الأعظم (ص) والأئمة الطاهرين .

(٤٥) في أصول الكافي ج ٢ ص ٦٦٨ عن الباقر (ع) : « ما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ، ينظر الله إليهم يوم القيامة » .

الجبهة ، فمن لا يُرَحِّمَ لا يُرَحِّمَ ، يجب على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها .

المجاهد في سبيل الله إذا كان طالباً لجوار الله ويُريد حقاً أن يكون المصدق الحقيقي لوصف المجاهد فعليه أن يعمق في نفسه الرحمة والرفق بالآخرين .

« نموذج بارز لـ (الأشداء على الكفار الرحماء بينهم) » :

انتبهوا الآن إلى هذه القصة ليتضح معنى التراحم بين الأخوة ، الزرقاء الهمدانية امرأة مجاهدة من الصدر الأول للإسلام . . وهي التي كانت تُرجع الفارين من جيش الإسلام في معركة صفين ، تُرجعهم إلى القتال بخطاباتها النارية وتدفعهم نحو الهجوم على معاوية وجنده حتى انتصروا ، الزرقاء الهمدانية كانت امرأة شجاعة للغاية وفي نفس الوقت كانت رحيمة ورؤوفة .

بعد استشهاد الإمام علي (ع) تسلط معاوية على رقاب المسلمين بصورة كاملة وفي عصر حكمه عانى المسلمون كثيراً من الظلم والمآسي . . . فخرب ولأته وجلاوزته المدن والقرى ونهبوا أموال المؤمنين من محبي آل بيت الرسول (ص) وأمعنوا فيهم أسراً وظلماً وتقتيلاً وتعريضاً لأعراضهم .

جمع من هؤلاء الجلاوزة أغاروا يوماً على البادية التي يقيم بها رهط الزرقاء الهمدانية فقتلوا الرجال ونهبوا الأنعام وتركوا النساء وسط البادية دون حماية وذهبوا ، فعزمت هذه المرأة على انتزاع حقها وحقوق رهطها فتوجهت مشياً على الأقدام من الكوفة إلى الشام التي كانت عاصمة الظلم والجور والإرهاب والإعدام التي تميز الحكم الأموي ، ورغم ذلك ذهبت امرأة من محبي علي عليه السلام إلى الشام وهي تريد أن تنتزع حقها ويا للعجب!! فهذه حقيقة مصداق بارز للأشداء على الكفار .

عندما أرادت دخول قصر معاوية منعها الجند فرفعت صوتها صراخاً وعويلاً إلى الحد الذي أسمعت به معاوية وهو داخل قصره ، فسأل عن الأمر ، فأخبروه أن امرأة من الكوفة جاءت تطلب حقها فأمر بإدخالها .

الزرقاء الهمدانية دخلت القصر ، وقالت ما كان يجب أن تقوله بشجاعة أمام معاوية من كلمات الحق دون خوف أو وجل فسألها معاوية عن سرّ انفعالها ، فأجابته موضحة بجرأة وصراحة ما فعله جلاوزته ، فأجابها معاوية محاولاً استرضائها إن الأمر ليس مهماً ، ووعدّها بأنّه سيأمر بأن يُعطى لها قطيعاً من الأغنام . فردّت عليه مقبّحةً قوله وتوهمه أنها إنما جاءت من الكوفة إلى الشام من أجل الحصول على حقّها فقط وعنفته مصرحةً أنها إنما جاءت لترفع الظلم عن الأراامل والأيتام ، وليس لكي تحصل على قطيع من الأغنام فتشبع هي فيما جيرانها يباتون جوعى .

معاوية أحس أن هذه المرأة بصراحتها وشجاعتها تبدو وكأنه يعرفها فسألها من أنت ؟ فعرفته نفسها . فتذكر أنها هي نفسها تلك الباسلة التي كانت في جيش علي في معركة صفين تحرّض أصحابه على قتال معاوية وتنهاهم عن الفرار والتراجع ، فأخبرها معاوية أنه بحث كثيراً عنها لينتقم منها فإذا هي تأتيه بأقدامها . فأمر بإعدامها فأجابته مذكرة إياه بقيم الرجولة وإنكار العرب لقتل النساء والضيوف فأصر على ما رامه من فعلة شنيعة وأخذها الجلاّد فضجّت الزرقاء صارخة : « يا مغيث المظلومين أغثني » ، فأمر معاوية بإعادتها ، فسألها من الذي تعنين ، فأجابته بحادثة روتها له ليعرف من تعني ، الحادثة تقول إن الإمام علياً (ع) كان يؤذّن في مسجد الكوفة فسمع صوت امرأة تقول يا مغيث المظلومين أغثني ، فارتعدت فرائصه ، ولم يعد يقوى على الوقوف ، هذا الشجاع الكرّار في ميادين القتال ، وانهالت دموعه وضجّ بالبكاء ودعا الله تعالى أن لا تأخذ علياً بظلم ظالم ، فهو لم يرسل والياً ليظلم أحداً ، فطلب عليه السّلام تلك المرأة وسألها عن ظلامتها ورفع عنها الحيف وطلب منها أن تغفو عنه لما وقع عليها من ظلم . نعم عليّ (ع) كان قائداً بمعنى الكلمة والزرقاء كانت مسلمة حقاً ، فعليّ عندما كان يقاتل يظن من يراه أن لا رحمة في قلبه ولا رافة فلا يقوى أحدٌ على مقاومته ولكن هذا المقدام الباسل نفسه تراه في مواقع أخرى غاية في الرحمة والرأفة تصل حدّ الأمر بمدارة عبد الرحمن بن ملجم أشقى الأولين والآخرين هذا الذي أوقع تلك الضربة الموجعة بسيفه المسموم على الهامة المباركة لمولى الموحدين ، فعندما أُلقي القبض عليه بعد فعلته وسجن ،

جاءوا للإمام علي (ع) بلبين فأمر عليه السلام ابنه الحسن (ع) ، بأن يأخذ مقداراً منه ليسقيه إلى ابن ملجم ويأمر برعايته ثم يستدعيه ويسأله برحمة وعطف عن سبب فعلته بعد كل الإحسان الذي سبق منه عليه السلام إلى هذا اللعين . . . نعم هكذا كان عليّ وهكذا يكون مصداق الإنسان الكامل والمصداق الأكمل للمجاهد في سبيل الله .

« ساحة المواجهة نعمة »

رغم أن لساحة المواجهة والحرب مشاكل وتلازمها الصعاب ، ولكن اعلّموا أنها رغم ذلك نعمة عظيمة ، فهي مدرسة سامية لخلق الإنسان ، والخندق محلّ تجلّي نور الله ، بل ولعله أكثر قدسية من المسجد يقول الإمام علي عليه السلام : (المؤمن أعظم حرمة من الكعبة ، المؤمن أعظم حرمة من الملك المقرب) .

فالمؤمن أعظم حرمة من الكعبة ، وخندق المؤمن أيضاً أعظم حرمة من الكعبة ، ساحة القتال ليست كالمسجد الحرام ، بل أعظم ففيها نور الله مشرق ومتجلّي (محلّ تجلّي العشق) ، ففيها وفي الخنادق نجد يد رعاية ولي الله الأعظم إمام العصر (ع) ، نعم فساحة الجهاد نعمة عظيمة حقاً .

على المقاتلين في ساحة المواجهة (وهي مدرسة صنع الإنسان) ، أن يربّوا أنفسهم بالصورة التي يكونون معها مربّين ومعلمين للآخرين عندما يرجعون / المجاهد يجب أن يكون بالمستوى الذي يغطه الآخرون على وجهه الملائكي / ويكفي المجاهد أن إمامنا العظيم يقول : أغبطكم على صوركم الملائكية ولكن أيّ مجاهد يعنيه / ، أذلك القاسي الغليظ القلب الذي لا وجود للرحمة والعطف والشفقة في قلبه ، هكذا شخص ما كان أبداً جندياً للرسول الأعظم (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) .

« الإخوة والاتحاد في ميادين الجهاد »

القسم الأول

الشرع الإسلامي يُؤلي أهمية كبرى للإخوة والوحدة . . ويؤكد أن روح الإخوة والوحدة إذا لم تُسَدَّ في ميادين الجهاد وإذا لم تتعاونوا فتيقنوا أنكم ستُهزمون وكما تقدم مفصلاً فيما سبق ، فإن تحقق الوعد الإلهي مشروط بثلاثة شروط أحدها عدم وقوع الفرقة والاختلاف والنزاع في ساحة المواجهة ، أي أن من الواجب أن تسود الإخوة والاتحاد والتعاون الكامل في أجواء ساحة الجهاد ، بين العسكريين . . . وما دام هذا الشرط غير متوفر فإن النصر الإلهي لن يتحقق أيضاً .

الآية ١٥٢ من سورة آل عمران تدل بوضوح على وجوب أن يكون أفراد القوات الإسلامية أخوة متحدين ومتعاونين سواء كانوا في المواجهة أو غيرها وإذا وجد هناك اختلاف في الطبائع والآراء فيجب التغاضي عنه حفظاً للإسلام ونظامه .

« النزاع والفرقة واثارهما »

إن اليوم الذي يقع فيه النزاع بين القوات الإسلامية لا سمح الله هذا اليوم هو يوم عزاء الإسلام والمسلمين .

تجارب التاريخ تؤكد أن أفضل السبل لإسقاط الحكومات وإزالة النظام هو إثارة الفرقة والنزاع ، إذا استطاع العدو أن ييث الفرقة والنزاع بين صفوف المجاهدين ويقتل روح الأخوة بينهم . . . لكان بذلك قد حقق هدفه في تدمير

الجبهة التي تواجهه . . . وهذا هو شعار ومنهج عمل الاستعمار الإنجليزي الذي تلخصه العبارة المشهورة : « فرّق تسد » .

«إثارة الفرقة عمل المفسدين والمستكبرين» :

القرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْكَرِينَ ﴾ (٤٦) .

فرعونُ هذا المستكبر الذي علا في أرض مصر وتسلط عليها ، مهّد لذلك بيبث الفرقة بين أهلها وعندما نجح في تحقيق ذلك أصبح أهل مصر ضعفاء وأذلاء فكان يقتل أبناءهم - كي لا يظهر موسى - وكان يهتك أعراض نساءهم هذا هو فرعون المفسد .

الآية الكريمة . . . تُدل بوضوح - عند تطبيقها على الوضع في الحال الحاضر - تُدل على أن الفرقة والنزاع إذا وقعت لا سمح الله بين المجاهدين وفُقدت بينهم روح الأخوة والاتحاد ، إذ ذاك سيتمكن الكفار وبسهولة من تحقيق أهدافهم المشؤومة . وذلك اليوم هو يوم عزائنا ويوم سرور وفرح الكفار « حاشا وكلّا أن يأتي علينا يومٌ كهذا » .

« العذاب الإلهي . . . من السماء والأرض . . . النزاع والفرقة » :

القرآن الكريم يقول في موضع آخر موضعاً الآثار السيئة للفرقة والنزاع . . . ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ . . . ﴾ (٤٧) .

الآية الكريمة تقرن العذاب الإلهي الآتي من السماء والأرض بالعذاب الناجم من تفرقكم ونزاعكم ، وتجعلهما بمستوى واحد وتعتبرهما كلاهما من العذاب الأليم . . .

الصواريخ المدمرة تقصف محلةً واحدةً أو منطقةً واحدةً فتقتل وتجرح

(٤٧) سورة الأنعام ، الآية ٦٥ .

(٤٦) سورة القصص ، الآية ٤ .

٥٠٠ من المدنيين مثلاً وتدمر بعض المنازل والمحال التجارية والمستشفيات أما إذا وقع الاختلاف والفرقة والنزاع بين المجاهدين فإن جبهة الإسلام هي التي ستُدمر ، الفرقة والنزاع هي الصاروخ الذي يتوجه خطره إلى عقل وقلب الثورة ... هي الصاروخ الذي يستهدف الإسلام في الصميم .

إذن المنطق القرآني يؤكد أن النزاع في ميادين الجهاد بين قوات الإسلام يُوصل الحال إلى شفا النار واستحقاق العذاب الإلهي .

« لا معنى للنزاع بين المجاهدين في ساحة المواجهة » :

العياذ بالله من أن تنتقل بعض الاختلافات التي قد توجد أحياناً في المدن إلى الجبهات ... فذاك يوم العزاء .

نداء الإسلام مدوّي أن ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ... ﴾ (٤٨) .

كونوا جميعاً إخوة متّحدين متآسين خصوصاً في ميادين الجهاد .. إذا وجدت الاختلافات في الآراء أحياناً فتغاضوا عنها ولا تطرحوها ولا تجعلوا لها محلاً في قلوبكم ... اعتصموا بالعروة الوثقى ... بحبل الله المتين اجعلوا روح الأخوة هي المهمة في محال عملكم وفي ساحة المواجهة وأن يكون لسان حالكم قول ذلك العارف العاشق الذي يقول .. من أنا .. ليلي .. ومن ليلي : أنا كلانا روحٌ واحدةٌ في جسدين

ساحة الصراع يجب أن تكون هكذا .. فلان من؟ .. وفلان .. من ، جميعاً شيء واحد .. مجموعةٌ ووجودٌ واحدٌ بأسماء مختلفة ..

﴿ يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ﴾ (٤٩) .

الآية الكريمة تُوضّح أن الهدف من إيجاد الشعوب والقبائل المختلفة هو التعارف لا أن يفتخر بعضهم على بعض ويسخر بعضهم من بعض ... فالكرامة عند الله تعالى مرهونةٌ بالتقوى .

(٤٩) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٤٨) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

إذا قال الرجل : إني من حرس الحدود أو من الجيش . . . من أجل التعارف فلا إشكال في ذلك ، ولكن إذا كان ذلك لا سمح الله من أجل التباهي والتفاخر ، فذلك اليوم سيكون يوم عزاء لميدان الجهاد والمتفافرين .

« تذكروا الماضي واعتبروا » :

تذكروا زمن الطاغوت . . . حيث كنا شيعاً متفرقين يعادي بعضنا البعض أما الآن ، فقد أَلَّفَ الله تعالى بين قلوبنا وأصبحنا بنعمته إخواناً ، هذه الألفة والأخوة من أوجدها بين قلوبكم . . القرآن يجيب على هذا التساؤل فيقول : ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠) .

ويقول تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٥١) .

تذكروا الاختلافات والنزاعات المؤلمة والخيانة التي كان يُثيرها المنافقون بينكم . . تذكروا من كان يُثير الشائعات ويتآمر عليكم .

القرآن الكريم يُذكر ويحذر ويؤكد أن لا تنسوا تجارب الماضي وتذكروا النزاعات والفرقة في الماضي وأثارها السيئة عليكم ويدعوكم إلى الاعتبار منها .

« المجاهد وساحة الجهاد يجب أن لا يُقحما في معمة اختلاف

الآراء » :

وحتى لو فرضنا أن نزاعاً في الرأي وقع بين إمام جمعة إحدى المناطق وبين المحافظ أو القائمقام ، أو بين إمام جمعة يقيادة عسكرية . . بين مجموعة من المجاهدين . . . فما علاقة هذه النزاعات في الرأي بالقوات المسلحة؟! .

(٥٠) سورة الأنفال ، الآيتان ٦٢ - ٦٣ .

(٥١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

المجاهد زهرة مزهرية الثورة وفخر الإسلام ، إذا وقع نزاعٌ بين اثنين من علماء الدين أو بين شخصيتين ما ، فما علاقة ذلك بالمجاهد؟! . . بل ولماذا يمتد خلافٌ كهذا إلى المجاهدين أصلاً؟! المجاهدون ليسوا حزباً ولا منظمةً سياسية كي يُقدّم تحليلاً سياسياً للأحداث والقضايا ، أية خلافاتٍ في الآراء بين شخصين يجب أن تبقى دائماً بعيدةً كل البعد عن المجاهدين .

المجاهد هو الشخص المهيمن على القلوب . . وهو مظهر الروح الإلهية وساحة الجهاد هي المحل الذي يتجلى فيه نورُ الله تعالى . . ساحة الصراع هي المحل الذي حتى النساء العجائز يتحسرن لعدم قدرتهن على الذهاب إليها . . ساحة الصراع هي محل الأخوة والاتحاد . . فما علاقة نزاعات الرأي واختلافات الأفكار بهما ؟ .

« الوحدة إحدى أعمدة الإسلام »

رسول الله (ص) يقول : « بُني الإسلامُ على كلمتين ، كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة » . . . الحديث يُوضح أن للإسلام عمادين لولاهما لما كان ، العماد الأول هو التوحيد . . . ويعني التوجه إلى الله تعالى وحده في كل حال وفي الظاهر والباطن . . .

العماد الثاني هو الوحدة بين المسلمين ، وانطلاقاً مما يُقرره هذا الحديث الشريف ، فإن الأساس الثابت الذي يُبنى عليه الإسلام والثورة الإسلامية هو التوحيد والتوجه إلى الله تعالى وحده والوحدة بين صفوف الأمة الإسلامية .

فليس مسلماً إذن من يُوحّد الله تعالى بلسانه ولكنه يوجه ضرباته إلى وحدة المسلمين . . . وليس مسلماً أيضاً من يردد شعار الوحدة لكنه لا يتوجه في أعماله إلى الله سبحانه وتعالى وحده .

« الفرقة صفةُ أهل النار » :

النزاع والفرقة هما درب جهنم وصفة أهلها ، التكفير المتبادل وإطلاق شعارات العداة ، الغيبة ، عدم الاحترام المتبادل . . . هذه من أعمال أهل

النار ، فأرواح الربانيين متحدة ومتألّفة . . . أرواح الكلاب والأسود والذئاب متنافرة متفرقة . « الإمام الخميني يقول : إذا اجتمع الأنبياء جميعاً في مكان واحد لما اختلفوا » .

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المجيد في وصف أهل النار : ﴿ . . . كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا ، حَتَّى إِذَا رُكُّوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ ، رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتْنَهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ (٥٢) .

فكل أمة من تلك المجموعات تُلقِي تبعّة المصير إلى جهنم علي الأخرى ، والأخرى تقول عكس ما تقوله الأولى وهكذا . . . فأهل النار أهل جدالٍ ونزاعٍ وفرقة وهم الذين يُثيرون النزاع والفرقة بين الآخرين .

والعياذ بالله تعالى من أن يُسحبَ النزاعُ إلى ساحة الصراع بين القوات الإسلامية وأن نعمد إلى إلقاء تبعات التقصير والتبرير بعضنا على البعض الآخر . . . إذ ذاك ستتحول ساحة المواجهة إلى جهنم والنار .

« حقيقة ساحة المواجهة »

ساحة المواجهة لَهي جنةٌ حقاً ولَهي منبَعُ ملكوتيٍّ . . . ففيها تُرى جنةُ الله تعالى ، وهذا ليس شعاراً يُطلقُ هكذا . . . بل إنه الحقيقة ، ففيها يتجلّى نورُ الله . . . / هناك الأذن الملكوتية تسمع النغمات الخاطفة للقلوب / والعين التي تنظر بنور الحقيقة / تشاهد مظاهر جمال الجنة في ساحة المواجهة .

إذا وقع النزاع والفرقة بين مجموعة أو مجموعتين في ساحة المواجهة ، فكلاهما أصبحا من أهل النار حتى لو كانت احداهما غير مذنبه ولكنها تُدِيمُ الاختلاف والنزاع والفرقة . . . فكل من يدخل حلبة النزاعات والفرقة فهو مذنبٌ فالدخول في النزاع وما يؤدي إلى الفرقة هو الذنب .

(٥٢) سورة الأعراف ، الآيتان ٣٨ - ٣٩ .

« إذا وقع النزاع » :

بين المسلمين يُفترض مبدئياً أن لا يكون هناك جدالٌ ونزاعٌ وفرقة وخصام ، ولكن لو حدث أن وقع سوء تفاهم بين مُسلمين ، فينبغي على الصغير أن يعتذر وإذا لم يفعل فعلى الكبير أن يقوم هو بنفسه بذلك ويُنهى الخصام حتى لو لم يكن التقصير منه ، الرجولة والسمو الذاتي تقتضي أن يطلب العفو ويعتذر من المقابل حتى لو لم يكن مذنباً^(٥٣) .

صحيحٌ أن على أفراد المجموعات الإسلامية طاعة قادتهم ، لكن إذا حدث خلافٌ أو نزاعٌ بين القائد والجند ، فيجب أن يُعتذر من القائد فوراً ويُنهى النزاع ، وإذا لم يحدث ذلك ، فواجب القائد أن يقوم بنفسه بمهمة الاعتذار لإنهاء النزاع ، وإذا حدث لا سمح الله أن استمر النزاع والهجران لثلاثة أيام ، فهذا يعني خروج كلا طرفي النزاع من حوزة المسلمين حتى لو كان أحدهما غير مذنب ، كما تؤكد ذلك أحاديث الأئمة المعصومين (ع)^(٥٤) واعلموا أن أحد موانع استجابة الدعاء هو بقاء شيء في قلب المؤمن على أخيه^(٥٥) .

(٥٣) في كتاب الخصال للصدوق ص ١٨٣ ج ١ عن الباقر (ع) قال : ما من مؤمن اجتراه فوق ثلاث إلا وُيرثت منهما الذمة في الثالثة ، فقيل له : يا ابن رسول الله هذا حال الظالم فما بال المظلوم ؟! فقال (ص) : « ما بال المظلوم لا يصيرُ إلى الظالم ، فيقول أنا الظالم حتى يصطلحا » .

(٥٤) في أصول الكافي ج ١ ص ٣٤٥ باب الهجر .
عن الإمام الصادق (ع) عن أبيه . . عن رسول الله (ص) قال : أيما مُسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين عن الإسلام ولم يكن بينهما ولاية ، فأَيُّهُمَا سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب .
وفي مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٤٧١ وفي من لا يحضره الفقيه للصدوق ضمن وصايا الرسول (ص) لأبي ذر (رض) قال (ص) :
« يا أبا ذر : أنهارك عن الهجران ، وإن كنتَ لا بدَّ فاعلاً تهجره ثلاثة أيامٍ فمن مات فيها مهاجراً لأخيه المؤمن كانت النار أولى به » .

(٥٥) في المصدر السابق ضمن الوصايا النبوية نفسها لأبي ذر ، هناك إشارة إلى حبس الدعاء بسبب الهجران وبقاء شيء في قلب المؤمن على أخيه حيث يقول النبي (ص) :
« يا أبا ذر : تُعرض أعمالُ أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة في يوم الاثنين والخميس فيُستغفر لكل عبدٍ مؤمن إلا عبداً كان بينه وبين أخيه شحنة فيقول اتركوا عمل هذين حتى يصطلحا » .

والعياذ بالله من وقوع النزاع والاختلاف في ساحة المواجهة وبين المجاهدين . . . فوقوعه يعني رفع يد الرعاية الإلهية عنها وهيمنة المكر الشيطاني والأهواء النفسية وتسويلاتها وحيلها وتسلطها على ساحة المواجهة والمجاهدين وحلولها محل يد الرعاية الإلهية .

للإمام الخميني نصيحةٌ ووصايا وجهها لعلماء الدين وطلبة العلوم الدينية ، وهي تنطبق عليكم أيضاً أيها المجاهدون ، حيث يقول : (إذا حدث أن وقع خلاف ونزاع بين اثنين من الطلبة ، فإن العدو المتربص وبعض الناس أيضاً لن يقولوا أن شيخ محمد وشيخ تقي مثلاً قد اختلفا وتنازعا ، بل إنهم سيقولون إن علماء الدين متنازعون ومختلفون فيما بينهم) ، حال المجاهدين وغيرهم . . . كذلك أيضاً . . . يُصنع من الحبة جبلاً .

أعداء الإسلام متربصون بكم ، ينتظرون أن يروا أصغرَ نزاع يقع بينكم ليحتفلوا بذلك ، النزاع والخلاف بينكم إذا ذنبٌ لا يُغتفر .

« تحذير »

أيها الإخوة الأعزاء يا من نهضتم جهاداً في سبيل الله تعالى وخدمةً لدينه ، حذارٍ حذارٍ من أن تفتحوا على أنفسكم أبواب جهنم ، وتفرحوا الأعداء .

أيها الأعزاء . . . انتبهوا ، إن للمجاهدين في عالم اليوم كياناً وهبةً خاصة ، الأعداء يرهبونكم اليوم ويخافون حتى من أسماءكم ، وهذه الرهبة والرعب الذي قدّفه الله تعالى في قلوب أعداءكم يبقى ما دامت الوحدة تجمعكم وما دام لا وجود للنزاع والاختلاف والفرقة بينكم .

= يا أبا ذر : إياك وهجران أخيك فإن العمل لا يُقبل مع الهجران » .
وإذا ضممنّا هذا النص إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٧] ، أي أن شرط قبول الأعمال هو التقوى ، إذا ضممنّا هذا النص إلى قول الرسول (ص) : « فإن العمل لا يتقبل مع الهجران ، لعرفنا أن الهجران خلاف التقوى ، أي أن المتقي لا يعود متقياً إذا هجر أخاه » .

وهنا يجدرُ التذكير بأن هذا الموضوع ذا الأهمية الكبرى ، لا وجود له والله الحمد بين صفوف القوات الإسلامية ، واعلموا أن العامل الذي حقق الانتصارات المتعددة والذي وجه الضربات والهزائم للكفار ، هذا العامل هو وحدة الكلمة والانسجام والاتحاد الموجود بين فصائل القوات الإسلامية والذي سيبقى إن شاء الله تعالى .

كما تجدر الإشارة إلى أن كثرة تذكيري بهذا الموضوع وطول البحث فيه لا يعني أن هناك نزاعاً واختلافاً داخلياً بين قوات الإسلام بل إن هذا التأكيد وذاك الإسهاب أتى بسبب أهمية الموضوع وحساسيته وعظيم خطره ، وانطلاقاً من القاعدة التي نسميها نحن الطلبة بـ « إذا كان الأمرُ المُحتملُ ذا خطر جدي /وكبير ، فإن التحذير منه يصبح ضرورياً ، حتى لو كان احتمالُ حدوثه قليلاً » .

« الأخوة والاتحاد في ميادين الجهاد »

القسم الثاني

ذكرنا فيما تقدم ، أن إحدى صفات أهل النار ، هي الشقاق والنزاع والتفرقة بينهم ، وفي المقابل فإن لأهل الجنة صفةً هي نقيض ما ذكرنا لأهل النار ، صفة أهل الجنة هذه يذكرها القرآن الكريم في سورة الحجر فيقول :

﴿ ... ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سررٍ متقابلين ﴾ (٥٦)
أهل الجنة . . . ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . . . إلا قِيلاً سلاماً سلاماً ﴾ (٥٧)
أهل الجنة . . . تملأ قلوبهم جميعاً بالبهجة والفرح والسرور ، وفي الجنة تُهيمن على أهلها روحُ الإخوة وحُسن العشرة والصحبة .

ومن يُريد أن يكون من أهل الجنة . . . فعليه أن يجعلَ من محلِّ عمله في ميادين الجهاد أو غيرها يجعلُهُ جنَّةً يبعثُ روح الإخوة والمحبة والصفاء ، وأن يحافظ على هذه الروح .

وكلما كان السعيُّ لتقوية أواصر المحبة والأخوة أكبر ، كان الأجر على ذلك أكبر كثيراً وكانت القيمة الإلهية له أكبر ، والعكس أيضاً صحيحٌ هنا ، فالذنب يزداد ويتعاضم كلما ازداد السعي من أجل هدم أواصر الاتحاد والإخوة بين المسلمين ، هذا ما يؤكده الشرع الإسلامي المقدس .

(٥٦) سورة الحجر ، الآية ٤٧ .

(٥٧) سورة الواقعة ، الآيتان ٢٥ - ٢٦ .

« عوامل تقوية أواصر الأخوة »

من العوامل المؤثرة في حفظ وتقوية روابط الأخوة هو التحجب إلى الآخرين وكسب قلوبهم وكذلك الاحترام المتبادل والخدمة المتقابلة ، وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من أدخل السرور إلى قلب المؤمن فقد أسرَّ الله ، وأن ثواب ذلك أعظم من ثواب صيام شهر واعتكافه ، كما ورد في حديث شريف آخر عن المعصوم أن قضاء حاجة المؤمن أفضل من الطواف حول الكعبة (٥٨) . . . ولعل هذا الثواب والفضل يرجع إلى أهمية دور هذه الأعمال في تقوية روح التآزر والتعاون والأخوة والاتحاد بين المسلمين .

« الإساءة إلى وحدة المسلمين وزعزعتها » :

وعلى العكس مما تقدم فإن من الذنوب الكبيرة جداً : ذنب الإساءة إلى روابط الأخوة بين المسلمين والعمل على تقويض الوحدة بينهم ، ولهذا الذنب عقابٌ أليم أعدّه الله تعالى وأوعده به . . . ومن جملة الأعمال التي تُسيء إلى التكاثر والوحدة بين المسلمين هي : التجريح والاستهزاء والسخرية وتبادل الاتهامات والغيبة ، وهذه وأمثالها ذنوبٌ عظيمة جداً ، فبشأن التجريح والغيبة مثلاً يُوعد القرآن الكريم فاعلها بالويل وبجهنم مأوى له فيقول : ﴿ ويلٌ لكل همزة لمزة . . . ﴾ (٥٩) .

والهمزة هي الغيبة والطعن في الآخرين بدون حق وفي عدم حضورهم واللمزة هي الطعن والانتقاص أيضاً ولكن في حضور المستقصى (٦٠) .

(٥٨) في أصول الكافي للكليني ج ٢ باب قضاء حاجة المؤمن عن إسحق بن عمار عن الصادق (ع) قال : من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله عز وجل له ستة آلاف حسنة ومحا عنه ستة آلاف سيئة ورفع الله له ستة آلاف درجة حتى إذا كان عند المُلْتَمَزَم فتح الله له سبعة أبواب من أبواب الجنة ، قلتُ له - إسحق بن عمار - : جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف ؟ قال (ع) : نعم وأخبرك بأفضل من ذلك قضاء حاجة المسلم - وفي رواية المؤمن - أفضل من طواف وطواف وطواف حتى بلغ عشرين ، وفي هذا الباب من أصول الكافي أربعة عشر حديثاً كلها تتحدث عن الثواب العظيم لقضاء حاجة المؤمن فليراجع .

(٥٩) سورة الهمزة ، الآية ١ .

(٦٠) يقول العلامة الطباطبائي (رض) في تفسير الميزان : « قال في المجمع - ويقصد مجمع =

وفيما يتعلق بالغيبة يحكم الإسلام بأنها من مفطرات الصيام^(٦١) ،
والقرآن الكريم يقول بشأنها وبشأن سوء الظن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا
كثيراً من الظنِّ إِنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ،
أحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إِنَّ الله توابٌ
رحيمٌ ﴾^(٦٢) .

« الغيبة في احاديث أهل البيت »

سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) يقول : « الغيبة إدام كلابِ أهل النار »
في شرح هذا الحديث الشريف يقول الإمام الخميني : « إن الذي يغتاب الناس
ويعتادُ على ذلك تتحول ماهيته بالتدرج إلى ماهية الكلب ، وعندما يُلقى في
جهنم يوم القيامة بسبب ذلك ، يكون طعامه فيها على شكل دماء ولحوم من كان
يغتابهم في الدنيا » .

وهناك حديثٌ شريفٌ آخر مشهور ينقله الفقهاء العظام في كتبهم هو
حديث : « الغيبة أشدُّ من الزنا »^(٦٣) .

« لا فرق بين الكلام الجارح والغيبة » :

إن التجريح والكلام الجارح والخشن لا يفرقان عن الغيبة ، فإذا تحدثت
أمام شخص بحديث جارح ، سبَّب له ألماً وأذى فهذا هو التجريح ، وإذا
تحدثت خلفه كان غيبةً ، أما إذا تحدثت عن شخص ما بعيبٍ ليس فيه سوءٌ

= البيان - الهمزة : الكثير الطعن على غيره بغير حق ، العائب له بما ليس بعيب ، وقال : واللمزة
العيب أيضاً والهمزة واللمزة بمعنى واحد ، وقيل إن الفرق بينهما هو أن الهمزة الذي يُعيبك
يظهر الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك ، تفسير الميزان ج ٢ ص ٣٥٨ .
(٦١) واضح أن المقصود من ذلك الصيام الكامل أو بصورته الفضلى وليس مطلق الصيام بالمعنى
المتعارف .

(٦٢) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

(٦٣) في مكارم الأخلاق ص ٤٦٨ ضمن وصايا الرسول الأعظم لأبي ذر قال (ص) :
« يا أبا ذر : إياك والغيبة ، فإن الغيبة أشدُّ من الزنا » ، - قلت والكلام لأبي ذر - يا رسول الله ،
ولم ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال (ص) : « لأن الرجل يزني ويتوب إلى الله فيتوب الله عليه ،
والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها » .

كان الحديث في حضوره أو عدم حضوره ، فهذا هو البهتان وذنبٌ عظيمٌ جداً فهو أحدُ مصاديق العدوان على العباد والعدوان على العباد من معاني الفتنة التي يصفها القرآن الكريم بأنها أشدُّ من القتل .

إن فقدان الاحترام المتبادل ، وحلول الانتقاص والتسقيط والطعن محله ، كل ذلك يستتبع عذاباً إلهياً وناراً وقودها الناس والحجارة ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (٦٤) .

« الكذب وإثارة الشائعات في أحاديث الأئمة » :

أما الكذب هذا العملُ القبيحُ فهو في حدِّ عبادة الأصنام ، وقد ورد أن على المسلم أن يجتنب أمرين هما :

١ - عبادة الأصنام .

٢ - الكذب ، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [سورة الحج ، الآية ٣٠] .

وإثارة الشائعات هي نظيرُ الكذب ، فالذي يُريدُ نقلَ موضوعٍ ما عليه أن يتأكد من صحته أولاً ، وإذا سمعَ بحادثةٍ أو أمرٌ نُقِلَ إليه فلا ينبغي أن يصدِّقه بسرعة ، بل عليه أن يطالب المخبرَ والناقلَ بالبيّنة والدليل وإذا تحدثَ شخصٌ بحديثٍ - وخاصةً إذا كان فيه تعريضٌ أو اتهام - ثم لم يأتِ بيّنة قوله ، فينبغي زجره وتوبيخه على قوله .

إذن فالواجبُ هو التحققُ من أي قولٍ يُقال ، لا أن يؤخذَ على عواهنه ويُشاعَ بين الناس . في حديثٍ له / يؤكد أمير المؤمنين عليه السَّلام أن الكذب ليس أن تقول ما تعرفه كاذباً وحسب بل إن إثارة الشائعات أيضاً هي من الكذب (٦٥) / فيما يصف الإمام موسى بن جعفر عليه السَّلام حال الكذاب يوم

(٦٤) سورة النور ، الآية ١٩ .

(٦٥) في كتاب المحاسن للبرقي (ص ٢١٥) جاء عن أبي سعيد الزهري عن أحدهما - الباقر أو الصادق عليهما السَّلام - قال :

القيامه بالصورة التالية : يُدخل في بدن الكاذب ومثير الشائعات سيخاً من حديد مُحتمى وبعد أن يفتضح أمام الناس يُرسل إلى جهنم^(٦٦) .

« الذنب وأثاره في المواجهة »

الرسول الأعظم (ص) يوضح أن للكاذب رائحة كريهة تخرج من فمه فتصعد إلى السماوات / وهناك تصل إلى أنوف الملائكة فتلعنه .

العياذ بالله من أن تصل تلك الرائحة الكريهة ، رائحة الكذب والتهمة وإثارة الشائعات إلى السماوات ومن أين / من المجاهدين في المواجهة / تصل إلى عالم الملكوت / والله الحمد فإن ذلك غير موجود / وإلا ففي هذه الحالة - لا سمح الله - فإن ملائكة الله الذين يستأنسون بعطر الشهيد / سيملون من الرائحة العفنة المؤذية للكاذب ومثير الشائعات .

المواجهة - وهي محل تجلي النور الإلهي ، لا يمكن بحال أن تكون مناسبة للكذب وإثارة الشائعات وحملات التسقيط والتشويش على الآخرين ، وإذا صار الحال كذلك والعياذ بالله ، فلن تكون ساحة المواجهة آنذاك مشمولة برعاية الله وهدايته الخاصة ، ولن يشملها نصره ورحمته ومغفرته تعالى .

وليس من اللائق أصلاً بأي من المجاهدين أن ينقل خبراً لا يعرف صدقه من كذبه ، فالواجب عليه أن يتصدى هو لمنع انتشار الشائعات ، لا أن يصبح هو نفسه ممن يساهم في شيوعها .

وهناك مسألة هامة جديرة بالملاحظة وهي ، أنه إذا كان هناك خبر صحيح إلا أن المصلحة في نقله غير موجودة ، - بل قد يحدث نقله ضرراً - ففي هذه الحالة يُعتبر نشره وإشاعته ، ذنباً أيضاً .

= « الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه » .

(٦٦) في مستدرک الوسائل للشيخ النوري ج ١ ص ١٠٠ عن الرسول (ص) قال : « إياك والكذب فإنه يسود الوجه » .

« موقف »

حدث مرة أن اغتاب أحد الطلبة مرجعاً من مراجع التقليد ، في حضور الإمام الخميني ، فهل تعرفون ماذا أدى ذلك ؟ لقد أصابت الحمى سماحة الإمام حفظه الله ، وعطل درسه ثلاثة أيام ، لم يخرج خلالها من المنزل ، وعندما عاد إلى التدريس بعد ذلك كان الأذى بادياً عليه بوضوح .

إذا لم يتخرج المؤمن وهو المدعي أنه من جند الإسلام العظيم ، لم يتخرج من الغيبة وإثارة الشائعات وأمثالها ، فليعلم أنه لن يحظى برضا الله والإسلام عنه ولن يشمل برعايته ، والويل لنا ثم الويل من اليوم الذي ترفع فيه يد الرعاية الإلهية ويد رعاية الغيب عنا .

إذا حدث لا سمح الله أن أهان مؤمن مؤمناً ، أو استهزأ وسخر مؤمن من أحد المؤمنين ، أو أساء بعضهم الظن ببعض ، واغتتاب بعضهم البعض ، وتبادلوا الاتهامات ، حيثئذ لن تغدو ساحة الجهاد ساحة جند الله ، بل ستصبح ساحة الشيطان ، وسترفع عنها آئذ يد الرعاية الإلهية .

ولعل عظمة الذنوب المترتبة عن الكذب وإثارة الشائعات والغيبة والاتهام والبهتان والتسقيط ، عظمة تلك الذنوب ، ترجع إلى أن هذه الأعمال القبيحة تستأصل روح الأخوة والاتحاد والتضامن من بين الأمة الإسلامية ، وتحل محلها الفرقة والنزاع وبالتالي الهزيمة والضعف .

فيا أيها المؤمنون والمجاهدون - قادة وجنداً - اعلّموا أنه إذا سخر أو استهزأ وأهان أحدكم أخاه في ساحة الجهاد ، فليتيقن من أن بذهاباً إلى تلك الساحة لن يحظى برضا الله سبحانه وقبوله .

على جميع أفراد القوات الإسلامية - في المواجهة أو في سواها - عليهم أن يحرصوا كل الحرص على تعميق الأخوة والاتحاد بينهم ، وهذا تكليف إلهي يعتبر شرطاً لقبول أعمالهم وجهادهم عند الله عز وجل .

العياذ بالله من أن يقدم الإنسان ماله وأولاده ونفسه وحياته في سبيل الله في الظاهر ، ثم يجد في أول ليلة له في القبر ، أن كل ذلك لم يحظ بقبول الله

سبحانه وتعالى ولم ينلّ رضاه عزّ وجلّ ، فهذه هي الحسرة التي ما بعدها حسرة
والندامة والخسران المبين .

العياذُ بالله تعالى ، من أن يستولي الغرورُ على قائدٍ فيتجرأ على إهانة
أحدٍ من جند الله ، إذ ذاك لن تحظى أعمالُهُ برضا الله وقبوله .

أيها الأعضاء . . . اعلموا أن الإمام المهدي (ع) يحضر في ساحة الحرب
التي ، لا كذب فيها ولا غيبة ولا بهتان ولا تسقيط

وتذكروا أنه وفي بعض الأحيان تُسبب غيبةٌ يتجرأ عليها نفرٌ واحد تسببُ
حرمان مئة ألف من نور الله والوجود المقدس لوليهِ الأعظم (عج) .

« التوكل »

التوكلُ على الله . . . يجب أن يكونَ أقوى وأمضى أسلحة مقاتلي الإسلام .
مصدق التوكل ، هو أن لا ينظر المجاهدون في سبيل الله تعالى ، لا إلى
كثرة العدد ولا إلى جودة العدة ، ولا إلى القيادة القوية ، ولا إلى أنفسهم
أيضاً ، بل يجب أن تتوجه أبصارهم دائماً وفي جميع أعمالهم إلى القوة
الإلهية ، وأن يكون شعارهم وأملهم بالنصر الإلهي ، فالله هو الناصر
ومنه النصر . . .

﴿ وما النصرُ إلا من عند الله .. ﴾ (٦٧) .

﴿ فلم تقتلوهم ولكنَّ الله قتلهم وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى ﴾ (٦٨) .

بالطبع فإن تهيئة السلاح والمعدات ، زيادة القوة المقاتلة وتطوير كفاءتها
الحرص على التنظيم والانضباط وغيرها ، كل هذه أمورٌ ضروريةٌ يجب
الاهتمام بها وتوفيرها بحسب القدرة كما يقول تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .. ﴾ (٦٩) .

(٦٧) سورة الأنفال ، الآية ١٠ .

وفي مشكاة الأنوار ص ١٧ عن الإمام الباقر (ع) قال : « من توكل على الله لا يُغلب ومن
اعتصم بالله لا يُهزم » .

(٦٨) سورة الأنفال ، الآية ١٧ .

(٦٩) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

لكن جميع تلك الأمور لا تعدو أن تكون وسائل لا أكثر ، وليست هي التي تحسم النصر وتحقق الهدف ، لذا يجب عدم الاعتماد عليها بصورة رئيسية ، اعتمادكم وتوكلكم يجب أن يكون أساساً على الله تعالى ، فهو تعالى خير ناصرٍ ومعين .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٧٠) .

نعم . . . فمن يتق الله تعالى . . . يجده عوناً ، يهيء له سبل النجاة من الذنوب والمصائب والمشاكل ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ولا يتوقع ، ومن توكل على الله تعالى كفاه .

إذا كانت ساحة الجهاد مكاناً مقدساً حقاً ، وكان المقاتلون فيها أولي تقوى وورع ، وما كان للذنوب والمعصية فيها مكان ، إذا كان حالها كذلك فمن المؤكد أن التوكل على الله تعالى هو الذي سيسود فيها .

والمنطق القرآني يؤكد . . . أن النصر حليف جبهة المتوكلين على الله تعالى ، وأن الطرق المسدودة تفتح للإنسان إذا قوى وعمق في نفسه روح التوكل على الله وإذ ذاك سيظهر في قلبه الاطمئنان والثقة والأهم من ذلك ، أنه سيجد الله تعالى عوناً في المصاعب ، يجيبه إذا دعاه ، ويغيثه إذا استغاثه ، ويكون بذلك مشمولاً برعايته تعالى .

وخلاصة ما تقدم هي أن يكون التوكل على الله هو محور جميع تحركات جند الإسلام « على الله في كل الأمور توكلي . . . » .

وعلى النقيض من التوكل هناك صفات مذمومة هي التكبر والغرور والعجب ، الاعتماد الكاذب على النفس والقوى المادية وحدها بمعزلٍ عن التوكل على الله ، هو الذي يجلب الهزيمة للمقاتلين ، ولو نسب النصر إلى النفس لا إلى الله تعالى ، وأتبع ذلك بالعجب والغرور ، إذ ذاك ينتظر الهزيمة ، الله تعالى يقول في كتابه المجيد :

(٧٠) سورة الطلاق ، الآيتان ٢ - ٣ .

﴿... لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتَكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَدْيَنَ ..﴾ (٧١) .

الله سبحانه وتعالى ، يؤكد بجلالة أن الغرور والعُجب ونسبة النصر إلى النفس ، تؤدي إلى إلحاق الهزائم والنكسات بالقوات المقاتلة .

في معركة حنين ، الجيش الإسلامي كان كثير العدد وقوي العدة ، والعدو كان أضعف عدداً وعدة ، على النقيض من جميع المعارك التي خاضها المسلمون قبل معركة حنين ، حيث كانت عدتهم وعددهم أقل دائماً من العدو ، إلا أنهم كانوا ينتصرون ، لكنهم في حنين وعلى الرغم من قوة وكثرة عددهم وعدتهم هُزموا ، وقُتل منهم من قتل ، بل وكان من المُحتمل القريب أن يُستشهد الرسول الأكرم (ص) أيضاً ... وكان سببُ الهزيمة في المعركة هذه هو الغرور والعُجب بكثرة العدد وضعف العدو كما يصرح بذلك النص القرآني : ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتَكُمْ ..﴾ .

ورغم ذلك فقد ترأف الحق تعالى بالمسلمين بعد أن تلقوا درساً هاماً في حقيقة نزول النصر ، وأنزل عليهم سكينته ونصرهم ودحر الكافرين .

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٢) ... وعذب الذين كفروا بالأسر والقتل كما ينص على ذلك المفسرون .

هذه القصة الواقعية التي ذكرها القرآن الكريم وفصلها التاريخ ، يجدرُ بكم أن تعتبروا بها وهي تنصحكم وتقول لكم أن «... يا جند الإسلام ، لا تغتروا في حربكم وجبهاتكم بكثرة العدد وجودة العدة ... وليكن توكلكم واعتمادكم على الله تعالى فقط ... فبذلك يكونُ النصر حليفكم ... وإذا حدث لا سمح الله أن اتكلتم على أنفسكم وأسلحتكم فانتظروا الهزيمة الحتمية ، فالله تعالى أقسم أن يهزمَ المغرورين ، والتجربةُ تُثبت أن من اعتمد

(٧٢) سورة التوبة ، الآية ٢٦ .

(٧١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

على غير الله تعالى مَنِّي بالهزيمة والفشل فيما اتكل فيه على غير الله .

« حفظ الأسرار »

التوكلُ على الله تعالى والاعتماد عليه والاعتصام بحبله تعالى ، هذا الأمر هو الذي يعصم الفرد المسلم من الانهيار وإفشاء أسرار المسلمين ، والمعلومات الهامة الخاصة بهم إلى العدو الكافر لو وقع في الأسر لا سمح الله .

إن حفظ المعلومات العسكرية أمر هامٌ للغاية ، ويُعتبر إفشاؤها من كبائر الذنوب ، لذلك يجب على المسلمين المجاهدين الذين يقعون في الأسر أن يمتنعوا عن إفشاء تلك المعلومات أو إعطاء أي شيء لأعداء الإسلام .

في الصدر الأول للإسلام ، كان الحال أن إذا وقع أحد جند الإسلام في أسر الكفار ، وكانت معه مثلاً رسالة من رسول الله (ص) ، ابتلعها كيلا تقع في أيدي أعداء الله ، وعلى الرغم من أن جند الإسلام الذين كانوا يقعون في أسر الأعداء ، كانوا يتعرضون لأقسى أنواع التعذيب ، إلا أنهم ما كانوا يعطون العدو أية معلومات عن المسلمين مهما كانت بسيطة ، وبالطبع فإن سرّ هذا الصمود والمقاومة هو الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه . . .

إن توجه الإنسان إلى ربه تعالى وتوكله عليه يكسبه شجاعةً وصموداً وثباتاً بحيث يُعصم ويتحصن من الوقوع في أي من إغراءات العدو أو تهديداته ، بل يبقى صامداً ثابتاً برجولة ، ويمضي بشموخ إلى الموت لكنه يأبى أن يفشي شيئاً من الأسرار العسكرية لجند الإسلام .

« تنبيه ضروري »

هناك نقطة هامة يجب على الأخوة المجاهدين التنبيه لها جيداً ، وهي أن حرمة إفشاء الأسرار العسكرية لقوات الإسلام ، لا تقتصر فقط على إعطاء العدو وحسب ، بل يجب الامتناع عن إفشاءها حتى للأصدقاء المقربين ، فلا معنى ولا مبرر لأن تُنقل إلى أوساط المجتمع المعلومات المتعلقة بالأمور الداخلية للمجموعات الجهادية وتنظيم مؤسساتها . يجب أن لا يطلع الآخرون

على هذه المعلومات حتى لو كانوا ثقات يُطمئنُ إلى دينهم ، فما أكثر ما يحدث أن تُكشف المعلومات العسكرية المتعلقة بالمؤسسات الجهادية ، وتنتشر بين الناس وذلك بواسطة اطلاع الأصدقاء عليها أولاً ، ثم تتناقلها الألسنة بعد ذلك بصورةٍ وبأخرى لتنتشر لتصل إلى العدو وهو يحتاجها في حربه علينا ونكون نحن ومجتمعنا الواسطة التي نقلت إليه تلك المعلومات الهامة مجاناً ، وهو أمرٌ واضحٌ للجميع حجمُ خطره وضخامة أضراره .

إذن ؛ فالواجب على جميع الذين يحصلون بطبيعة عملهم على بعض المعلومات العسكرية ، أن يمتنعوا عن إفشاء تلك المعلومات لأيِّ كان ، حتى ولو كان صديقاً أو قريباً ثقةً ، وإذا حدث أن أفشى أحد أولئك الأفراد بعض المعلومات لصديق له مثلاً ، فليعرف أنه ارتكب ذنباً ، وأن ذنبه هذا ذنبٌ كبيرٌ وعظيمٌ جداً . الأسرار الداخلية يجب الامتناع عن إفشاءها لأيِّ كان حتى لأقرب الأصدقاء وأكثرهم ثقةً ، إفشاء الأسرار تلك يعني ارتكابُ ذنبٍ عظيمٍ وعصيانُ الله تعالى .

وخلاصةً ما تقدم هي أن عليكم أيها الأعضاء أن تولوا هذا الأمر الهام جداً الاهتمام والانتباه اللازمين ، كي لا تساعدوا وتعينوا عدوكم وعدو الإسلام وتحاربوا النظام الإسلامي وتضعوه من حيث لا تدرون ولا تريدون .

« التوكل في تبليغ الرسالات »

الاعتماد والتوكل على الله تعالى ، اليقينُ من أن لا وجودَ لقوةٍ موثورةٍ سوى الله تعالى ، والاعتقاد بأن لا وجودَ لمستقلٍ وقائمٍ بذاته سوى الله تعالى ، ورؤيته وحدهُ تعالى والرؤية من خلاله ، هذه الأمور هي عوامل تحقيق النصر في الدنيا - بتحقيق النصر الظاهري المعروف - ، وهي عوامل تحقيق النصر في الآخرة ، أي بالوصول إلى مرتبة لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه تعالى ، سواءً كان ذلك بأن استشهدتم - فكنتم أحياء عند الله تعالى - أو أصبتم بجراحٍ أو نقصٍ في الأبدان ، فأنتم على كل حالٍ منتصرون ، وإذا غلبتم فأنتم منتصرون .

نبيُّ الله موسى (ع) كان راعي غنم لا أكثر ، وبحسب ميزان القوى

المادية ، فإنه تحدى فرعون وتصدى له بعضا وبأخيه هارون لا غير ، ولكن هل كان هذا التحدي ليكون لولا توكله واعتماده عليه السلام على القوة الإلهية المطلقة؟! لا ما كان ليكون .

الله تعالى يروي لنا بأبلغ الإيجاز قصة هذا التحدي الغريب فيقول تعالى في كتابه المجيد : ﴿ اذهبوا إلى فرعون إنه طغى ﴾ (٧٣) ، الله تعالى وهو القيادة الكبرى التي ما بعدها قيادة يأمر موسى عبده ورسوله وأخاه هارون بالذهاب إلى فرعون الطاغى ، يأمر موسى بالذهاب لمواجهة هذا الطاغى الذي علا في الأرض ، وما كان لموسى من سلاح مادي إلا عصاه ، وأخاه هارون يتأزر به . . . ثم يعطي الله رسوله منهج تبليغ الرسالة وما فيه شيء من السلاح المادي ﴿ فقولاً له قولاً لئناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (٧٤) فيترك الظلم والطغيان .

وبعد تسلم الأمر الإلهي ومنهج تطبيقه توجه موسى (ع) لتنفيذ المهمة وذهب إلى فرعون الذي كان يدعي الربوبية ليتحدىه . . . فماذا طلب موسى من ربه عوناً له في أداء مهمته؟ هل طلب كثرة العدد؟! هل طلب جودة العدة؟! . . . هل طلب أياً من الأسلحة المادية؟! . . . لا كل ما طلبه هو :

﴿ قال رب اشرح لي صدري . . . ﴾ .

﴿ ويسر لي أمري . . . ﴾ .

﴿ واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي . . . ﴾ .

﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ﴾ (٧٥) .

وأجاب الله لموسى سؤله . . . ونفذ موسى ما أمر وبلغ رسالة ربه ووهب ما أراد من سعة صدر وطلاقة لسان ووزير معين . . . فنجح في أداء مهمته وما كان ذلك إلا بالتوكل على الله تعالى الذي أيدهما بنصره وكان لهما عوناً كما وعدهما ﴿ قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴾ (٧٦) .

(٧٥) سورة طه ، الآيات ٢٥ - ٣١ .

(٧٦) سورة طه ، الآية ٤٦ .

(٧٣) سورة طه ، الآية ٤٣ .

(٧٤) سورة طه ، الآية ٤٤ .

« قصة من الصدر الأول للإسلام »

في الصدر الأول للإسلام ، مُني الروم بهزائم مريرة على أيدي المسلمين ، جعلتهم يعتقدون أن للقوات الإسلامية ، تنظيمات وسياسات وخططاً عسكرية معقدة للغاية ومتطورة بحيث تؤهلهم لتحقيق تلك الانتصارات الباهرة في ميادين المعارك وكما حيرتم أنتم أيها المجاهدون الأعداء طواغيت الشرق والغرب في عصرنا الحاضر بانتصاراتكم الباهرة ، فقد سبقكم إلى ذلك أيضاً المسلمون الأوائل في صدر الإسلام حيث هزّوا وحيرّوا عالم الكفر آنذاك بانتصاراتهم العظيمة والمتواصلة ؛ بحيث أن الامبراطورية الرومانية على عظمة قوتها آنذاك كانت تُمنى دائماً بالهزائم المريرة مقابل جيوش المسلمين .

في أحد تلك المعارك وقع اثنا عشر مسلماً في أسر الروم ، وبناءً على أمر ملك الروم ، أُحضِرَ هؤلاء الأسرى لديه ، في البداية حاول الملك استحصال المعلومات العسكرية الهامة عن المسلمين من هؤلاء الأسرى بإغرائهم فمَنّاهم أن لو تركوا الإسلام والتحقوا بجيشه لجعلهم من قادة الجيش ولزوجهم أجمل النساء ، وخصص قائد الأسرى بأن يمنحه ابنته لو أجابه إلى ما طلب منهم . . . ولكن هذا الإغراء والترغيب لم يحدث أدنى تأثير في صمود وصلابة هؤلاء الأسرى وإرادتهم القوية . . . فأجاب أحد الأسرى ذاك الملك بكل عنفوان وإباء قائلاً : « إني لأفضل القتل ألف مرة في سبيل الإسلام على أن أحيا في ظل الكفر »^(٧٧) . وإزاء هذا الصمود والصلابة والإباء تنازل ملك الروم عن طلبه من الأسرى بأن يتركوا الإسلام ويلتحقوا بجيشه وطلب ما هو دون ذلك وهو أن يعطوه معلومات عن الأمور العسكرية للمسلمين ، لكنه ووجه هذه المرة أيضاً برفض وإباء بل وأدرك من خلال بعض الأسئلة التي وجهها لهم أن إحاطتهم بالأمور العسكرية قليلة فازداد عجباً وازداد الغموض عليه من كيفية تحقيق

(٧٧) وأبلغ من هذا قول سيد الشهداء أبي الضمير الإمام الحسين (ع) : « إني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً وشقاء » فأبو الأحرار (ع) يرى السعادة في الموت والقتل بعزة ويرى الشقاء كل الشقاء في العيش برفاهية ونعيم في ظل الكافر ، وهذا هو الإباء الذي ما بعده إباء .

المسلمين لكل تلك الانتصارات ؟!

ثم شرع الملك بعد ذلك بالتهديد والإرهاب والوعيد ، ولتخويفهم أمر بجلب قدر كبير يغلي فيه زيت الزيتون ، فأحضروا ما طلب ، فهدد الأسرى المسلمين أن إذا لم يستجيبوا لطلبه بترك الإسلام وبالالتحاق بجيشه ، لأحرقهم بذاك الزيت المغلي ، ولكن هذا الوعيد والتهديد لم يسفر عن شيء أيضاً وعجز عن إخضاع هؤلاء الأسرى الأباة لما طلبه الملك فأمر أن يُلقَى أحد الأسرى في القدر فألقي ... وطفت بعد فترة عظام ولحم هذا الأسير على سطح الزيت وأمام أعين إخوانه الأسرى ، ولكن هذا الأمر أيضاً لم يفت في عزمهم وإصرارهم ... فأمر الملك أن يُلقَى أسير ثانٍ في القدر ... فجلبوا الثاني ولما وصل إلى حافة القدر بكى هذا الأسير ، ففرح الملك وسأله بتشفٍ عن سبب بكائه وقال له : تبرأ من الإسلام لتصبح حراً ، فأجابه هذا الأسير الحرّ الأبى بأن قال : إن سبب بكائي هو لأنني لا أملك أكثر من نفس واحدة أقدمها في سبيل الله ودينه ، يا ليت لي عشرات الأنفس ، كي أحرق عشرات المرات في سبيل الله تعالى . وما أعظم الأثر الذي تركته هذه الكلمات الأبية لهذا الأسير المسلم المتوكل على الله تعالى ، تركته على ملك الروم وحاشيته بحيث أنهم لم يعودوا قادرين على قتل بقية الأسرى ، وأدت إلى أن يتنازل عن كل طلباته السابقة واقتصر أخيراً على طلب تافه وجهه إلى الأسرى لعله يردّ به بعض الماء الذي أريق من وجهه أمام شموخ هؤلاء الأسراء الأباة ولعله يداوي به بعض الذلة التي استشعرتها نفسه تجاه هؤلاء الأحرار ، أتدرون ماذا كان طلب ملك الروم وامبراطورهم الذي علا في الأرض وملك من أسباب القوة المادية ما ملك ، طلب من قائد الأسرى أن يقبل رأسه كي يطلق سراحه وباقى الأسرى ... فوافق القائد المسلم ... لكن وافق على هذا الطلب لسبب لا يتعلق به بل ضحى بما تريده نفسه الزكية من أجل الآخرين فقبل رأس الملك وهو يقول مناجياً ربّه تعالى : « اللهم ، إنك تعلم أنني ما كنت لأقبل هكذا ذلة إلا لأجل إنقاذ الآخرين من أمر الكافرين » .

نعم ، لقد أيقن ملك الروم بأنه عاجزٌ عن مواجهة المسلمين ، لماذا ؟! لأنهم لا يعتمدون على القوى المادية ، لا يعتمدون على كثرة العدد والعدة ،

بل يتوكلون على المنبع الروحي ، على القوة الغيبية المطلقة ، وهذا هو سرّ انتصارهم .

في أربع وسبعين معركة وباستثناء معركة حنين ، كان المسلمون دائماً أقل عدداً وعدة من الأعداء ، فكانوا مثلاً ثلاثمائة مقاتل مقابل ألف وهكذا ، لكنهم كانوا دائماً وفي جميع المعارك هم المنتصرون ، وإذا كان يحدث أن يُمنوا ببعض النكسات المؤقتة فإنها كانت تحدث بسبب الغرور والعُجب ونسيان الله تعالى ، كما حدث في معركة أحد حيث انهزم المسلمون لأنهم نسوا الله للحظة واحدة بعد أن كانوا هم الغالبون .

فيا أيها الأخوة . . . لا تتكلموا ولا تعتمدوا على أنفسكم بذاتها مستقلة ، إذا رأيتم الأعداء يولّون فراراً من أمامكم أو يستسلموا لكم أو يتراجعوا أمام زحفكم ، فلا تظنوا أن سبب ذلك هو الخوف منكم أنتم بذاتكم ، بل اعلموا أن سبب ذلك هو الرعب والخوف الذي يقدّف الله في قلوب أعدائكم^(٧٨) .

إن صرخات الله أكبر هي التي ترعب أعدائكم وترتجف لها قلوبهم ، إنهم يتوكلون على أسلحة وإمدادات أميركا وروسيا وفرنسا لهم ، ولذلك فإنهم سيهزمون دائماً ، ولكنكم توكلتم على الله تعالى وهو القوة المطلقة لذلك ستنتصرون دائماً إن شاء الله .

الشرع الإسلامي يُوجب على جنده أن يتوكلوا على الله تعالى كي يحققوا النصر وأن يكونوا ذوي معنويات عالية وصفاء ونقاء يؤهلهم لأن تنظر إليهم عين الرعاية الإلهية وتشملهم بعطفها دائماً ، إن تحرك جند الإسلام كان منذ ألف وأربعمئة عام ولا زال يستند على التوكل على الله تعالى ، وبهذا التوكل تحققت كل تلك الانتصارات ، واستمرار هذا التحول وتلك الانتصارات من الآن فصاعداً يستلزم التوكل على نفس ذلك المصدر الذي يخلق الانتصارات ، فبه كانت الانتصارات في الماضي والحاضر أيضاً انتصارات خارقة للعادة بل ومعاجز إلهية حقاً .

(٧٨) قذف الرعب في قلوب الأعداء وتكثير أعداد المسلمين في أعينهم والملائكة المردفين هي من جنود الله التي لا نراها والتي يُنزل بها الله تعالى النصر على المسلمين كما تذكر ذلك الآيات القرآنية الكريمة .

« علاج العجب والغرور »

إذا كان الإنسان موحداً حقاً ، لا يرى النصر إلا من عند الله ، ويرى جميع قوى العالم والملك والملكوت في قبضته تعالى ، هذا الإنسان وما دامت تعيش في أعماقه هذه العقيدة ، لن يجد الغرور والعجب والتكبر إلى نفسه سبيلاً ، الغرور والتكبر يدخلان ويستوليان على لبّ الإنسان الذي يرى القوة من عنده لا من عند الله تعالى ، أو يتوكل على غير الله تعالى من القوى المادية ، ومنشأ هذا التوكل الخاطيء هو الجهل بالله تعالى رب العالمين .

من الثابت شرعاً أن العجب والتكبر يُبطلان الأعمال ، وإذا اغتر الإنسان بأعماله الصالحة واتخذها وسيلةً للتفاخر والتعالي عن الناس ، فليعلم حينئذٍ بأنه لن يتوفق بعد ذلك لأداء الأعمال الصالحة ، إن على الإنسان أن يرى دائماً أن أعماله الصالحة هي من الله تعالى ومن فضله وتوفيقه ، فلو توفق لأداء صلاة الليل أو مساعدة الفقراء أو الجهاد في سبيل الله ، فعليه أن لا ينسبها إلى نفسه بل يقول هذا من فضل ربي وتوفيقه ، ولو رآها من عند نفسه لانتزع منه هذا التوفيق .

كل من يفتُر يُهزم ، سواء أكان طاغية أم جيش الإسلام ، لذلك فعلى جند الإسلام وأنصاره أن يضعوا هذه الآية الكريمة دائماً نصب أعينهم ويتخذوها شعاراً حقيقياً لهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٧٩) .

(٧٩) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .

هذه الآية الكريمة تنطبق على حالنا الآن أيضاً ، فأعداء الإسلام في كل أصقاع العالم يهددون جند الإسلام ، ويقولون : إن جميع مستكبري العالم قد اتحدوا وجمعوا لكم ليقضوا عليكم ويطلبون بأن لدى عدوكم صواريخ مدمرة وأسلحة متطورة . . لكن كل هذا التهديد والوعيد والترهيب لا يزيدُ جندَ الإسلام إلا سكينَةً وإيماناً وتوكلاً على الله ولسان حالهم هو نفس منطق القرآن : ﴿ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . . ﴾ (٨٠) ، نعم إذا آمن قَوْمٌ بالله حقاً وتوكلوا عليه ، فلن يتزلزلوا ولن يجذَّ الخوفُ إلى أنفسهم سبيلاً حتى لو اجتمع عليهم العالم كله وجمعوا لهم ما جمعوا .

يُنقَلُ أن الإمام علياً (ع) سُئِلَ مرةً عن سبب عدم ارتدائه درعاً في الحرب كما هو حال باقي الفرسان فكان تعليقه عليه السَّلام أن ذلك الدرع يحتاجُ من يُولي ظهره للعدو ، وهذا ما لا يفعله هو (ع) وحاشاه ، فلا يحتاج إذن لهكذا درع ، ومقاتلونا اليوم يقتدون أيضاً بأمر المؤمنين (ع) ، فالأخوة الأعزاء في المواجهة يكتبون على ظهور ملابسهم هذه العبارة فتأملوها : « يُمنع دخول الرصاص والشظايا . . » ؛ وعندما يُسأل هؤلاء الأخوة عن معنى ذلك يُجيبون : « نحن لا نولي الأذبار لعدونا كي يضربنا من الخلف . . . » .

في عصرنا الحاضر أيضاً ، بالاعتماد والتوكل على الله تعالى ، يُحقق جند الإسلام الانتصارات الباهرة وغير العادية التي يفخرُ بها الإسلام .

نعم ، إن مجاهدي الإسلام يؤمنون بأن كثرة العدد والعدة وتطور الخطط العسكرية لن تحقق شيئاً للإسلام بدون التوكل على الله تعالى ، ويؤمنون بأن ما يحقق النصر هو شعار الله أكبر والمعنويات العالية المستمدة من الله سبحانه وتعالى والارتباط به تعالى والاستناد عليه .

ونحنُ إذا كنا قد ركزنا البحثَ على موضوع التوكل وأهميته فهذا لا يعني فقدانهُ لدى المجاهدين ، كلا وكيف؟ فلولا التوكل على الله لما صارت أوضاعُ المواجهات إلى ما صارت عليه الآن ، ولما تحققت كل هذه الانتصارات

(٨٠) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .

العظيمة ، بل إن هذا البحث المركز هو بمثابة دقّ الجرس كي يحذر القادة والقوات المسلحة من الغرور والعُجب والتكبر ، وكيلاً يغفلوا عن لطف الله ورعاية إمام العصر (عج) .

والأمر الجدير بالانتباه هنا هو أن ذنبَ عددٍ قليل قد يعمّ بلاؤُهُ الجميع كما أن غرورَ وعجب بعض القادة والمقاتلين قد تعمّ آثارُهُ السيئة على الجميع ويؤدي إلى الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ ... واتقوا فتنةً لا تُصيبنُ الذينَ ظلموا منكم خاصةً ﴾ (٨١) .

(٨١) سورة الأنفال ، الآية ٢٥ .

«الإخلاص»

الإخلاص ، من الصفات الهامة التي يجب علينا جميعاً التحلي بها ، وهي ضرورية للجميع خصوصاً لجند الإسلام المجاهدين في ميادين المواجهة .

الإخلاص ، هو تخليص النية أو الدافع نحو العمل ، من كل شيء ما عدا الله سبحانه وتعالى ، وقدسية العمل وسمو قيمته مرهونة بمدى توفر الإخلاص فيه ، أي أن العمل يكون مقدساً. وإذا قيمة عندما يكون الدافع إليه رضا الله تعالى فقط . ولا يكون لغيره تعالى أي أثر فيه ، وما لم تكن أعمالنا خالصة لله تعالى فلن تكون لها أية قيمة إلهية ، بل على العكس يترتب عليها الإثم أيضاً .

الكاسب والتاجر والطبيب وأمثالهم ، إذا لم يتوفر الإخلاص في أعمالهم ، فلن يشكل ذلك سبباً لبطلانها^(٨٢) ، نعم لن يترتب لهم عنها الأجر ، وبالتالي لن تساهم تلك الأعمال في تكامل أرواحهم ورفقيها .

أما بالنسبة لأفراد الحرس والتعبئة والجيش أو عالم الدين وسائر

(٨٢) واضح أن المقصود من أعمالهم هي تلك التي تتعلق بطبيعة اختصاصاتهم ، أما فيما يتعلق بالعبادات الشرعية فحكمهم يكون كباقي المكلفين بلا أدنى فرق ، وما ذكره شيخنا الأستاذ بشأن أعمال المجاهدين يمكن تعميمه حتى على أعمال الكعبة والفنيين وغيرهم فهي تتحول إلى أعمال عبادية إذا ما كان القيام بها بدافع خدمة خلق الله مثلاً وبنية مخلصة ، نعم وضوح الصبغة الإلهية هو أوضح لدى الصنف الثاني .

المجاهدين فإن أعمالهم جميعاً تعتبر من العبادات ذات البعد الإلهي ، لذلك فإن أعمالنا تبطل إذا لم نؤدّها بإخلاص ولن تساهم في رقيتنا وتقربنا من الله تعالى بل وفضلاً عن ذلك يكتب لنا بسببها الإثم « وهذا هو الفرق بين هذه الحالة وسابقتها المتعلقة بأعمال الكاسب والتاجر وأمثالهم . . » .

الذاهب إلى ميادين الجهاد لا يصدق عليه وصف المجاهد في سبيل الله تعالى حقاً ، ما لم يكن دافعُهُ للذهاب هو رضا الله سبحانه ومن أجل التقرب منه تعالى وأداءً للتكليف الشرعي - وما لم يتوفر هذا الإخلاص فلن يصدق على الذاهب إلى الجهاد وصف المجاهد حتى لو سُمي حارساً وجندياً للإسلام ، في الظاهر قد يُوصف بأنه مجاهد لكن صورته الملكوتية لن تكون كذلك .

مشارك من يرى في عمله غير الله تعالى ورضاه ، والقرآن الكريم يُوعدهُ بالويل والخسران ﴿ فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون ﴾ (٨٣) . ويقول في مكان آخر موضعاً حقيقة المرائين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلُه كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركهُ صلداً لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (٨٤) .

إذن فكل عمل لا يؤتى به من أجل الله تبارك وتعالى ﴿ يؤتى رياءً ﴾ ، فهو وفضلاً عن بطلانه يُوصل المرائي إلى حافة الكفر ويُحشر مع الظالمين ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٨٥) . رسول الله (ص) يقول : « إنما الأعمال بالنيات » (٨٦) أي أن أعمالكم مرهونة بنواياكم ، فإذا لم يكن العمل

(٨٣) سورة الماعون ، الآيات ٤ - ٧ .

(٨٤) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

(٨٥) سورة الصف ، الآية ٧ .

(٨٦) في صحيح البخاري ج ١ ص ٢٢ طبعة مصر عن الرسول الأكرم (ص) :

« إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » وورد في أصول الكافي والوسائل أحاديث متعددة بهذا المعنى .

خالصاً لله تعالى فهو إما شركٌ وإما كفر ، الهجرة تكون لله ولرسوله ، إذا كان الدافع إليها هو رضا الله ولأجل نصرة دينه^(٨٧) . الذهاب إلى ساحة المواجهة والمراطة فيها يُقبلان عند الله تعالى إذا كانتا لأجله سبحانه وتعالى ولأجل نصرة دينه ، والذهاب إلى ميادين الجهاد إذا قُتلَ كان شهيداً حياً عند الله تعالى إذا كان ذهابه بهذه النية ، وحتى إذا لم يُقتل في المواجهة بل في طريقه إليها أو بعد عودته فقد وقع أجره على الله تعالى وكان من المقربين عنده تعالى ، والجنة هي لأمثال هؤلاء ، ولهم الحق بالافتخار ببقاء الله .

ولكن ، وعلى العكس من الحالة السابقة ، فلن من يكون دافعه إلى الهجرة كسب المال ، أو الحصول على المنصب والجاه والرئاسة ، وبصورة عامة باقي الدوافع المادية الدنيوية ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ، تتحدد ثمرة هجرته ، بالمال القليل الذي يحصل عليه وكلمات المدح والثناء والإطراء التي يحصل عليها ، ويكون أجره أحسن في الدنيا وحسب^(٨٨) ، وحتى لو قُتل هكذا شخص في المواجهة فلن يُحسب من الشهداء إذ أن عمله لم يكن خالصاً لله تبارك وتعالى فلا قيمة له عند الله .

في أحاديث أهل البيت (ع) ورد أنه يُؤتى يوم القيامة بشخص ظاهره أنه شهيد فيُسأل ماذا كنت وماذا قدمت في دنياك لآخرائك ، فيقول كنت في قلب المعركة ، قاتلت وأبليت وكنت في خط النار الأول وتقدمت وقتلت وأخيراً قُلت في سبيل الله تعالى فيقال له أن : كذبت ، صحيح أنك كنت في المعركة وفي الخط الأول وهناك قُلت ولكن لماذا؟ ... كان ذلك لكي يُقال عنك نعم الرجل شجاع ... ويُقال لك أحسنت وبارك الله فيك ... ثم يصلر الحكم الإلهي أن ألقوه في جهنم^(٨٩) .

(٨٧) راجع الحاشية ٨٦.

(٨٨) يُراجع الحديث المتقدم في هامش الصفحة السابقة عن الرسول (ص) .

(٨٩) في كتاب التاج في الجامع للأصول من أخبار الرسول (ص) تصنيف منصور علي ناصير من علماء الأزهر ينقل حديثاً أورده مسلم والترمذي والنسائي في صحيحهم ، عن النبي الأكرم (ص) أنه قال : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد مؤتي به فعرفه - »

المسألة حساسة ودقيقة جداً ، وعليكم أيها المجاهدون أن تحذروا جيداً ، وانتبهوا جيداً كي تكون أعمالكم خالصة لوجه الله ، وإلا ستخسرون الدنيا والآخرة .

أيها الأعزاء ، يا من يقع الثقل الأكبر من الجهاد على عواتقكم ، أيها الجنود المجهولون ، انتبهوا واحذروا جيداً تجاه دوافع أعمالكم ونواياها ، كي تصيروا إلى جوار النبي (ص) ، وضمن جنوده المجهولين ، فما هناك من فخر أعظم من أن ينادى أحدكم بوصف ، الجندي المجهول من جند ولي الله الأعظم ، فخر ما بعده فخر ، أن يُؤتى بأحد المجاهدين يوم القيامة فيُوصف في المحشر بأنه من جند الإسلام ، نعم ، يوم القيامة يُؤتى بالمقاتل المجاهد في سبيل الله حقاً ، إلى المحشر فيعم النور كل الأطراف وتعبق رائحة طيبة كالملسك ، فيمتلئ الجميع عجباً ويتساءلون بحيرة : ما الخبر . . . ماذا حدث . . . وأين مصدر النور . . . فيأتي الجواب : أن أحد جند الإسلام ، أحد الجنود المجهولين قد دخل المحشر ، فهل من فخر بعد هذا ؟ ! .

جميع أعمالنا وأقوالنا وتعاملنا ، يجب أن تصطبغ بالصبغة الإلهية أي أن تكون لله ومن أجل رضاه ، خصوصاً ذهابنا إلى ساحات المواجهة وهجرتنا (٩٠) .

يُنقل عن بعض الرجال الربانيين أن أعمالهم ما كانت إلا واجبةً أو مستحبة فهم لا يجتنبون المحرمات والمكروهات وحسب ، بل والمباحات يتركونها أيضاً ، فالنوم مثلاً وهو من المباحات يُخرجونه من حيز المباحات إلى

= الباري عز وجل - نعمة فعرّفها ، قال - تعالى - : فما عَمِلَتْ فيها ؟ . . قال : قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ ، قال - عز وجل - : كذبتُ ولكنكَ قاتلتُ لأن يُقالَ جريءٌ فقد قيل ، ثم أمر به فسحبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار » المصدر المذكور ج ١ ص ٥٩ من طبعة بيروت . وفي بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٨٧ عن الرسول (ص) أنه قال : « إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين إنه ليس إياي أراد بها » .

(٩٠) في بحار الأنوار ج ٩٤ ص ١٤٧ عن السجاد (ع) ضمن دعاء له عليه السلام : « اللهم .. واجعل جهادنا فيك وهماً في طاعتك واخلص نياتنا في معاملتك » .

حيز المستحبات ، فيذهبون إليه بنية التقرب إلى الله ويصبح بذلك من العبادات ، وإليكم مثلاً تطبيقاً على ذلك من حياتكم العملية : مثلاً لتكون نيتكم عند الاستراحة والنوم هي أنكم تقومون بذلك من أجل إزالة التعب كي تتمكنوا بعد ذلك من القتال بصورة أفضل في سبيل الله تعالى ، وفي هذه الحالة يصبح النوم - وهو عمل مباح أصلاً - عبادة مقدسة ويكون له أجر صلاة الليل^(٩١) .

إن المجاهد يستطيع بإخلاص النية لله في كل أعماله أن يحصل على الأجر من جميع أعماله وحتى المباحات وأن يتقرب بها إلى الله تعالى ، إن تناول الطعام مثلاً يصبح عملاً عبادياً مقدساً له أجر عند الله إذا كان بنية التقوية من أجل نصرته الإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى ، ومن الضروري بالنسبة لجميع المجاهدين في سبيل الله أن تكون جميع أعمالهم من هذا النسق وبهذه الكيفية فهي ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ ونحن له عابدون .. ﴿^(٩٢) .

نقرأ في أحاديث أهل البيت (ع) أن لبعض أعمال الإنسان نوراً تتوهج به يوم القيامة وتعلل الأحاديث هذا النور بالإخلاص لله الذي أدت به تلك الأعمال .

وحصيلة ما تقدم هي أن الإخلاص في الأعمال ضروري وواجب على الجميع خاصة للمجاهدين ، ويبقى هذا الأمر ضرورياً يجب الحرص على تحقيقه في الأعمال على الرغم من صعوبة ذلك ، فلا قيمة للعمل بدون إخلاص ، ففقدانه يُبطل العمل أصلاً^(٩٣) .

(٩١) في مكارم الأخلاق ص ٤٦٤ ضمن وصايا الرسول الأعظم (ص) لأبي ذر الغفاري : « يا أبا ذر ، ليكون لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم والاكل .. » .

(٩٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٨ .

(٩٣) في بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٠٣ عن الرسول الأكرم (ص) قال :

« إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً لأنه لا يقبل من عباده الأعمال ، إلا ما كان خالصاً » .

وفي المصدر نفسه عن الإمام علي (ع) قال : - متحدثاً عن صعوبة إخلاص العمل - : =

وللإخلاص درجات متعددة بالطبع إلا أن بحث هذا الموضوع ليس ضرورياً هنا ، إلا أن من الضروري التأكيد مجدداً على وجوب أن يكون الدافع نحو جميع الأعمال هو الله سبحانه وتعالى ، أن تؤدي جميع الأعمال لأجل رضاه تعالى وعملاً بأحكامه ، الذهاب للمواجهة والقتال سواءً أن يقتل أو يُقتل ، العمل في التعبئة أو الجيش أو غيرهما ، الهجوم ، الانتصار ، الهزيمة . . . وجميع الأعمال الأخرى يجب أن تؤديها من أجل الله فقط .

« علائم الإخلاص »

من يستطيع القول بأن عمله خالص لوجه الله . . . الادعاء بدون برهان لا يكفي طبعاً . . . ، فللمخلص في عمله علامات ومميزات هي :

١ - أن لا يكون لتشجيع الآخرين وتثيبتهم أثرٌ عليه ، أي أنه لو قيل له أحسنت وأثني عليه لما سرَّ بذلك ولا يحزن بالمقابل إذا لم يُثنَ على عمله ، فالمخلص لله لا يتوقع من أي شخص جزاءً ولا شكوراً^(٩٤) ، فلو أحسن القتال في معركة وأبلى بلاءً حسناً وساهم في تحقيق النصر إلا أن قائده في المعركة لم يشجعه ولم يشكره فعلى المخلص حينئذٍ أن لا يحزن لذلك ، وإذا أدَّى القائد واجبه وشكر المقاتل وشجعه فالمخلص لا يفرح بذلك أيضاً ، أما إذا رأى المقاتل نفسه وقد فرح وسرَّ بمثل هذا التشجيع وتغير حاله بسبب ذلك فليعرف أن عمله لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى ومن أجل رضاه^(٩٥) .

= « تصفية العمل أشد من العمل ، وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد » بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢٨٨ .

(٩٤) قال تعالى في سورة الدهر حكايَةً عن أهل بيت الرسول (ص) في قصة الأربعة الثلاثة المشهورة التي تصدقوا بها : ﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا . . ﴾ (سورة الدهر ، الآية ٩) .

(٩٥) في مجمع البيان للشيخ الطبرسي في تفسير قوله تعالى في آخر آية من سورة الكهف : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

ينقل الطبرسي في تفسير الآية أن رجلاً أتى إلى النبي (ص) فقال : « إني أتصدق وأضل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيذكر ذلك مني وأحمد فيسرنني ذلك وأعجب به » ، فسكت رسول الله (ص) - علامة على عدم موافقته - ولم يقل (ص) شيئاً فنزلت الآية .

منذ فترة ، ذهب البعض من الشخصيات السياسية إلى الإمام الخميني وشكوا إليه وعاتبوه وقالوا . . . إننا قمنا بالكثير من الأعمال من أجل الثورة فقال لهم الإمام الخميني مجيباً : « الأجلي أنا قمتم بما قمتم أم لأجل الله ؟! إذا كان من أجلي أنا فلا قيمة ولا فائدة لعملكم ، وإذا كان من أجل الله تعالى فلماذا إذن تتوقعون مني أنا الشكر ؟! » . وكذلك حال جميع المجاهدين فأئى منهم إذا قام بعمل ما في المواجهة وكان عمله خالصاً لله تعالى ولأجل رضاه ، فما معنى أن ينتظر الشكر والمديح من الآخرين ، والعياذ بالله من أن يذهب الذاهب منا إلى ساحة الجهاد من أجل أن يمدحه الآخرين ويشنوا عليه ، لا من أجل رضى الله سبحانه وتعالى ، فمثل هذا يكون قد خسر في الواقع الدنيا والآخرة ، فضلاً عن أنه لن يحصل على شيء من عمله .

أما من يريد الفلاح والفوز في الدارين فليلتزم بهذا التوجيه الإلهي : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٩٦) .

أيها المؤمنون وأيها المجاهدون ، حذار حذار من أن تبطلوا أعمالكم النورانية الصالحة التي قمتم بها في المواجهات ، تبطلوها وتضيعوها وتخسروا أجراها بتوقع التشجيع والمديح والثناء من الآخرين .

٢ - من علائم المخلص لله الأخرى هي : عدم التفاخر والتعالي عن الناس بالأعمال الصالحة . . فمثلاً لا يجدر بالمخلص أن يشرع في الحديث عن نفسه بالمدح والثناء في كل مجلس يجلس فيه ، من قبيل أنني كنت في المواجهة الفلانية وشاركت في الهجوم الفلاني على المحور الفلاني ، وقمت

وفي مستدرک الوسائل للشيخ النوري ج ١ ص ١٠ الحديث السادس وفي بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٠٤ عن الرسول (ص) أنه قال : « إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمّد على شيء من عمل الله » .

وفي أصول الكافي باب الإخلاص ج ٢ الحديث الرابع عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « . . . والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمّدك عليه أحد إلا الله عز وجل » .

(٩٦) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .

بالعمل الفلاني بكل شجاعة ، وقتلتُ كذا نفرٍ من أفراد العدو ، ولم أخَف . . .
وتقدمت ، وبقيت كذا شهر في المواجهة . . . فهذا التفاخر بتلك الأعمال
يُحرقها ويُبطلها ويُذهب بأجرها .

الجندي المجهول المخلص - الذي يُفتخر به يوم القيامة - هو الذي يُنجزُ
الأعمال الهامة والمؤثرة في المواجهة ، ويُضحّي ويُقدم ما يستطيعُ أن يقدم ،
ثم لا يعرفُ أحدٌ ما قدّم وما عمل ، بل ولا يُسمع منه أبداً أنه كان في
المواجهة ، وللإسلام - والله الحمد - الكثيرُ من الجنودِ المجهولين ، ولتنصت
إلى الإمام الخميني حيث يقول : « أيُّ جنودٍ مجهولين قد وُهبوا لهذا
المجتمع » . . نعم فجميعُ مجاهدينا ومقاتلينا هم جند الإسلام المجهولون ،
فهم لا يتوقعون شكراً وثناءً سوى من الله . . . وهم يشكرون الله ويحمدونه على
كل حال ، وعلائم الإخلاص واضحةٌ وجليّةٌ في جند الإسلام الذين صنّعوا
الأمجاد للإسلام ولثورته ولا يزالون .

علاماتُ الإخلاص موجودةٌ - والله الحمد - في المجاهدين المؤمنين ،
ولكن يجب الحذر واليقظة لأن الأمرَ حسّاسٌ للغاية .

فقد ورد في الحديث أن جميع الناس على شفا الهلاك إلا العلماء ،
وجميع العلماء على شفا الهلاك إلا العاملون بعلمهم ، وجميع العاملين على
شفا الهلاك إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم^(٩٧) . . . وانتبهوا
إلى القسم الأخير من الحديث ، وتأملوا فيه .

ورغم أن الإخلاص - والله الحمد - متوفرٌ في ساحات جند الإسلام ، إلا

(٩٧) في تنبيه الخواطر للأمير الزاهد ابن ورام ص ٣٥٨ :

عن الرسول (ص) قال : « العلماءُ كلهم هلكي إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكي إلا
المخلصون والمخلصون على خطر » .

وهناك حديثٌ آخرٌ قريبٌ منه في مصباح الشريعة عن الصادق (ع) قال : « . . . هلك
العاملون إلا العابدون ، وهلك العابدون إلا العالمون ، وهلك العالمون إلا الصادقون ،
وهلك الصادقون إلا المخلصون ، وهلك المخلصون إلا المتّقون ، وهلك المتّقون إلا
الموقنون ، وإن الموقنين لعلّى خطرٍ عظيم . . » الحديث . الباب السادس عشر من مصباح
الشريعة والحديث ينقله صاحب البحار في ج ١٥ باب الإخلاص .

أن المعصوم (ع) يؤكد أن المخلصين في خطرٍ عظيم .

إن المخلص في أعماله إذا كان - لا سمح الله - يرجو الشكر والثناء من الآخرين ، فإنه سيفقدُ بذلك قيمة أعماله وصبغتها الإلهية وإذا حدث - لا سمح الله - أن تفاخرَ بأعماله ، فقد فقدَ الإخلاص وبُطلَ ومُحقَّ عملهم .

على الإنسان أن يضع نصب عينيه دائماً مبدأ العمل بالتكليف الشرعي ، إذا توجه إلى المواجهة فأداءً للتكليف الشرعي ، لا للتفاخر ، والعمل إذا كان أداءً للتكليف والواجب الشرعي فلا معنى للتفاخر فيه .

« معنى النصر والهزيمة »

٣ - من العلامات الأخرى للمخلص لله هو أن يكون النصر الظاهري والهزيمة الظاهرية بالنسبة إليه في مستوى واحد ، فالمجاهد المخلص إذا تغلب على عدوه أو انتصر عليه تحقق هدفه ، وإذا غلب وهُزم في الظاهر ، فهو منتصرٌ أيضاً في الحقيقة ، وقد حقق ما يُريد ، ويجب أن يكون مرفوع الرأس لأنه قد أدى واجبه الشرعي واجتهد في ذلك في كلا الحالتين^(٩٨) ، وأداء الواجب بحد ذاته يُعتبر من أعظم الانتصارات بالنسبة للعبد .

إذا حقق جند الإسلام النصر بإذن الله تعالى ودمروا العدو فما أحسن ذلك ، ولكن إذا هُزموا وغلبوا - لا سمح الله - فهم منتصرون أيضاً ومأواهم الجنة ، لماذا؟! لأنهم أدوا واجبهم الشرعي في كلا الحالتين :

وانطلاقاً من هذا الفهم نعرف أن لا معنى للهزيمة بالنسبة لجند الإسلام ، فالمهم والانتصار الحقيقي هو في أداء التكليف الإلهي ، ولا معنى للهزيمة بالنسبة لمن يؤدي تكليفه الشرعي^(٩٩) .

(٩٨) من الكلمات المشهورة للإمام الخميني (س) قوله : « لا معنى ولا وجود للهزيمة بالنسبة لمن يعمل في سبيل الله تعالى » .

(٩٩) أوضح مصداق تاريخي لهذا المفهوم الإسلامي هو واقعة الطف وملحمة الإمام الحسين (ع) فالإمام الحسين (ع) حسب القوانين العسكرية الظاهرية ، قد خسر المعركة وقتل هو وجميع أنصاره ، لكنه بحسب المنطق القرآني أحرز أعظم الانتصار فقد أدى تكليفه الشرعي بأفضل =

القرآن الكريم يُوضح هذا المفهوم الإلهي الذي يتميز به الإسلام فيقول مخاطباً الرسول الأعظم (ص): ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِينَ - الجنة أو الفتح - ونحن نتربصُ بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا ، فتربصوا إنا معكم متربصون... ﴾ [سورة التوبة ، الآية ٥٢] .

فحذارِ حذارٍ من أن تؤدي المصاعب والهزائم الظاهرية والمؤقتة ، تؤدي بكم إلى اليأس والوهن وتذكروا دائماً قوله تعالى : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١٣٩] .

بعد انتصار الثورة الإسلامية تشرف عددٌ من العاملين في شركة النفط بلقاء الإمام الخميني وخلال اللقاء قالوا له كلمةً لطيفةً مضمونها هو : « أننا لم نأت لنقول ماذا نريدُ نحن من الإسلام والثورة ، بل جئنا لنعرف ماذا يُريد الإسلام والثورة منا » فأجابهم الإمام - رحمه الله - : « إن الثورة والإسلام يُريدان منكم شيئين هما :

- ١ - البناء الذاتي لأنفسكم وتهذيبها - مجاهدة النفس - .
- ٢ - أن تؤدوا الواجب والمسؤولية الملقاة على عواتقكم بأفضل ما تستطيعون » .

وهذان الأمران هما ما يُريدهُ إمام العصر (عج) من المجاهدين بل ومن الجميع ، تهذيبُ النفس والبناء الذاتي وأداء التكليف ، التكليف الشرعي والمسؤولية الملقاة على العاتق بأفضل وجه ممكن .

- ٣ - وكما تقدم مراراً ، فالجبهة مدرسة لبناء الإنسان ، وعليكم فيها بالدرجة

= صورة رغم علمه (ع) بعظمة الصعوبات التي عليه أن يتحملها في سبيل أداءه لهذا التكليف . وهو (ع) متصرٌّ لأنه حقق هدفه وحفظ الرسالة بمقتله عليه السلام وأصحابه ، بعد أن كانت قد حفظتها انتصارات بدر والأحزاب وفتح مكة وصلاح الحديبية . فتأمل الفرق بين الحاليين فالانتصار العسكري الظاهري في بدر والهزيمة العسكرية الظاهرية في واقعة الطف كلاهما قد حققا الهدف - وهو حفظ الرسالة الإسلامية - ولا بأس أن نذكر هنا بالكلمة المشهورة التي قالها غاندي زعيم الهند الراحل - وهو ليس من المسلمين على كل حال - : « تعلمتُ من الحسين كيف أكون مقتولاً ومتصراً » .

الأولى أداء التكليف الشرعي بالصورة المطلوبة ، سواء في الخط الأول أو في الخطوط الخلفية ، في الهجوم والدفاع ، أحرصوا على حسن الأداء للواجب . . . أدوا كل ما يطلبه القادة منكم فهذه من علامات الإخلاص في العمل .

٤ - من علائم المخلص لله الأخرى هي أن تكون الإقالة والتنصيب ، رفع الدرجة وخفضها . . . هذه الأمور كلها تكون بالنسبة إليه - المجاهد المخلص - بدرجة واحدة أي أن لا يتغير حاله إذا عُزل من منصبه وعُين في منصب آخر^(١٠٠) . فهذه من علامات الإخلاص الأخرى بل إن من علائم المخلص أيضاً أنه إذا عُين في منصب أو كُلف بمسؤولية وهو يعرف أن هناك من هو أجدر منه بها وأقدر على أدائها ، فيجب عليه حينئذ أن يتنازل عن تلك المسؤولية ويعهد بها إلى الأصلح لها وهذا هو الواجب على المجاهد .

٥ - ومن علائم المخلص أيضاً هي أن لا يُسيء استغلال المنصب والجاه والموقع والزي وباقي الأمور الاعتيادية المماثلة ، أن لا يتفاخر ويتعالى على الآخرين بمنصبه وزيه ولو أصبح الحال كذلك - والعياذ بالله - لتحول إلى وثني من الأوثان^(١٠١) ، ومن يلجأ إلى هكذا استغلال سيء يفقد الإخلاص في عمله ويُنادى يوم القيامة بالمشرك ، فسوء استغلال الزي نوع من الشرك ، عندما يفرض الفرد نفسه على الآخرين باستغلال زيه ومنصبه أو يستغل ذلك للحصول على بضاعة بسعر أرخص ، ويتجاوز الصف أو - والعياذ بالله - يستغل زيه ومنصبه لأذية الناس وإرعابهم ، هذا الفرد يصبح مشركاً بهذه الأعمال

(١٠٠) في غرر الحكم عن الإمام علي (ع) قال : « ذو الشرف لا تطهره منزلة نالها وإن عظمت ، كالجبل الذي لا تزعزعه الرياح » غرر الحكم ٤٠٧ وتشبيه المنزلة بالجبل إشارة إلى قوة المنصب وثباته .

(١٠١) وفي وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٨٣ عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال في آخر خطبة خطبها بالمسلمين قبل مرضه الذي توفي فيه (ص) :

« ومن لبس ثوباً فاختال فيه - تفاخر وتعالى وتكبر - خسف الله به من شفير جهنم يتخلخل فيها ما دامت السموات والأرض » . ويُلاحظ على النص أن الرسول (ص) ذكر التفاخر بمطلقه الذي مهما كان نوعه دون تخصيص حتى لو كان زِي عالم الدين أو المجاهد أو غيره .

وينادى يوم القيامة بهذا الوصف ، إذا تفاخر أحد - لا سمح الله - بسميته ونظر بنظرة استصغار واحتقار إلى أخيه ، فلن يعود مصداقاً لحارس الإسلام وجندي صاحب الزمان (عج) ، فمن أهان مسلماً فكأنما أهان الله تعالى^(١٠٢) ، إهانة مجاهد لأفراد آخرين أو بالعكس ، هذه الإهانة هي نظير محاربة الله والذي يلجأ إليها لا يعتبر ذاهباً إلى جبهات محاربة الكفر بل محاربة الله سبحانه^(١٠٣) .

إذا أهان الأمرُ مقاتلاً ممن تحت أمرته أو احتقره واستهان به . . . هذا الأمر لا يُعدّ بذلك من أمراء جيش الإسلام ، بل من أمراء جيش الشيطان ، ويعتبر بمثابة من يعبدُ الأصنام والعياذ بالله ، وهو بمثل تلك الأعمال يحوّل خندقه من كونه أعظم حرمة من المسجد الحرام إلى محلٍ لعبادة الأصنام . إن إثارة الشائعات ، التنازب بالألقاب ، الإهانات المتبادلة ، التفاخر ، الرياء ، الكذب ، الغيبة ؛ إن هذه الأعمال وأشباهها تحول الجبهة من محل تجلي نور الله تعالى إلى مكانٍ لعبادة الأصنام ، وهذا ما يريده الشيطان ويؤليه أهمية كبرى .

إن الشيطان يسعى جاهداً من أجل انتزاع واستئصال الإخلاص لله والصفاء من قلوب الجميع ، فاحذروا الشيطان ودسائسه ، وكما أنتم والله الحمد متغلبون على شياطين الإنس ، تغلبوا أيضاً على شياطين الجن والنفس الأمارة بالسوء وذلك بأن تؤدوا أعمالكم جميعاً بإخلاصٍ ومن أجل الله تعالى ورضاه فقط^(١٠٤) ، وإن شاء الله تكونون كذلك .

(١٠٢ و ١٠٣) في أصول الكافي ج ١ ص ٣٥١ .

حماد بن بشير عن الإمام الصادق (ع) عن الرسول (ص) قال : « قال الله تبارك وتعالى من أهان لي ولياً فقد أصدّ لمحاربتي » .

وفي ص ٣٥٢ من المصدر نفسه عن معلى بن خنيس عن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « قال الله عز وجل : قد نابذني من أذلّ عبدي المؤمن » .

وعلى العكس من ذلك فضل إدخال السرور إلى قلب المسلم فعن الباقر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « من أسر مؤمناً فقد سرنى ومن سرنى فقد سرّ الله » الكافي ج ٢ ص ١٨٨ .

(١٠٤) في صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١٢ .

« شروطُ قبول الجهاد في سبيل الله »

التقوى . . . صفةٌ أخرى من الصفات الحميدة الواجب توفرها في كل مسلم خاصةً أولئك الاعزاء المرابطين والمجاهدين كافةً في سبيل الله تعالى .
من يخشى الله تعالى حق خشيته فيجتنب ما حرم ويؤدي ما فرض الله عليه شخصٌ كهذا تكون أعمالُهُ مورداً لقبول الله سبحانه ، وهذا ما يؤكدُه القرآن الكريم ويصرح به في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فعبادةُ الفاسق لا تحظى بقبول الله تعالى على الرغم من أنها تقع صحيحةً بحسب الظاهر ، فالأساس الحقيقي لصحة الأعمال وقبولها هو التقوى ، فعلى جميع المسلمين ، خصوصاً المجاهدين . وبالأخص من كان منهم في ميادين الجهاد ، عليهم جميعاً أن يتحلوا بتقوى الله ويجعلوا من خنادقهم مساجد ومحالاً لعبادته تبارك وتعالى .

فالجبهةُ ، المعسكر ، وأي محل آخر للعمل الجهادي يجب أن تكون جميعاً بالنسبة للمجاهد في سبيل الله مسجداً ومعبدًا ، أي بعبارةٍ أخرى أن على المجاهد أن يذهب إلى ساحة الصراع وهو يمتلك حالة التقوى السلبية على الأقل ، ويعودُ منها وهو يمتلك التقوى الإيجابية .

« التقوى السلبية والتقوى الإيجابية »

١ - التقوى السلبية . . . وفيها يعتزل الإنسان الناس كي لا يرتكب الذنوب والمعاصي ويسعى جاهداً للابتعاد عنها ويحرصُ على أداء واجباته الشرعية .

٢ - التقوى الإيجابية . . . وهي ملكة تترسخُ في قلبِ وروح المؤمن وتحجزُهُ عن ارتكاب المعاصي سواء كان بعيداً عن الناس أم يعيش في أوساطهم وهذه الملكة هي التي يُطلق عليها الفقهاء وصف العدالة ومصادقها العملي أن يلتزم المسلم وخاصةً المجاهدون الذين يعيشون في الجبهة وفي وسط الناس - غير معتزليهم - يلتزم الواحد منهم بالاجتناب عن المحرمات فضلاً عن التزامه بواجبات التكاليف الإلهية ، شريطة أن يكون هذا الالتزام ملكةً راسخةً في القلب والروح .

التقوى السلبية تعني اعتزال الناس لترك المحرمات ، لكن الإيجابية تعني اجتناب المحرمات والالتزام بالواجبات مع البقاء بين الناس ، في التقوى الإيجابية يجدُ المتصف بها حالةً من النفرة والانزجار والكراهية للذنب عندما يواجهه وبالعكس يجدُ حالةً من الشوق والرغبة والحب للعمل المستحب والواجب ، وهذه الحالة هي التي يُطلق عليها الفقهاء العظام وصفَ العدالة .

« ضعفُ أثر التقوى السلبية » :

التقوى السلبية بحد ذاتها جيدة ، لكن مدى تأثيرها ضعيفٌ جداً ومحدودٌ للغاية أي أن الإنسان لا يستطيع بامتلاك التقوى السلبية لوحدها ، أن يصون نفسه عن الوقوع في المعاصي على المدى البعيد ، ومن مصاديق التقوى السلبية ما يُنقل عن بعض أصحاب الرسول الأعظم (ص) من أنهم كانوا يضعون الحصى تحت ألسنتهم من أجل تجنب زلات اللسان وآفاته ، لكن الأفضل من ذلك هو أن توجد في الإنسان حالة النفرة والإعراض داخلياً عن الغيبة والتهمة والبهتان وإثارة الشائعات وباقي آفات اللسان بل وباقي الذنوب وبذلك تحصل لديه ملكة اجتناب تلك المعاصي أي أنه حصل على التقوى الإيجابية وعند ذاك لن يحتاج إلى وضع الحصى تحت لسانه لتجنب زلاته فإن له ما يمنعه عن ذلك في داخله .

= « أتى النبي (ص) أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله الرجلُ يُقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذكر والرجل يُقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله » .
فقال رسول الله (ص) : « من قاتل لتكون كلمة الله أعلَى فهو في سبيل الله » .

ومن مخاطر التقوى السلبية هي أنها من الممكن أن تُوصل الإنسان إلى سوء العاقبة ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما حدث لعبد الملك بن مروان ، فهو قد بنى هذا النوع من التقوى في نفسه قبل الخلافة ، فكان أن اعتزل الناس واعتكف في المسجد للعبادة ولكنه لم يُوجد في نفسه ملكة التقوى الإيجابية حقاً ، وقد ظهر ذلك عند وصول نبا تنصيبه خليفة إليه ، بمجرد وصول النبا القى بالمصحف الذي كان في يده على الأرض وخاطبه قائلاً : هذا فراق بيني وبينك ، وعبد الملك نفسه هذا يقول عن نفسه ، كنت أتأذى إذا قيل لي أن أحداً قتل بعوضة أما الآن فإن الحجاج يكتب إلي أنه قتل المئات دفعة واحدة ، فلا يؤثر ذلك في نفسي وكان شيئاً لم يكن^(١٠٥) .

ومن مخاطر التقوى السلبية أيضاً أنها قد تؤدي إلى سوء الخلق وإلى خشونة التعامل مع الآخرين والنفرة منهم ، وهذا ما يحدث أحياناً للذين يعتزلون الناس ويقطعون أي تأثير إيجابي أو سلبي مع الآخرين ، وهؤلاء إذا دخلوا مجلساً أو احتكوا بالناس ، داخلهم التعالي عليهم واحتقارهم ، لكنهم إذا وصلوا إلى منصبٍ ومقامٍ ، أطلقوا العنان لغرائزهم المكبوتة فلا يقف شيء في طريقهم عندها .

ورغم ما تقدم ذكره من مخاطر التقوى السلبية ، إلا أن استحصالها يبقى أمراً مطلوباً وجيداً للغاية ، شريطة أن يكون مقدمة لاستحصال التقوى الإيجابية ولكن ويل للمجاهد الذي يذهب إلى ميادين الجهاد ويعود دون أن يُرسخ في نفسه حالة التقوى الإيجابية ، فالخندق وميادين الصراع هي محل ومدرسة التكامل .

(١٠٥) في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢١٧ ط . مصر ، عن ابن أبي عاثشة قال : أفضى الأمر - الخلافة - إلى عبد الملك والمصحف في حجره ، فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك . وفي ص ٢١٦ من المصدر نفسه : « كان - عبد الملك بن مروان - عابداً زاهداً ناسكاً قبل الخلافة » ، إلا أن حاله تغير بعد الخلافة كثيراً ، وهذا ما توضحه الرواية التالية التي يرويها السيوطي في المصدر السابق ص ٢١٦ والتي يعترف عبد الملك نفسه بسوء العاقبة التي آل إليها بعد أن وصل إلى كرسي الحكم ، يقول السيوطي : « وكان - عبد الملك - يجلس كثيراً إلى أم الدرداء فقالت له مرة : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة ، فقال عبد الملك : أي والله والدماء قد شربتها » .

« هو الله الذي يشتري الأموال والأنفس »

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يُقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١١] .

إذن تجارة المؤمنين هي مع الله سبحانه وتعالى وهو الشاري لأموالهم وأنفسهم وهو يعدمهم الجنة ولقاءه عوضاً .

وبالطبع فإن الله لا يشتري كل مالٍ ونفس ، بل إن لهذه المعاملة شروطاً ولمن يشتري الله تعالى أنفسهم وأموالهم صفاتٌ تحددها الآية الكريمة التالية :
﴿ التائبون العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون الساجدون ، الأمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشّر المؤمنين ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٢] (١٠٦) .

« شروط قبول الجهاد في سبيل الله »

والآن نأتي إلى تفصيل ما أجملته الآية الكريمة من شروط التجارة مع الله تعالى .

١ - التائبون . . . أول تلك الشروط هي تدارك ما فات أي التوبة والإنابة إلى الله تعالى ، إذن فالشرط الأول الواجب توفّره في المجاهد في سبيل الله هو التوبة والإنابة إلى الله وتدارك ما فات ، فيقضي ما عليه من صلاةٍ وصيامٍ مثلاً ،

(١٠٦) في كتاب الكافي للكليني بإسناده عن سماعة عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال :

« لقي عباد البصري علي بن الحسين (ع) في طريق مكة فقال له :

- يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأتيت إلى الحج وليوته ؟! إن الله يقول :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين . . . ﴾ إلى آخر الآية .

فقال علي بن الحسين (ع) :

- إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج ،

وعلق العلامة الطباطبائي على الرواية في تفسير الميزان ج ٩ ص ٤٠٥ بقوله : « يُريدُ عليه

السلام ما في الآية الثانية ﴿ التائبون العابدون . . . ﴾ من الأوصاف » .

ويؤدي ما بذمته من حقوق شرعية ، ويستثمر أوقات فراغه في الجبهة في أداء ما عليه من صلاة قضاء ، أو إذا كان قد ارتكب في الماضي - لا سمح الله - بعض المعاصي غفلةً أو جهلاً فعليه تدارك ذلك بالاشتغال في خندقه بالمناجاة والتضرع إلى الله تعالى والبكاء في حضرته القدسية ، وبالتالي أن يغتسل في الجبهة بماء التوبة الطاهر ، وحذار حذار من ارتكاب المعاصي السابقة - والعياذ بالله - الحذر كل الحذر من الوقوع في الكذب والغيبة وإثارة الشائعات وعدم التهرج تجاه أموال المسلمين ، فلن يشتري الله مالاً ونفس من يرتكب المعاصي ، والله الحمد والمن فقد تحول وضع الخنادق حالياً إلى الصورة التي أصبحت معها محلاً للعبادة وتهذيب النفوس والارتباط بالله تعالى .

٢ - الشرط الثاني ، وهو اشتغال المجاهدين بالعبادة ، وقد تقدم توضيحه ، الخندق يجب أن يكون محلاً لإقامة صلاة الليل وتلاوة القرآن ، أمير المؤمنين (ع) لم يكن يترك الصلاة على وقتها في أخرج ساعات الحرب وأكثرها حساسية ، بل كان يحرص على إقامة معظم الصلوات جماعة .

المجاهد يجب أن يحذر من عدوين في وقت واحد ويحاربهما ويجاهدهما معاً ، أحدهما المعتدي الخارجي الذي يهاجم حدود المسلمين والآخر الداخلي وهو النفس الأمارة بالسوء . وكلا العدوين تجب محاربتهم بقوة وبطولة ورجولة وتحقيق النصر عليهما بالإرادة الصلبة .

يذكر المؤرخون ، أن العقيلة زينب (ع) لم تترك صلاة الليل طوال سفرها الصعب والقاسي خلال سببها بعد واقعة الطف ، ويذكر المؤرخون أيضاً أن أصحاب أبي عبد الله الحسين (ع) كانوا طوال ليلة العاشر من المحرم ، ما بين راكم وساجد وتالٍ للقرآن ، فكان يُسمع لهم من ذلك دوي كدوي النحل ، وفي السفر إلى الشام ، كان صعباً وقاسياً أشد القسوة ، حال قافلة الإمام الحسين (ع) ورغم ذلك لم تترك العقيلة زينب (ع) صلاة الليل طوال سفرها الشاق ، زينب كانت في كل ليلة وعندما يحن الليل ، تنهض إلى صلاة الليل بعد أن تنوم الأطفال ، زينب عليها السلام كانت تؤدي صلاة الليل من جلوس ، فيسألها الإمام السجاد عن ذلك ، فتجيب أن : يا ابن أخي إن رجلي لا تقويان على حملي .

نعم ، جبهة الإمام الحسين (ع) وأصحابه كانت معبداً حقاً ، وأنتم يا أنصار الحسين أنتم يا من سمعتم بقلوبكم عبر كل هذه القرون ، نداءً هل من ناصر ينصرني فليبتم النداء بأرواحكم ، عليكم أن تقتدوا بإمامكم وتجعلوا ميادين قتالكم كميادين الطف ، محارب للشهادة والدم ، تُودعون فيها عبادتكم ، كونوا أيها الأعداء على حذر ويقظة من مكر كلاً العدوين .

٣ - الشرط الثالث ، شكرُ أنعم الله تعالى ، عليكم أن تشكروا الله في خنادقكم وجبهاتكم ، أن تشكروه وتحمدوه تعالى لأنه وفقكم للجهاد في سبيله ، وفقكم للتواجد في هذه الأماكن المقدسة ميادين الجهاد وأبعدكم عن الضلال وأوكر التآمر والأوكر المشبوهة ، فأى شباب كانوا في تلك الأوكر ، كانوا في البداية شباباً مسلمين ثوريين أمثالكم ، ولكن عاقبة أعمالهم آلت إلى السوء .

أيها الإخوة ، فكروا في التوفيق والنعمة التي وهبت لكم بالحضور في جبهات الصراع المقدس ضد الباطل ، ونعمة الحصانة والمناعة ضد الانحراف .

أيها الأخوة العسكريون ، إذا سجدتم شكراً لله ألف مرة في اليوم ، لكان مناسباً ، فكروا مع أنفسكم ، هل كانت نجاتكم وخلصكم من تسلط قوى الكفر ، هل كانت لتكون لولا رحمة الله تعالى ورعايته .

إذا أرسل أحد قسراً وخلاف رغبته والعياذ بالله ، فلن يكون أهلاً لأن يشتري الله نفسه وماله ، لأنه لم يعرف قيمة النعمة الكبرى ، نعمة التوفيق للجهاد في سبيل الله والذهاب إلى جبهات محاربة أعدائِهِ تعالى .

نعم ، عليكم جميعاً أن تشكروا الله وتحمدوه على نعمائِهِ ، أنتم لم تثوروا من أجل الدنيا ومادياتها ، بل من أجل إحياء دين الله وسنة نبيه ، انتفضتم وثرتم ، ومعروف أن تطبيق الأحكام الإلهية يستلزم وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً ومكثفاً ، خاصة في الظروف الحالية ، حيث اتحد أعداء الإسلام جميعاً من أجل وأد كلمة الله والحيولة دون انتشارها ، النبي الأكرم (ص) لم يكن لديه أعداء كأميركا وروسيا ورغم ذلك فقد استغرق تثبيته (ص) لأنظمة الحكم الإلهي الواحد بعد الآخر إلى ثلاثة وعشرين عاماً ، أنتم لديكم الآن مصاعب

وعراقيل خارجية كبرى على مستوى العالم وأخرى داخلية أيضاً ، وللتغلب عليها يجب على المجاهد أن يهذب نفسه ويصطبغ بصبغة الله تعالى بحيث لا يبقى هناك محور له وحاكم عليه سوى الله تعالى ، عندما يذهب إلى ميادين الجهاد ويودع روحه وماله بيد الله عز وجل ، عليه أن يكون حذراً ويسعى لكي يلاقي الله تعالى بنفس النية السليمة التي ذهب بها إلى الجبهة دون أن تشوبها شائبة ، كونوا حذرين كيلا تسقطوا وتحبط أعمالكم بالغيبة والكذب والسخرية وإثارة الشائعات وإطلاق التهم وغيرها من الذنوب .

توسلوا بالتخلية والتحلية وتهذيب الأخلاق وأنتم في طريقكم إلى لقاء الله ، تسابقوا إلى قربته تعالى وتحسسوا هيئته تعالى على أرواحكم ، واعلموا أن ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . . ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٧] ، والذين آمنوا يهيم الله تعالى على قلوبهم ويشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم ويرعاهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور . . .

٤ - الشرط الرابع ، هو كثرة الركوع والسجود ، فالخندق يجب أن يصبح محراب المجاهد ، . . عن أويس القرني تُنقل الكثير من الحالات الغريبة ، فقد كان له ورد خاص في كل ليلة ، في إحدى الليالي ظل راکعاً حتى الفجر وأخرى ظل ساجداً حتى الفجر ، وثالثة ظل قائماً حتى الفجر ، ويُنقل عن أويس أيضاً أنه قدم إلى المدينة للتشرف برؤية رسول الله (ص) ، ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، إذ كان الرسول خارجاً عن المدينة في سفر ، وعندما عاد (ص) قال : « إني لأجد رائحة الله في المدينة . . » ، نعم لقد كان أويس القرني ذائبا في الله تعالى وفي رسوله وعاشقاً حقيقياً له (ص) ومرتبطاً به روحياً إلى الحد الذي أنه وعندما كُسرَتْ بعض أسنان الرسول (ص) في معركة أحد سقطت بعض أسنان أويس رغم أنه لم يكن قد رأى الرسول (ص) حتى ذلك الوقت أصلاً .

وكانت عاقبة أويس الحسنى بعد سنين حيث استشهد في معسكر أمير المؤمنين (ع) في معركة صفين وعرجت روحه الزكية إلى بارئها جلّ وعلا .

فيا أيها المجاهدون ، أيها المرابطون في الجبهات ، إذا أردتم أن

تصبحوا أهلاً للتجارة مع الله تعالى ، فأكثرُوا ذكرَهُ تعالى ، وعبادته والركوع والسجود الطويل ، الصلاةُ هي أفضل عملٍ يقرب العبد إلى بارئه ، فصلُّوا النوافل في الجبهات ، أدّوا ما عليكم من صلوات قضاء ، أأَمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، احفظوا أَلْسِنَتَكُمْ ، عمقوا التقوى في أنفسكم لكي تكونوا أهلاً لأن تنطبق عليكم الآية الكريمة ويوفقكم الله لشرف لقاءه وقربه عز وجل .

٥ - الشرط الخامس . . . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . هذه الفريضة الإلهية الهامة أحرصوا عليها وحافظوا عليها حية في المجتمع ، كي تنتور جبهاتنا بنور العناية الإلهية ورعاية إمام العصر (عج) .

في أداء هذه الفريضة ، احرصوا على مراعاة الأخلاق الإسلامية كاملةً فلن تستطيعوا بأي حال أن تؤدوا هذه الفريضة وهذه العبادة العظيمة بالصورة المطلوبة ، إذا لجأتم إلى الغضب والغلظة والعنف والخشونة في الأخلاق ، بل يمكن أدائها بالكلمة الطيبة والتعامل الصحيح والأخوي ، ليكن كلُّ منكم واعظاً للآخر وأحرصوا على الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في الجبهة وفي أوقات الفراغ أحرصوا على أن يعلم من يعرف منكم علماً الآخرين ، تدارسوا الأحكام الشرعية وحرصوا على التعليم والتعلم .

أيها الأعضاء في الجبهة وفي غيرها ، تجنبوا اللغو وآفات اللسان فهي تُورث ضغط القبر وكدورة القلب ، وبدلاً عن اللغو ليعظ ويذكر أحدكم الآخر .

٦ - الشرط السادس . . . حفظ حدود الله . . . اعملوا بحيث لا تقعوا في المعاصي ، فمتجاوزوا حدودَ الله ، فأفضل الأعمال اجتناب المحارم ، وثوابها أعظم من صلاة الليل والصيام المستحب وغيرها .

اجتناب المحارم ورعاية حدود الله وحفظها هي أفضل أعمال المجاهد في سبيل الله ، سواء كان في الجبهة أو غيرها .

ومع توفر هذه الشروط يتأهل المجاهد للتجارة مع الله ولأن يشتري الله تعالى ماله ونفسه ، ويكون جهاده مقبولاً عند الله تعالى وفي هذا الوصول إلى سعادة الخلد .

« التقوى »

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١٠٩] .

النظرة القرآنية تجاه الأعمال تؤكد صراحةً ، أن العمل المرتكز على التقوى يحظى بمباركة الله تعالى له ورضاه ورضا رسوله (ص) على العكس من العمل الذي لا يرتكز على التقوى فإنه لن يحقق شيئاً وإن كان في الظاهر جيد .

الآية الكريمة المتقدمة ومن أجل توضيح هذه النظرة وتسهيل إدراكها ضربت لها مثلاً محسوساً ، فشَبَّهت العمل الذي لا يرتكز على التقوى ببناء يُقام على حافة جرفٍ هارٍ يقع في مجرى الطوفان ، فهل يُمكن لهكذا بناء أن يصمد ويقاوم الطوفان ؟ ! .

من هذه الآية الكريمة يُستفاد أن الجبهة والمؤسسات العسكرية تكون مباركة ومفيدة للإسلام عندما يكون أساس عملها هو تقوى الله تعالى ، ويُفترض أن لا تقع المعصية في الجبهة لكي تصبح جبهة قوية أساسها ثابت وهي التي يُكتب لها النصر ، وأما الجبهة التي يُعصى فيها الله تعالى : « كارتكاب ذنوب الغيبة والكذب ، الإهانة المتبادلة ، الطعن ، إثارة الشائعات ، التهاون تجاه الفرائض وغيرها من الذنوب » جبهة كهذه واضح أنها لا تستند على أساسٍ قوي ولا ثابت وهي شبيهة إلى حد بعيد ببناء يُقام على شفا جرفٍ هارٍ . . . وجبهة كهذه من المحتم أن يؤول مصيرها إلى التفكك والزوال . يجب أن يكون

المجاهدون متّقين وبعيدين كل البعد عن الذنوب ، وليعرفوا أن أي عمل لا يستند على التقوى لن يحظى برضا الله ولن يعتبر فاعله مجاهداً ولو كان مرابطاً في الجبهة ، بل وفي الخط الأول للنار .

« مراتب التقوى »

على جند الإسلام ، أن يحرصوا كل الحرص على الالتزام بالفرائض واجتناب المحارم فهذه هي أول مراتب التقوى ، ومن أراد أن يعرف نفسه « مقدمة لمعرفة ربه » ويختبر حقيقة تقواه ، فعليه أن ينظر إلى مدى التزامه بالفرائض وحرصه عليها ، مدى التزامه بأداء صلواته المفروضة مثلاً ، كما عليه أن ينظر إلى مدى اجتنابه للمعاصي^(١٠٧) .

في حديث يُروى عنه ، يذكرُ الإمام الصادق (ع) أن من علائم التقوى هو الالتزام بالواجبات ، ويضرب مثلاً لذلك فيشير عليه السّلام إلى أداء الصلاة في أول وقتها جماعةً بخضوع وخشوع قلب ، ويعتبر هذا الالتزام من علائم التقوى^(١٠٨) .

الالتزام بالفرائض والاجتناب عن المحارم هو أحد شروط قبول الجهاد في سبيل الله ، فعلى المجاهدين والمقاتلين إذا أرادوا أن تحظى أعمالهم بالقبول ، عليهم أن يلتزموا بالواجبات بأفضل وأحسن صورة ممكنة .

القرآن الكريم يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ . . . فإذا أردتم الانتصار على أعدائكم سواء أعداء الداخل أو الخارج ، فاستعينوا على ذلك بالصبر والصلاة ، بالطبع الصلاة على وقتها ، في المسجد ، جماعةً ، بخضوعٍ وخشوعٍ ، مع أداء تعقيباتها ، وبالصبر عليها ، . . . الرسول

(١٠٧) في أصول الكافي للكليني ج ٢ باب أداء الفرائض عن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس » .

(١٠٨) في وسائل الشيعة ج ٥ ص ٣٧٨ عن الصادق (ع) قال : « من صلى الخمس في جماعة فظنوا به خيراً » .

وفي كتاب المحاسن للبرقي ص ٨٢ عن الصادق (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) : « لا يزال الشيطان هائباً لابن آدم ذعراً منه ما صلى الصلوات الخمس لوقتهن » . .

الأعظم (ص) يقول ضمن وصاياه لأبي ذر : « يا أبا ذر : أعبد الله كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه ، فإنه يراك . . . » (١٠٩) .

إن المقاتل في الجبهة إذا كان قادراً على أداء الصلاة جماعةً ولا يفعل ، ينضم بذلك إلى الذين يبغضهم الله تعالى ، والقرآن الكريم يتوعد المستخفين بصلاتهم بالويل ويقول : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ (١١٠) ، ويقول أيضاً : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ [سورة مريم ، الآية ٥٩] .

إذن الآية الكريمة تحذر من أن النار مأوى من يستخف بصلاته ويتهاون في أدائها « مثلاً يستطيع أداءها جماعةً أول وقتها ولا يفعل ، ولا يهتم بتسبيحات الزهراء وباقي التعقيبات » .

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتان ١ - ٢] .

« تبعات إهمال الفرائض الإلهية »

الهزيمة ، ضعف الإرادة ، الوهن ، الاضطراب والقلق ، هذه هي بعض الآثار السيئة التي تُصيب الإنسان الذي لا يهتم بأداء الفرائض ، الذي لا يحرص على تكاليفه الشرعية يعيش حياةً مرّةً قلقاً ، وعند موته ينتزع ملك الموت روحه بقسوة ، وهنا يجب التذكير أن هذا هو حال الذي يستهين بصلاته

(١٠٩) مكارم الأخلاق ص ٤٥٩ والوصايا يذكرها الشيخ الصدوق أيضاً في كتاب من لا يحضره الفقيه وفي كتاب المحاسن للبرقي عن أبي حمزة الثمالي عن السجاد (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، قالوا : يا رسول الله ، ما المنجيات قال : خف الله في السر كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . . » الحديث ص ٣ الحديث الثالث .

(١١٠) في تفسير الميزان ج ٢٠ في تفسير الآية نقلاً عن كتاب الخصال للصدوق عن الإمام علي (ع) أنه قال في حديث الأربعمئة : « ليس عمل أحب إلى الله عز وجل من الصلاة فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا فإن الله عز وجل ذم أقواماً فقال : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ يعني غافلون استهانوا بأوقاتها .

ولا يوليها الاهتمام الكافي - أي حال الذي يستخفُّ بها - ، وليس هو مصير الذي لا يصلي أبداً - والعياذ بالله تعالى - .

نعم ، العار والندم يوم القيامة ، ضغطة القبر ، صعوبة النزع عند الاحتضار هذه هي بعض عواقب من استخف بصلاته لا من تركها .

الإمام الصادق (ع) يقول : « لا تنال شفاعتنا من استخف بالصلاة »^(١١١) . ومن مصاديق الاستخفاف بالصلاة تأخيرها عن وقتها وأداؤها عجلة في آخر وقتها .

ولما تقدم ، اجتهدوا أيها الإخوة ، لكي تحولوا جهاتكم وخنادقكم إلى مساجد ، اجعلوا محال عملكم معابد وأماكن يتجلّى فيها نورُ الله ورعايته ورحمته تعالى ، والله الله في الصلاة فإنها عماد دينكم .

« الحرب والجهاد لإحياء دين الله »

على الإخوة المجاهدين جميعاً أن يضعوا نصب أعينهم دائماً ، أن انتفاضتهم وجهادهم وذهابهم إلى ميادين الجهاد ، هو من أجل إحياء الصلاة وباقي أحكام الله ، فإذا استخفَّ بالصلاة فهذا يعني أن الجبهة فقدت معناها ، لنعرف أن تحسّل جميع هذه المصاعب هو من أجل إحياء الدين الإسلامي المقدس .

نقرأ في زيارة أبي عبد الله الحسين (ع) : « أشهدُ أنك أقمّت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرتَ بالمعروف ونهيتَ عن المنكر » . . . نعم ، سيد الشهداء جاء إلى كربلاء من أجل أن تظلَّ أحكامُ الله تعالى حيّة ، استشهد (ع) من أجل أن تبقى الصلاة حيّة ، جميعُ أهل البيت (ع) تحملوا مختلف أنواع المصائب

(١١١) في كتاب ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ، ص ٢٢٨ عن أبي بصير قال : دخلتُ على أم حميدة أعزيها بأبي عبد الله عليه السلام ، فبكت وبكيت لبكائها . . ثم قالت : يا أبا محمد لو رأيتُ أبا عبد الله عند الموت لرأيتُ عجباً ، فتح عينيه ، ثم قال : أجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة . . . فلم نترك أحداً إلا جمعناه ، فنظر إليهم ثم قال : « إن شفاعتنا لا تنالُ مستخفاً بصلاته » .

والمحن والآلام ، آلام الأسر ، والسجن والتعذيب والأذى ، كل ذلك لإحياء أحكام الله تعالى ، فيا أيها الأخوة المجاهدون أنتم الذين ذهبتُم بإخلاص إلى ميادين الجهاد ، وتحاربون أعداء الله من أجل إقامة الصلاة . حذار حذار من أن تأخروا صلاتكم إلى آخر وقتها دون عذر ، حذار حذار من ترك صلاة الجماعة دون عذر ، حذار من ذلك فإنه يخرجكم من صفوف جند الإسلام .

« صلاة الليل مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة »

وانبج أن التأكيد المتقدم على أهمية الالتزام بالصلاة هو من باب «الذكرى» مع المؤمنين»، وإلا فإن خنادكم تحولت بالفعل إلى مساجد ، وعليكم الاهتمام بصلاة الليل أيضاً وهذا ما تفعلونه ، وستلتزمون به أكثر إن شاء الله .

أيها الأخوة . . . إذا أردتم التوفيق والفلاح في دنياكم وأخراكم ، وإذا أردتم النشاط والحيوية والخير والسعادة ، وإذا أردتم أن تدخلوا القلوب من أوسع أبوابها ، إذا أردتم كل ذلك وأكثر فالتزموا بصلاة الليل ، ولا أقصد هنا صلوات الليل المطولة وإنما أقصد صلاة الإحدى عشرة ركعة المعروفة ، وإذا كانت أطول فما أفضل من ذلك . السعادة والخير في مناجاة الله تعالى والتضرع إليه^(١١٢) ، أما المقدار الذي نذكر به هنا فهو صلاة الإحدى عشرة ركعة المعروفة ، والتي ورد ذكرها أيضاً في الرسالة العملية للإمام الخميني . « وقتها يبدأ من نصف الليل الشرعي حتى قبيل الفجر ومنتصف الليل الشرعي ليس بالضرورة أن يكون في الساعة ١٢ ليلاً ، بل قد يبدأ أحياناً في الساعة ١١ » .

وإبرازاً لأهمية صلاة الليل ، أقسم بها وبوقتها الله تعالى في عدة مواضع من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ والفجرِ وليالٍ عشرٍ والشفعِ والوترِ ، والليلِ إذا يسر ﴾ [سورة الفجر ، الآيات ١ - ٤] .

(١١٢) الروايات المؤكدة لهذا المعنى كثيرة وهي تشير إلى أن عز المؤمن صلاته في الليل ويُذكر أن الإمام الخميني (س) لم يترك صلاة الليل ولا مرة واحدة طوال خمسين عاماً كما ينقل حجة الإسلام الأنصاري أحد أعضاء مكتب الإمام (س) وقد التزم أدائها حتى وهو على متن الطائرة عندما كان عائداً من باريس إلى طهران قبيل انتصار الثورة .

ومنها قوله تعالى : ﴿ والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ﴾ [سورة التكوير، الآيتان ١٧- ١٨] .

وفي سورة المزمل يخاطب الله عز وجل رسوله الكريم فيقول :
﴿ يا أيها المزمل ، قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ، إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قيلاً . . ﴾ [سورة المزمل ، الآيات ١- ٦] .

الآية الكريمة تؤكد صراحةً أن مسؤولية حمل الرسالة - وهي مسؤولية ثقيلة للغاية - لا يمكن أداؤها إلا بواسطة صلاة الليل وقراءة القرآن وباقي أوجه الارتباط بالله تعالى .

الصلاة والمناجاة مع الله تعالى في جوف الليل ، هي التي تقوي إرادة وروح الإنسان وترفع معنوياته وبها ينتصر على النفس الأمارة بالسوء والأعداء الخارجيين أيضاً .

وما وصلت إليه الجبهة حالياً من الانسجام والتكامل والمعنويات العالية ، يرجع في الواقع إلى صلاة الليل هذه التي تُقام في قلب الخنادق ، جميع الانتصارات التي تحققت ، أنت بفضل المناجاة مع الله تعالى والارتباط به وبصلاة الليل ، إذن فالانتصارات ومصير الجهاد مرهونٌ بمعنويات المجاهدين وحجم ارتباطهم بالله تعالى وأوجه هذا الارتباط من دعاء وصلواتٍ مخلصه .

هنافاتُ يا الله ، التوسل بالأئمة الأطهار ، التوكل والاعتماد على الله تعالى ، صلاة الليل والأدعية ، هذه الأمور هي التي نصرتكم .

وكما قلنا سابقاً فالجبهة مدرسةٌ للتهذيب والبناء ، فإذا كنتم لا تؤدّون صلاة الليل قبل ذهابكم إلى الجبهات ، فاحرصوا على الالتزام بها في الجبهات وحافظوا عليها بعد عودتكم .

« صلاة الليل سلاح المؤمن »

صلاة الليل ، الارتباط بالله تعالى ، التوسل بالأئمة الأطهار (ع) ، هذه هي أمضى أسلحة المجاهدين ، جيش الإسلام ، هو الجيش الذي ينهض قائده في

الأسحار ، ويفرش سجادته لأداء صلاة الليل .

﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٧٨] .

من الآية الكريمة يُستفاد أن القرآن الكريم يُعطي صلاة الفجر ميزة خاصة عن باقي الصلوات ، حيث أنها قرآن الفجر ، وقرآن الفجر كان مشهوداً من قبل ملائكة الليل وملائكة النهار . . . ، ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٧٩] .

ونبي الله موسى (ع) يسأل ربه عن أبغض الخلق إليه عز وجل ، فيجيب تعالى « من هو جيفة بالليل وبطال في النهار » ، هو الذي ينام الليل إلى الصباح ، ويقضي نهاره عبثاً دون أية فائدة (١١٣) ، ويُستفاد من هذه الرواية أن الذي يقضي ليله حتى الصباح نائماً ولا يخصص شيئاً منه للعبادة والصلاة ، شخص كهذا يُعتبر في عالم الملكوت كالحيوان الميت المتعفن .

وخطاب القرآن الكريم وحثه وترغيه وتأكيدُه على أداء صلاة الليل ، يشمل الجميع طبعاً ، ولكنه يتأكد بالنسبة للمجاهدين ولأفراد قوات الإسلام ، لأن الله تعالى يريد لهم قدوة وأعزة أكثر من الجميع .

وخلاصة ما تقدم ، أن الذي يجب على جميع المسلمين وخاصةً المقاتلين المرابطين في الجبهات هو الالتزام بالتكاليف الإلهية ، واجتناب المحارم ، وأداء الصلاة بحضور قلب وخشوع ، فهذا الأمر مرهونة السعادة والخير والنصر في الدنيا والآخرة .

أيها الأعضاء . . . إن للخذق والجبهة قدسية كبرى ومن الظلم بمكان أن

(١١٣) عن الباقر (ع) قال : « قال موسى (ع) : يارب أي عبادك أبغض إليك قال - تعالى - من هو - جيفة بالليل بطال بالنهار » بحار الأنوار ج ٧٦ ص ١٨٠ .

وفي كنز العمال تحت رقم ٢١٤٣ عن الرسول (ص) : « إن أبغض الخلق إلى الله ثلاثة ، الرجل يكثر النوم بالنهار ولم يصل من الليل شيئاً ، والرجل يكثر الأكل ولا يسمي الله على طعامه ، والرجل يكثر الضحك من غير عجب » .

يضع الإنسان وقته الثمين فيهما . بالعبث واللغو وباقي الأمور غير النافعة - أو لا
سمح الله - بالمعصية .

« الالتزام بالواجبات »

كما تقدم التذكير سابقاً ، فإن التقوى هي إحدى الصفات الفاضلة
الضرورية لجميع المسلمين والمؤمنين خاصة أولئك المحسوبين على الحكومة
الإسلامية ، كالمجاهدين وأفراد باقي المؤسسات الحكومية والمنظمات الثورية
وبالأخص للأعضاء المرابطين في الجبهات .

« التقوى شرط الهداية » :

يجب الانتباه إلى أن الإنسان ما لم يستحصل ملكة التقوى فلن يدخل
الدائرة التي تشملها الهداية الإلهية ، فهداية الله تعالى للعبد مرهونة بتقواه ،
قال تعالى : ﴿ أَلَمْ ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١-٢] .

إذن فالهداية الإلهية الخاصة هي للمتقين ، ومن لم يكن تقياً فلن يحظى
بهذه الهداية الخاصة .

ومن مصاديق التقوى هو الحرص على أداء الفرائض واجتناب المحارم ،
وأهم الفرائض هي الصلاة ، وعن أجراها يتحدث الإمام الصادق (ع) فيقول :
« الركعتان في جوف الليل ، خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

يُنقل أن رجلاً تشرف بقاء الإمام الصادق (ع) للاستخارة بشأن القيام
بعمل ما ، الاستخارة أتت غير جيدة ، ولكن الرجل لم يهتم بذلك وشرع بما
أراد وكان سافراً للتجارة ، فسافر الرجل وكانت حصيلة سفره جيدة للغاية ،
وعادت عليه تجارته بأرباح طائلة ، وعندما رجع إلى المدينة ، تعجب من أمر
استخارة الإمام الصادق (ع) له ، والتي لم تكن تساند القيام بذلك السفر الذي
عاد عليه بأرباح طائلة ، الرجل ذهب إلى الإمام (ع) ، وأخبره بما حدث
وتعجبه من ذلك ، فتبسّم الإمام (ع) وقال له : « هل تذكر أنه وخلال سفرك
وفي المحل الفلاني كنت تعباً بحيث غلبك النوم وعندما استيقظت وجدت

الشمس قد أشرقت فصليت صبحك قضاء . . . فاعلم أن الله لو أعطاك الدنيا وما فيها لما كان ذلك عوضاً لما خسرتك لأدائك ركعتي صلاتك تلك قضاء» (١١٤).

« ثواب صلاة الجماعة »

صلاة الجماعة إذا وصل عدد المشتركين فيها إلى عشرة مصليين ، فلن يقدر على إحصاء ثوابها إلا الله تعالى ، هذا ما تؤكد الزوايات وتضيف أن « لو صارت السماوات كلها مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان - الإنس والجن - مع الملائكة كتاباً لم يقدرُوا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة - من هذه الصلاة - » (١١٥) .

(١١٤) قول المعصوم هنا بالمعنى المترجم عن الفارسية وليس بالنص الحرفي لقول الإمام (ع) إذ لم أجد لهذه الرواية مصدراً .

(١١٥) نص الرواية ينقله الشيخ المجلسي في البحار ج ٨٨ ص ١٥ نقلاً عن الشهيد الثاني في شرحه على كتاب الإرشاد، والرواية تذكرها هنا بتمامها وعلى طولها لتوضيح عظمة أجر صلاة الجماعة وشدة تأكيد الإسلام عليها .

عن الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد القمي في كتابه الإمام والمأموم بإسناده المتصل إلى أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) : « أتاني جبرئيل مع سبعين ألف ملك بعد صلاة الظهر فقال : يا محمد إن ربك يُقرؤك السلام وأهدى إليك هديتين لم يهدهما إلى نبي قبلك ، قلت : وما تلك الهديتان ؟ قال : الوتر ثلاث ركعات ، والصلاة الخمس جماعة ، قلت : يا جبرئيل وما لأمتي في الجماعة ، قال : يا محمد ،

إذا كانا اثنين كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة مائة وخمسين صلاة .

وإذا كانوا ثلاثة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ستمائة صلاة .

وإذا كانوا أربعة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ألفاً ومائتي صلاة .

وإذا كانوا خمسة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ألفين وأربعمئة صلاة .

وإذا كانوا ستة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة أربعة آلاف وثمانمئة صلاة .

وإذا كانوا سبعة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة تسعة آلاف وستمئة صلاة .

وإذا كانوا ثمانية كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة تسعة عشر ألفاً ومائتي صلاة .

وإذا كانوا تسعة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ست وثلاثين ألف وأربعمئة صلاة .

وإذا كانوا عشرة كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة سبعين ألفاً وألفين وثمانمئة صلاة .

فإذا ازدادوا على العشرة فلو صارت السماوات كلها مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان - الجن

والإنس - مع الملائكة كتاباً لم يقدرُوا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة من تلك الصلاة » ،

الرواية يوردها المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٨ ص ١٥ .

فكيف يمكن لمن يبحث عن الخير ويسمعُ بهكذا روايات ثم لا يهتم بها ١٩! بعض الفقهاء أفتوا بأنه إذا أقيمت الصلاة جماعةً فمن تخلف عنها ثلاثة أيامٍ بدون عذرٍ فقد ارتكب ذنباً ، ويُنقلُ عن الرسول الأعظم (ص) أمرُهُ بالسَّلام على اليهود والنصارى ، والنهي عن السَّلام على يهود أُمِّيَّة ، ولماسُئِل عن يهود أُمِّيَّة ، قال (ص) : « الذين يستمعون الأذان والإقامة ، ولا يحضروا الجماعة » .

كما يجدرُ أن نلتزم أيضاً بالتعقيبات المستحبة بعد الصلوات وخاصةً تسبيح الزهراء (ع) ، والإمام الصادق (ع) يقول بشأن هذا التسبيح : « تسبيحُ فاطمة الزهراء عليها السَّلام أحبُّ إليَّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم » (ثواب الأعمال ص ١٦٣) .

وهذا التسبيح يورثُ حسن العاقبة وقبول الصلاة كما ورد في الأحاديث .
وعسوماً فإن صلواتنا ليست بالمستوى الذي تحظى به بقبول الله تعالى لذلك علينا أن نردفها بالتوسل ، والصلاة على محمد وآله وبالمستحبات والتعقيبات لعلها بذلك تقع موقع القبول عند الباري عزَّ وجلَّ .

أحد علماء أصفهان كان يردّد دائماً في دعاء كميل أن أيها الناس تعالوا لتتوب من أذيتنا . وحالنا هو كذلك في الواقع ، علينا أن نتوب من صلواتنا وصيامنا وحجنا ، وإذا طمعنا بأن تحظى أعمالنا بالقبول فعليّنا بالتوسل بأهل البيت (ع) .

أيها الأعضاء . . . لنحرص على الصلاة ، ولنحاول إيجاد حالة من الشوق والرغبة في داخلنا تجاهها ، بحيث يشتعل هذا الشوق عند اقتراب وقت الصلاة ، لأنه يعني اقتراب موعد العروج إلى السماء . . .

الإمام السجاد (ع) كانت حاله تتغير ويضطرب ويصفر لونه إذا حل وقت الصلاة (١١٦) .

(١١٦) في كتاب المحجة البيضاء ج ١ ص ٣٥٢ وفي كتاب الصحيح من الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ الحديث الخامس عن الصادق (ع) قال : « كان علي بن الحسين إذا قام للصلاة تغيّر لونه وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً » .

وَيُنْقَلُ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (ع) أَنَّ سَاقِيَهُ كَانَتْ تَرْتَعِشُ إِذَا حُلَّ مَوْعِدُ الصَّلَاةِ وَبِهَذَيْنِ السَّاقَيْنِ الْمَرْتَعِشَتَيْنِ وَيَأْفُضِلُ لِبَاسِهِ وَأَطْهَرُهُ كَانَ (ع) يَذْهَبُ لِلْمَسْجِدِ (١١٧) .

ابن عباس ينقل عن أمير المؤمنين (ع) أنه وفي إحدى المعارك الضروس في صفين ، وفي الوقت الذي كان فيه جيش الإسلام يمرّ بلحظات حساسة وحرجة للغاية ، رأى الإمام (ع) وهو ينظر إلى السماء فسأله عن ذلك ، فأجابه (ع) بأنه يريد معرفة هل حل الزوال وحان موعد الصلاة .

علي (ع) كان يترك كل شيء ويُقبل بقلبه وروحه وجسده للصلاة إذا حلّ وقتها ، فعليكم أيها الأخوة أن تحرصوا على التكليف الشرعية وعلى أدائها باحتياط .

« اجتناب المحارم »

فيما تقدم كان الحديث عن الركن الأول للتقوى وهو : الالتزام بالفرائض ، ونحدث الآن عن الركن الثاني وهو : اجتناب المحارم ، الذي يفوق الركن الأول في الأهمية .

المعصية والإعراض عن الله عزّ وعلا ، يجلبان للإنسان الكثير الكثير من المصائب وسوء التوفيق ، القرآن الكريم يؤكد أن من يعرض عن الله تبارك وتعالى وذكره يكون عرضةً لمصيبتين : صعوبة العيش والحشر أعمى يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [سورة طه ، الآية ١٢٥] .

الإعراض عن الله تعالى ذنبٌ ، والمعرضُ يسأل الله يوم القيامة أن ﴿ رَبِّي لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَكُنْتُ بِصِيراً ﴾ فيأتيه الجواب الإلهي : ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا ، فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ .

(١١٧) في كتاب حلية الأبرار عن الصادق (ع) قال ضمن حديث له في وصف الحسن المجتبى (ع) : « ... وكان إذا قام للصلاة ترتعد فرائضه بين يدي الله عزّ وجلّ » الكتاب المبين ص ٢٦١ .

الغفلة عن ذكر الله ونسيان حقوقه تعالى ذنبٌ ، ومن يذنب فقد ظلم وفسق وترفع عنه يدُ الهداية الإلهية الخاصة بسبب ذلك ، وهذا المعنى ورد ذكره في أكثر من خمسين آية في القرآن الكريم منها :

﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

﴿ إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

﴿ إن الله لا يهدي القوم المجرمين ﴾ .

﴿ إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

« أقسام الذنوب » :

الذنوب إجمالاً على قسمين ، الأول ما يتعلق بحق الله تعالى ، والثاني ما يتعلق بحقوق الناس . والقسم الثاني أعظم ، وهو من الأهمية بحيث أن الله تعالى يُقسم بذاته المقدسة أنه حتى وإن تجاوز عن حقه فلن يتجاوز عن حقوق عباده ، فمسيرٌ جداً يوم القيامة موقف من للناس في رقبته حقٌ أو مظلمة ، فلن يتجاوز عندها عن مقدار رأس أبرة .

الفقهاء أيضاً يُفتون ببطالان الصلاة لو أدت بلباس خيطةٍ بخيطٍ مغصوب ، بل وببطالانها أيضاً لو أدت بلباسٍ فيه زر واحدٌ مغصوب .

لنستمع إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يتحدث عن هذا الأمر فيقول : « والله لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحته أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلبٌ شعيرةٍ ما فعلته ... » .

أمير المؤمنين (ع) يُعلّمنا بهذا الحديث أن غصبَ حقوقِ الناس ولو بقدر قشرة حبة شعير واحدة ، يُورثُ ضرراً لا يُعوضُهُ امتلاك الدنيا وما فيها .

أمير المؤمنين (ع) يكتب إلى عماله مشيراً إلى هذا الموضوع فيقول (ع) : « ادقوا أعلامكم ، وقاربوا بين سطوركم ، واحذفوا عني فضولكم ، واقصدوا قصد المعاني وإياكم والإكثار فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار » .

وصايا أمير المؤمنين (ع) هذه تشملكم أنتم أيضاً وهي موجهةٌ أيضاً إلى جميع العاملين في المؤسسات الإسلامية ، أيها القادة والعسكريون، انتبهوا

جيداً واسمعوا أوامر الإمام علي (ع) وراعوها حق رعايتها ، الإمام علي (ع) وهو حاكم المسلمين يؤكد أنه لا يحقُّ لأحد أن يستخدم ولو ورقة واحدة في غير حاجة .

« سلمان المحمدي وحياته » :

سلمان المحمدي عليه الرحمة كان والياً على المدائن . . . يقول أحد الرواة ممن حضر وفاته رحمة الله عليه ، يقول إنه كان واقفاً على رأس سلمان ، وسلمان يبكي ، فسأله الراوي عن سبب بكائه ، فأجابه سلمان أنه سمع من رسول الله (ص) أن هناك صراطاً يوم القيامة لا يجتازه إلا من خفَّ حملة ، يضيف الراوي ، أجلت النظر في بيت سلمان لأرى ما الذي يجعله يرى نفسه ثقیل الحمل بهذه الصورة ، فرأيت - والقول للراوي - أن كل ما يملك سلمان هو جلد كبشٍ يفرشُهُ ويلتحف به ، قلمٌ ودواة لعمله - كوالي - ، إبريقٌ وإناءٌ من الفخار ، والبيت الذي كان يسكنه هو محل عمله ودأبه في نفس الوقت وكان أجارةً لا ملكاً^(١١٧) .

نعم سلمان عليه الرحمة ، بهذا المقدار الضئيل من مال الدنيا يرى نفسه ثقیل الحمل ويخشى من موقفه في يوم الحشر ، سلمان يقول إنه يخشى أن يُؤتى به يوم القيامة فيقال له يا والي المدائن ما فعلت بأموال المسلمين؟

سلمان المحمدي ، بكل تلك العبادة والخدمة في سبيل الله ، وبكل ذاك الاقتصاد والتقشف والزهد والتقوى وبتلك الحياة البسيطة ، كان حين الاحتضار يبكي من ما يراه حملاً ثقیلاً . . . فما عسانا نقول ؟ .

نعم . . . علينا جميعاً أن نحتاط ونتحرج كثيراً تجاه حقوق الناس وحفظ

(١١٧) في كتاب سلمان الفارسي لعبد الله السبيتي ص ٤٧ ط . بيروت أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوذه في مرضه الذي توفي فيه فرأه يبكي فقال سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله وقد توفي رسول الله (ص) وهو عنك راض وتلقى أصحابك وترد عليه الحوض . فقال سلمان : والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن رسول الله (ص) عهد إلينا فقال : ليكن بلغه أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب - وأنا - حولي هذه الأساود . يقول سعد فأجلت النظر حوله فلم أجد إلا جفنة ومطهرة وإجانة .

بيت مال المسلمين ، خاصةً في الدوائر والمؤسسات وأيضاً بالأخص في المؤسسات العسكرية .

أيها المجاهدون ، حذارِ حذارِ من إطلاق رصاصةٍ واحدةٍ في غير حاجة ودون ضرورة ، فلا تسرفوا في الملابس ولا الأغذية ولا الغذاء ولا العتاد .

أيها الأعزاء ، انتبهوا جيداً ، واحذروا من اللامبالاة تجاه بيت المال ، هناك مسؤوليةٌ كبرى ملقاةً على عواتقكم ، واعلموا أنكم ستحاسبون عنها يوم القيامة ، حسابكم سيكون دقيقاً جداً ، شعرةٌ بشعرة ، ولن يكون ثمة تسامحٌ على الإطلاق فيما يتعلق بحقوق العباد ، إذا أطلقتُم رصاصةً واحدةً عبثاً ، أو استخدمتم سيارةً أو دراجةً ناريةً أو أية وسيلةٍ أخرى دون ضرورة وبسرعةٍ عالية ، فاعلموا أنكم ستحاسبون على ذلك يوم القيامة ، وستُوقفون للجواب عن ذلك فأنتم مسؤولون عنها تجاه جميع المسلمين وتجاه دماء الشهداء .

« أبو ذر وكعب الأحبار » :

عندما أدخل أبو ذر عليه الرحمة على عثمان ، كان - أبو ذر - عليلاً متكتلاً على عصاه ، فرأى أبو ذر مئة ألف درهم بين يدي عثمان قد حُمِلت إليه من بعض النواحي ، فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟ فأجابه عثمان : مئة ألف درهم حُمِلت إليّ من بعض النواحي أريدُ أن أضُم إليها مثلها ثم أرى فيها ما أرى .

فقال أبو ذر : يا عثمان أيها أكثر مئة ألف درهم أم أربعة دنانير ؟ ! .

فقال عثمان : بل مئة ألف درهم

فقال أبو ذر : أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله (ص) عشيّاً فرأيناه كئيباً حزيناً فسَلَّمنا عليه ، فلم يرَدْ علينا السلام ، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً ، فقلنا له بآبائنا أنت وأمهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً ، ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً فقال (ص) : « نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير ، لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي ، وقد قسمتها واسترحت منها » .

بعد كلام أبي ذر هذا وما رواه عن موقف الرسول (ص) تجاه أموال المسلمين وهو الموقف الذي شهده عثمان أيضاً ، بعد ذلك رأى عثمان أن موقفه قد ساء ، فالتفت إلى كعب الأحبار وقال له : يا أبا إسحق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ . . .

فقال كعب : لا . . . ولو اتخذ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ما وجب عليه شيء .

فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب ثم قال : يا ابن اليهودية الكافر ، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين ؟ فقول الله أصدق من قولك حيث قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٣٤] (١١٨) .

الله عز وجل يبشر بالعذاب الأليم . . من يرى جبهة الإسلام في حاجة للعون وهو قادر على العون ولا يفعل ، ومن يرى قومه يضعفهم الجوع وهو قادر على العون ولا يفعل ، ومن يبيت مبطاناً وجاراً جائع ولا يعينه . . .

كل من يرى ذلك ولا يعين وهو قادر وينشغل بجمع الأموال فبشره بعذاب أليم ، وليعرف أن ظهره وجهته ستكوى بنفس الذهب والفضة التي كان يكتزها ، فستحمى لكيه يوم القيامة . ويخاطب أن دق ما كنت تكثر . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون ﴾ [سورة التوبة ، الآية ٣٥] .

وواضح مما تقدم أن من غير الجائز شرعاً عدم تقديمنا العون ونحن قادرون عليه ، إذا علمنا أن هناك محتاجاً من جيراننا ، أو أن الجبهة تحتاج إلى العون والدعم ، نعم الموقف الصحيح هو ما يعبر عنه أستاذنا العظيم الإمام

(١١٨) الرواية ينقلها علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا أخذنا مشاقكم لا تسفكون دماءكم . . ﴾ .

الخميني (قده) بقوله أن « لو عرفت أنه يجب أن أعطي عباءتي للإسلام لفعلت ... » .

وفي الحديث الشريف : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » .

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن هناك صراطاً يوم القيامة يُسمى المرصاد وتضيف الأحاديث أن المرصاد صراطٌ يُسأل فيه عن حقوق الناس ، فإذا أردتم عبور هذا الصراط فاحتاطوا كثيراً تجاه حقوق الناس واتقوا الله فيها^(١١٩) .

« تبعات تضييع حقوق الناس »

إذا ضيعنا أو تجاوزنا حقوق الناس ، فلنعلم أن العواقب السيئة لذلك لن تقتصر علينا وحدنا وحسب ﴿ كعذاب الدنيا والآخرة ﴾ بل وتمتد لتشمل ذريتنا أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾ [سورة النساء ، الآية ٩] .

القرآن الكريم ، يؤكد أن على الذين يحرصون على عاقبة أبنائهم وأن لا يمسه أذى أن يحذروا من أن تكون في أعناقهم أية حقوق للناس ، عليهم أن يشهدوا بالحق ، ولا يظلموا أحداً ، وأن يتقوا الله في حقوق الناس^(١٢٠) .

أيها المقاتلون الأعزاء ... إذا ضُيعت حقوق الناس وأموال بيت المال

(١١٩) في تفسير البرهان للبحراني ج ٤ ص ٤٥٨ في تفسير سورة الفجر آية : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ عن الكليني بإسناده عن الإمام الصادق (ع) في قول الله عز وجل : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ قال عليه السلام : « المرصاد - قنطرة لا يجاوزها عبدٌ بمظلمة » ، وفي رواية ينقلها السيد الطباطبائي في الميزان ج ٢٠ ص ٢٨٧ عن الصادق (ع) : « المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبدٌ بمظلمة عبد » .

(١٢٠) في كتاب الكافي ج ٢ - باب الظلم - الحديث ١٣ .
عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : « من ظلم سلط الله عليه من يظلمه ، أو عى عقبه - ذريته - أو على عقب عقبه قلت - والكلام للراوي - هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ؟! فقال (ع) : إن الله عز وجل يقول : ﴿ وليخش الذين تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقنوا قولاً سديداً ﴾ .

في الجبهة - لا سمح الله - فاعلموا أن تبعات ذلك لن تقتصر على من ضيع وتجاوز وحسب ، بل ستشمل الجميع ، أي أن نار ذلك التضييع والتجاوز سيحرق الأخضر واليابس ، فاحذروا وتيقظوا .

إذا استهانَ أمرُ « قائد عسكري » بأحد أفرادهِ أو أحتقره وجرح إحساسه أو إذا حدث تجاوزٌ وتساهل تجاه بيت المال ، أو غير ذلك من كبائر الذنوب ، فإن التبعات السيئة لن تقتصر على عدة أشخاصٍ وحسب ، بل نستؤدي إلى الهزيمة والانتكاسة في الجبهة - لا سمح الله - .

ولقد أصبح واضحاً مما تقدم أن أيّاً من أفراد المجاهدين ، إذا ارتكب ذنباً - خصوصاً في الجبهة ، فإذا قُتل هناك وهو مصرّ على ذنبه - قبل أن يتوب ، فلن يُعدَّ من الشهداء .

ضعوا أوامر أمير المؤمنين (ع) نصب أعينكم واحرصوا كل الحرص على أموال بيت مال المسلمين ، كي لا ترتكبوا كبائر الذنوب - لا سمح الله - كونوا حذرين ويقظين ودقيقين جداً تجاه هذه المسألة فهي حساسة للغاية .

« حفظ بيت المال »

عدم الالتزام بالواجبات وارتكاب المعاصي ، هذان الأمران يسلبان من الإنسان صفة الإسلام لله ، إذ أنهما تعبران عن تمرد العبد على ربه لا إسلامه له .
المسلم الحقيقي ، هو من يتوقّد فيه الشوق عندما يُواجه واجباً شرعياً ، وعندما يُواجه بمحرم يجد في داخله حالة من الكراهة والنفرة منه ، بل ويهرب منه كما يهرب من الأسد .

المسلم الحقيقي ، إذا وقع في معصية - لا سمح الله - يُسارع إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى ، خائفاً ووجلًا . . . والسعيد من كان كذلك .

« قصة رجلٍ من أهل الجنة » :

كان رسول الله (ص) جالساً في المسجد مرة فقال لهم : من أراد النظر إلى رجلٍ من أهل الجنة ، فليُنظر إلى أولٍ داخلٍ للمسجد ، بعد هنيهة دخل المسجد شيخٌ كبير ، ليس معروفاً بين الأصحاب ، فتعجبوا من وصف الرسول (ص) له بأنه من أهل الجنة وهو مجهول الحال .

في اليوم التالي كرّر رسول الله (ص) ما قاله في اليوم الأول وحدث أن دخل نفس الشيخ .

وكان الحال كذلك أيضاً في اليوم الثالث فازداد تعجب الصحابة ، وقرّر بعضهم أن يراقبوا هذا الرجل ليعرفوا أي عملٍ غير اعتيادي يقوم به بحيث يُعدهُ الرسول (ص) من أهل الجنة .

فذهب أحدُ الأصحاب إلى منزل ذلك الشيخ وحلَّ ضيفاً عليه ، وأول ما جلب انتباهه هو بساطة حياته ، فلا فرش ولا أثاث ولا غير ذلك .

وعندما حل الليل قال الشيخ إني متعب وأريد النوم فذهبا وناما ، فلاحظ الضيف أن الشيخ يردد في منامه ذكر « لا إله إلا الله » كلما قلب من جانبٍ لآخر ، وقيل الفجر نهض الشيخ وصلى صلاةً مختصرةً ، ثم قال لضيفه : لنذهب إلى المسجد ونصلي الفجر جماعةً مع رسول الله (ص) ، فذهبا لذلك ، وأتى الشيخ بعد الصلاة بتعقيباتها وتلا آيات من القرآن ، ثم رجعا إلى المنزل وتناولوا طعام الإفطار ، فاستأذن بعده الشيخ من ضيفه ليذهب إلى البادية كي يجمع الحطب - وكان عمل الشيخ حطاباً - فاحتمل الضيف أن للشيخ عبادة خاصة يؤديها وحده في الصحراء ، ولأجل معرفة ذلك ألح على الشيخ أن يذهب معه ، فوافق الشيخ بعد طول الإلحاح ، فذهبا معاً وهناك انشغل الشيخ بجمع الحطب وكان يردد أحياناً أثناء عمله بعض الأذكار والأدعية .

وبعد أن جمع ما جمع رجعا فباع الشيخ حطبه في السوق واشترى بشمنه خبزاً وماءً ، وذهب مع ضيفه ظهراً إلى المسجد لإقامة صلاة الظهر جماعةً مع الرسول .

وكذلك كان الحال في صلاة العشائين وتكرر الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام ، وجد خلالها الضيف أن أعمال الشيخ كلها على نسقٍ واحدٍ ولم يجد له ورداً أو عملاً خاصاً يتميز به عن باقي الصحابة ، بحيث يستحق أن يجزم الرسول بأنه من أهل الجنة ، في النهاية سأل الضيف الشيخ عن الميزة التي يمتاز بها عنهم ، بحيث يصفه الرسول (ص) بأنه من أهل الجنة ، فرفض الشيخ أن يجيب وقال : وأين أنا من الجنة ، فألح عليه الضيف ، فقال الشيخ : « إن كل ما لدي هو أني أؤدي ما افترض عليّ ربي وأخاف ذنبي » أي أنه لا يكذب ، ولا يتهم ، ولا يُطلق العنان للسانه « ونلاحظ هنا أن حالة الشيخ هذه هي أحدُ مصاديق التقوى وهي : أداء الفرائض والورع عن محارم الله » .

والصفة الثانية التي كان يتميز بها الشيخ هي أنه ، كان يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها . وهاتان الصفتان ذكرهما الأئمة

الأطهار (ع) مراراً في ذكرهم صفات المؤمن فمن يُريد أن يختبر نفسه ومدى تقواها ، فليُنظر إلى مدى اتصافه بهاتين الصفتين .

عبد الله بن جندب هو أحد أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (ع) والرواة عنهما ، وقد فقدَ بصره في آخر عمره ، يقول من شاهده : « رأيت عبد الله بن جندب في الموقف - يوم عرفة - فلم أرَ قط موقفاً أحسنَ منه ، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيلُ من خديه على الأرض ، فلما صدرَ الناسُ ، قلتُ له : يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك .

فقال ابن جندب : والله ما دعوتُ إلا لإخواني ، وذلك أن أبا الحسن موسى أخبرني أن من دعا لأخيه بظهر الغيب نُودي من العرش : ولك مئة ألف ضعف ؛ فكرهتُ أن أدعَ مئة ألفٍ مضمونة لواحدةٍ لا أدري تُستجاب أم لا .. » (١٢١) .

عبد الله بن جندب هذا كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويزكي أمواله ثلاث مراتٍ ويصلي في اليوم والليلة ١٥٣ ركعة ، ولما سُئلَ عن ذلك . أجاب أنه كان له أخوان في الله تُوفيا ، وهو يصلي ويصوم ويزكي لهما مثلما يفعل لنفسه .

« حسابُ المجاهد غير حساب غيره »

الصفاتُ الفاضلة التي كان يتحلّى بها المسلمون الأوائل ، يجب أن تتوفر فيكم أيضاً فحسابكم غيرُ حساب الآخرين من عامة الناس ، وهذا الأمر يتأكد بالنسبة لمن كان منكم في الجبهة فتعاملكم مع الناس يجب أن يكون دقيقاً ومحسوباً بصورةٍ جيدة .

عليكم أن تتعاملوا مع مراجعكم تعاملًا حسناً ، بالاحترام والاستقبال الطيب ، ولا تؤخروا أعمالهم ، وإذا كنتم مسؤولين في السجون ، فعاملوا السجناء بأفضل صورة . وكذلك الحال مع من يزورهم ، تعاملوا معهم بالصورة

(١٢١) الرواية ينقلها الكليني في ج ٢ من الكافي ص ٥٠٨ عن علي بن إبراهيم عن أبيه وفيها اختلافٌ يسير عما ذكره الشيخ الأستاذ وقد أثبتنا ما وجدناه في الكافي .

التي يتعلّمون بها الدروس والأخلاق الفاضلة منكم . . . أنتم المسؤولون عن حماية دماء الشهداء والرسالة التي ضحوا لأجلها فانتبهوا جيداً .

أيّ من المجاهدين إذا أحبّ شيئاً في الجبهة لنفسه فليحب لأخيه ما أحب لنفسه وليكره له ما كره لها وهذا السلوك واجبٌ شرعاً .

أيها الأعزاء ، حيثما كنتم ، في الجبهة ، في محالّ عملكم . . . احرصوا على الالتزام بأمرين هامّين للغاية ، مرهونٌ بهما خلاصكم وحسنُ عاقبتكم ، الأمران هما :

١ - أداء ما فرضَ الله .

٢ - الورع عما حرّم الله .

وإذا كنا نكرر التأكيد كثيراً على هذا الأمر ، فذلك يرجعُ إلى أهميته القصوى . احرصوا على الحفاظ على بيت مال المسلمين وتخرجوا كثيراً تجاههن .

« قصة عن الورع عن محارم الله » :

ذهبَ شابان إلى مكة لأداء فريضة الحج ، في الطريق نزلا منزلاً للاستراحة ، فذهب أحدهما إلى السوق لشراء الطعام وبقي الآخر في المنزل ، عندما عاد الأول من السوق وجدَ صاحبه يبكي بكاءً مرّاً ، فسأله عن سرّ بكائه فأجاب بعد فترةٍ من النحيب ، أنه وعندما ذهبت أنت إلى السوق ، شرعتُ أنا بتلاوة القرآن . . ثم جاءت امرأةٌ ، فظننت أنها فقيرةٌ فأعطيته بعضَ المال ، لكنني فوجئتُ بأنها تريدُ فعلَ الحرام ، فأنا أبكي لذنبها .

فلما سمع صاحبهُ القصة ، شرع بالبكاء ولكن لأمرٍ آخر ، وقال : « إني لأخاف أن لو كنت مكانك لكان من المحتمل أن أقع معها في المعصية » .

نعم فتصور الذنب واسمه يقلبان حال المسلم رأساً على عقب ، الإمام الخميني (قده) ينفر ويشمئز إذا أحس أن في الكلام شبهةً غيبة ، وليست الغيبة نفسها ، في حين أن شبهة الكذب تقلب حاله ، وقد تقدم الحديث فيما سبق عن حادثة اغتيال أحد الطلبة لأحد المراجع في حضور الإمام وكيف أن ذلك

أصاب الإمام الخميني بالحمى ولم يخرج من البيت لثلاثة أيام .
لتكن للمجاهد هكذا روحية شفافة ، حراسة ثورة الإسلام ليست عملاً
وظيفياً ، بل هي مسؤولية كبرى ، هو حارس الإسلام والإمامة وإمام
العصر (عج) ، على حارس الإسلام أن يكون حذراً ودقيقاً جداً تجاه حقوق
الناس ، وعليه أن يعتبر كل ما يُوضع في عهده من أسلحة أو وسائل نقل أو أي
شيء آخر يعتبرها مثل الأفعى التي تتربص به وتريدُ لسعته ، فعليه أن يحذرها
كل الحذر .

عليكم أن تحافظوا على أموال بيت المال التي تُوضع تحت تصرفكم في
الجبهة ، لأنها مثل الأفعى التي تتربص بكم فإذا غفلتم عنها لحظة ، لسعتكم
وأهلكتكم وأوصلتكم إلى النار .

« قصة عن موقف الإمام علي (ع) تجاه بيت المال » :

قال علي بن أبي رافع وكان خازن أمير المؤمنين (ع) على بيت المال ،
أخذت مني ابنته عقد لؤلؤ عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام في أيام
الأضحى ، فرأى الإمام علي (ع) العقد على ابنته ، فرفعه وردّه إلى بيت
المال ، وقال لي : أتخون المسلمين ؟ .

فقصصت عليه وقلت : قد ضمتته من مالي يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : « ردّه من يومك هذا ، وإياك أن تعود لمثل هذا
فتنالك عقوبي » .

ثم قال (ع) : « لو كانت ابنتي قد أخذت هذا العقد على غير عارية
مضمونة ، لكانت أول هاشمية قُطعت يدها على سرقة » .

يُضيف ابن أبي رافع أن ابنة الإمام (ع) قالت في ذلك مقالاً فقال الإمام
أمير المؤمنين (ع) : « يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبن بنفسكِ عن الحق ،
أكل نساء المهاجرين تزين في هذا العيد بمثل هذا » (١٢٢) .

(١٢٢) الرواية ينقلها ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ١٠٨ وقريب منها في البحار للمجلسي
ج ٤٠ ص ١٠٦ .

وعلى رواية المجلسي في البحار أنه عليه السلام قال لابنته : « ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل ذلك » .

على المجاهدين الذين يضحون بكل ما لديهم من أجل أمير المؤمنين ، ويذهبون إلى الجبهة سيراً على نهجه (ع) ويستشهدون في طريقه ، عليهم أن يقتدوا به (ع) وهو إمامهم في حفظ حقوق الناس وبيت مال المسلمين .

« الخمس » :

فيما يتعلقُ بالخمس ، فالقرآن الكريم ينذرُ من يحبسهُ ولا يُعطيه لأصحابه بأنه يأكل ناراً في بطنه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ١٠] .

الإمام الصادق (ع) يحددُ أحد مصاديق اليتيم بأهل البيت (ع) فيقول : « ونحن اليتيم » (١٢٣) .

وواضحٌ من تعليق الإمام (ع) على الآية الكريمة أن النار مصير من يحبس الخمس وهو حقٌ متعلقٌ بإمام العصر (عج) وذرية الرسول ومن يحبس الخمس فكانه يأكل في بطنِهِ ناراً .

فقهاؤنا العظام يذكرون في كتبهم الفقهية أن من يحبس الخمس ولا يؤدي الحقوق الشرعية المفروضة عليه ، فهو ظالمٌ للرسول (ص) ، ولأهل البيت الأطهار (ع) ، ونحن إذ نقرأ في زيارة عاشوراء : « اللهم العن أولَ ظالمٍ ظلمَ حق محمد وآل محمد وآخر تابعٍ له على ذلك » نعرف عندها ، أن من يحبس الحقوق الشرعية والخمس ويقرأ هذه الزيارة فهو يلعن نفسه .

من كان في ذمِّهِ درهمٌ خمسٍ واحد ، فليعرف أن جميع السادة سيُطالبونه به يوم القيامة ، وكذلك حال من يبقى في ذمِّهِ درهم ذكاةٍ واحد ،

(١٢٣) الحديث الذي وجدناه مروي عن الإمام الباقر (ع) وليس عن الإمام الصادق (ع) ، ونص الحديث هو ... عن أبي بصير قال : قلتُ لأبي جعفر : أصلحك الله ، ما أيسر ما يدخل به العبد النار ، قال (ع) : من أكل من مال اليتيم درهماً ، ونحن اليتيم . تفسير البرهان ج ١ ص ٣٤٦ في تفسير الآية المذكورة في المتن سورة النساء ، الآية ١٠ .

فليعرف أنه ضيَّع حقاً لجميع الضعفاء والفقراء وأنهم سيُطالبونه به يوم القيامة .
والشيء المرعب حقاً هو أن من المستحيل أن يوفي مدينٌ دينه بالمال ،
بل يؤخذ منه مقابل كل درهم ثواب أربعين صلاة - أو يُضاف إليه من سيئات
صاحب الحق إذا لم يكن له حسنات .

« التقصير والتهاون تجاه بيت المال »

إذا قصر أو تهاون المجاهد - لا سمح الله - تجاه أموال بيت المال سواء
أكان في محل عمله أو في الجبهة ، فليعرف أنه لن يُعتبر شهيداً حتى لو قتل في
الجبهة ، وأن من ظلم حقوقهم سيتزعونها منه يوم القيامة ، كما أن الله سبحانه
وتعالى سيُحاسبه على ذلك أيضاً . سيُسأله لماذا صرفت عشرة دراهم في غير
ضرورة ، لماذا أطلقت رصاصة دون هدف ولا مبرر .

نعم ، إذا كان لديكم ما يكفي من الألبسة وأخذتم مع ذلك ألبسة إضافية
من بيت المال مستهينين بأموال المسلمين ، فاعلموا أن عليكم الجواب عن
ذلك يوم القيامة واعلموا أن لا عذاب ولا ألم أشد وأقسى من الحسرة والندم في
يوم القيامة .

لاحظوا أن أصدقاءكم يردون الجنة أفواجاً أفواجاً ، ولكنكم لا زلتم ،
فلماذا؟! .

الجواب هو لأن ثمة حقوقاً للناس في رقابكم بسبب تهاونكم في حفظ
أموال بيت مال المسلمين ، والويل لمن يأتي المحشر وفي عنقه حق لأحد .

العياذ بالله من أن يظلم أحدكم أخاه ، العياذ بالله من أن يضرب أحدكم
أحداً دون مبرر أو يجرح إحساساً أسير ، أو من تحت إمرته ، بل وحتى أن
يجرح إحساساً مجرم ، أو أن يهين شخصاً أتى لزيارة سجين مثلاً ، وحتى لو
كان البعض مقصرين فلا يحق لكم ضربهم وإهانتهم والتجاسر عليهم .

اعلموا أنه لا يحق لكم أن تضربوا أحداً أو تهينوه ، حذار من أنه وبسبب
إهانتكم لمجرمٍ معادٍ للإسلام ، تدخلون معه النار يوم القيامة وهذا هو الندم
والحسرة الكبرى .

« طريقة التعامل الحكومي لأمر المؤمنين » :

في خضم الأحداث بعد مقتل عثمان وتوجه الناس نحو أمير المؤمنين (ع) مطالبين بالبيعة له خليفةً عليهم ، خطب الإمام (ع) بالناس قائلاً : « أيها الناس . . . وقد كنتُ كارهاً لأمركم فأبيتُم إلا أن أكون عليكم ، إلا أنه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا آخذُ على أحد » .
كما أنه (ع) خطبَ الناس بعد تسلّمه الخلافة « الظاهرية » فقال : « ألا إن كل قطعيةٍ أقطعها عثمان ، وكلّ مالٍ أعطاهُ من مال الله فهو مردودٌ إلى بيت المال ، فإن الحق القديم لا يطلُّه شيءٌ ، ولو وجدتهُ قد تزوّج به النساء ، وفرّق في البلدان لرددتهُ إلى حاله ، فإنّ في العدلِ سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجورُ أضيق » (١٢٤) .

وأحاديث أهل البيت (ع) تذكرُ أيضاً أن الإمام المهدي (عج) إذا ظهر أرجعَ هو أيضاً كل مالٍ مغصوب إلى بيت المال (١٢٥) .

أمير المؤمنين (ع) أعلنَ أنه لن يتسامحَ في أموال الناس وسيُرجع كل مالٍ مغصوب إلى بيت المال . البعض لم يصدقوا أنه جادٌ في موقفه هذا ، ولكنهم بعد فترةٍ وجيزةٍ تيقنوا من جدية موقف الإمام وحرصه على أموال الناس ، وأنه في سبيل الحفاظ عليها ورد المغصوب منها وإحقاق الحق ، لا يعبأ بتأييد من يؤيد ولا معارضة من يعارض ، وأن لا وجود في عمله للمحاباة وتقريب الأهل أو الأصدقاء ، وأنه يُعطي كل ذي حقَّ حقه .

الشمعة التي كان يشعلها ليستضيء بنورها عند اشتغاله بشؤون المسلمين وبيت مالهم ، كان يُطفئها قبل أن يتحوّل إلى أمور خاصة لأن الشمعة من بيت مال المسلمين .

(١٢٤) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦ .

(١٢٥) في تفسير نور الثقلين للحويزي المتوفى ١١١٢ ص ٢١٣ ج ٢ نقلاً عن الكافي عن معاذ بن كثير قال سمعتُ أبا عبد الله (ع) يقول : « موسّع على شيعتنا أن يُنفقوا مما في أيديهم بالمعروف ، فإذا قام قائمنا حرّم على كل ذي كنزٍ كنزَهُ حتى يأتيه به فيستعين به على عدوه وهو قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله . . ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٣٤] .

فلم يكن عليّ (ع) على استعداد لإبقاء تلك الشمعة الصغيرة ، مشتعلة عندما شرع طلحة والزبير في التحدث بأمور خاصة بهم .

وبسبب شدة تخرج الإمام (ع) وحرصه على تحقيق العدالة ، أجبّ أعداء العدالة عليه نار حرب الجمل ، ثم نار صفين التي تداركوا بها هزيمة الجمل . فتصدى لهم الإمام (ع) وواجههم كيلا تضيع حقوق الناس ، وقاتلهم حتى استشهد في المحراب من أجل العدالة .

« طعام أمير المؤمنين (ع) » :

طعامُ أمير المؤمنين (ع) كان كِسْراً من خبز الشعير اليابس ، كان (ع) يحفظها في جراب - كيس - مختوم كيلا تُفتح ويصب عليها بعض الزيت . والشعير الذي كان يضع منه ذلك الخبز هو من حصاد الأرض التي كان يزرعها عليه السلام بيده الشريفة .

الإمام علي (ع) : كان يرتجف مثل السعفة من البرد شتاءً ، ولا يلبس اللباس الذي يأتيه كحصّة له من بيت المال كواحدٍ من المسلمين لا أكثر . وعندما كان يُسأل لماذا لا تلبس أليس من حقك ذلك ؟ .

فكان (ع) يجيب : بلى ولكن لا أريد أن آخذ شيئاً من بيت المال ولو قميصاً واحداً .

« وصية الأمير لأحد ولاته » :

وبالطبع لا نقصدُ مما تقدم أن تصبحوا مثل أمير المؤمنين (ع) فهذا ما لا نقدر عليه ، ولكن أعينوه بورعٍ واجتهاد وعفة وسداد .

الإمام يكتبُ إلى أحد عماله فيقول : « أما بعدُ ، يا ابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من أهل البصرة ، دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تُستطابُ لك الألوان ، وتُنقلُ إليك الجفان ، وما ظننتُ أنك تُجيبُ إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضّمهُ من هذا المقطم ، فما اشتبه عليك علمهُ فالفظهُ ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه ، ألا وإن لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ،

ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» (١٢٦) .

فيما مقاتلو جبهة الحق ، الإمام علي (ع) وهو إمامكم لم يأكل مما أحله الله ، فاجتنبوا أنتم ما حرّم ، علي (ع) لم يكن يأكل ولا يلبس حتى الحلال ، فأقل ما يجب عليكم أن لا تأكلوا ولا تلبسوا الحرام . احرصوا على أداء ما بدمتكم من خمس وزكاة ، وباقي الحقوق الشرعية ، حتى تلاقوا الله عز وجل وليس في عنقكم حق لأحد مهما كان الحق صغيراً
احرصوا على حفظ بيت المال ولا تكونوا عباً عليه .

احذروا من النزاع من أجل الطعام واللباس والأسلحة وأمثالها ، فيا سوء عاقبة الجبهة التي يقع فيها مثل هذا النزاع .

أيها الأخوة . . . الجهاد في سبيل الله واحد من التكاليف الإلهية فلا تسوفوا أداءه بين اليوم والغد ، أدوه بأسرع ما يمكن ، لا تولوا الأدبار في

(١٢٦) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ٣ ص ٧٠ - ٧١ .

ويقول (ع) في جزء آخر من كتابه هذا الذي وجهه إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة : « فوالله ما كثرت من دنياكم تبراً - فتات الذهب والفضة - ولا ادخرت من غنائمها وقرأ ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً وإنما هي نفسي أروضاها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق - الانحراف - ولو شئت لاهتديت إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز - دودة الحرير - ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشيع أو أبيت مبطاناً (شبعاناً) وحولي بطون غرني - جائعة - وأكبأ حري أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيست ببطنية وخولك أكباد تحن إلى القد
أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوية العيش ، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالهيمة المربوطة همها علفها . . . » .
ويقول عليه السلام في ختام رساليته مخاطباً ابن حنيف : « فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك » .

ويلاحظ هنا إلى أن الإمام علي (ع) يوجه هذا العتاب العنيف إلى عثمان بن حنيف وهو من المدافعين عنه والداعين إلى خلافته بعد وفاة الرسول (ص) .

ميادين الجهاد فذلك يورث الذلة والمسكنة في الدنيا والآخرة .

لا تشركوا في مجلسٍ يُعصى فيه الله تعالى ، اجتنبوا مجالس الغيبة والكذب وهتك الأعراض وحرّم المؤمنين ، وإثارة الشائعات . أعرضوا عن كل ذلك واجتنبوه كي تجنبوا أنفسكم النار . . أنتم جند الإمام المنتظر فما أنتم والذنوب والنار ؟ ! .

إذا شرع الآخرون بالكذب والغيبة وإثارة الشائعات والطعن وإهانة الآخرين ، فأعرضوا عن ذلك ولا تستمعوا ، فسمعكم لها وحده ذنبٌ تصبحون به من أهل النار .

لا يهين أويستصغر بعضكم البعض ، وحذار من أن يستصغر أحدٌ أحداً . حذار من إهانة بعضكم البعض ، والتحدث بالكلام الفاحش وغير اللائق ، لا تهنؤوا من هم تحت أمرتكم ، واحترموا قادتكم ، فالنار مأوى من يهين مسلماً أو يستصغره بل وأن يقول له : « أنت لا تفهم » .

فيا أيها الأعضاء المرابطون في الثغور ، إن لكم عند الله مقاماً سامياً ، وأنا على استعداد لأن أعطي لأيّ منكم عبادتي لسنين وسنين - أتوهم أني أملكها ولا أملكها في الواقع - مقابل أن يعطيني ثواب المراقبة ليلة واحدة في خندقه ، إن بقاءكم ليلة واحدة في الخندق يعادل الدنيا وما فيها .

أيها الأعضاء . . . اخلصوا في أعمالكم واجعلوها جميعاً من أجل رضا الله أدوها بإخلاص ، ومن أجل إدخال السرور على قلب إمام العصر المنتظر (عج) كي تكتب أسماؤكم في سجله .

التشرف بقاء الإمام المنتظر (عج) أمرٌ جيدٌ للغاية ومطلوب ، ولكن الأهم منه هو أن تكونوا حقاً من جند الإسلام وجنده أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ، وأن تسجل أسماؤنا في سجله المبارك .

« الاحتياط في الأعمال »

الاحتياط في الأعمال هو من الأمور الهامة ، التي يجب على الجميع رعايتها ، وهذا ما يقرُّه العقلاء أيضاً ، وبالنسبة للمجاهدين يمتاز هذا الأمر بأهمية كبرى ، الفقهاء بدورهم يؤكدون أن « الاحتياط حَسَنٌ على كل حال »^(١٢٧) ، لكنه ضروريٌّ واجبٌ في ثلاثة موارد :

- ١ - في الدماء .
- ٢ - في الفروج وأعراض الناس .
- ٣ - في أموال الناس وحقوقهم .

حدث في زمانِ الرسول الأعظم (ص) أن قُتلَ رجلٌ كبيرُ السن ، وأُلقيت جثته خلف المسجد ، ولم يعرف قاتله . فتأثر الرسول (ص) من ذلك ، وصعد المنبر ، وخطب بالناس ، وأكد أن الإنسان لو مات أسفاً فلا لوم إذ يُقتل مظلوم ولا يُقتص من قاتله .

أما فيما يتعلق بالأعراض فالإمام الصادق (ع) يقول : « إنَّ الفرج لشديد » ، أي أن موضوع الأعراض مهمٌ للغاية ، ويجدرُ أن يُهتم به اهتماماً كبيراً ويحتاط بشأنه .

وبالنسبة لموضوع الأموال يقول أمير المؤمنين (ع) : « والله لأن أبيت

(١٢٧) في بحار الأنوار ج ١ ص ٢٦٠ عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال :
« خذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً » ، وفي ص ٢٥٩ من المصدر ذاته عن الإمام علي (ع) : « أخوك دينك فاحتطْ لدينك بما شئت ... » .

على حسك السهدان مسهداً ، وأجر في الأغلال مصفّداً ، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسولهُ يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصبٌ لشيءٍ من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يُسرّع إلى البلاء قفولها ، ويطول في الثرى حلولها .

وهل من موقفٍ يُوضّح مدى أهمية الاحتياط والتحرّج تجاه المظالم من موقف الرسول (ص) قبل وفاته ، حيث يروي المؤرخون أنه (ص) أمر بلالاً أن يدعو الناس إلى المسجد ففعل ، فصعد (ص) المنبر خطيباً بالناس وقال : « ... أيها الناس إن ربي عزّ وجلّ حكم وأقسم أن لا يجوزهُ ظلمٌ ظالم ، فنأشدتكم بالله ، أي رجل منكم كانت له قبل محمدٍ مظلمةٌ إلا قام فليقتص منه ، فالقصاص في دار الدنيا أحب إليّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء ... » .

فقام إليه رجلٌ من أقصى القوم يُقال له سودة بن قيس فقال ، فدات ابي وأمي يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف ، استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء ، وبيدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب وأنت تُريدُ الراحلة فأصاب بطني ولا أدري عمداً أم خطأ .

فقال (ص) : « معاذ الله أن أكون تعمدتُ » ، ثم قال (ص) : « يا بلال قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق » .

فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة : معاشر المسلمين من ذا الذي يُعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، فهذا محمدٌ (ص) يُعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، وطرق بلال الباب على فاطمة (ع) وهو يقول : « يا فاطمة قومي فوالدك يريدُ القضيب الممشوق » .

فأقبلت فاطمة وهي تقول : يا بلال وما يصنع والدي بالقضيب ، وليس هذا يوم القضيب ؟ .

فقال بلال : أو ما علمت والدك قد صعد المنبر وهو يودّع أهل الدين والدنيا .

فصاحت فاطمة وقالت : واغماء لغمك يا أبتاه من للفقراء والمساكين

وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب ؟ ثم ناولت بلالاً القضيبي ، فخرج حتى ناوله رسول الله (ص) .

فقال الرسول (ص) : « أين الشيخ ؟ » فقال الشيخ فقال : ها أنذا يا رسول الله بأبي أنت وأمي .

فقال (ص) : « تعال فاقتصص مني ترضى » .

فقال الشيخ : فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله ، فكشف (ص) عن بطنه .

فقال الشيخ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ، فأذن له فقال : أعودُ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار .

فقال رسول الله (ص) : « يا سودة بن قيس : أتغفوا أم تقتص ؟ » .

فقال : بل أعفوا يا رسول الله .

فقال (ص) : « اللهم اعفُ عن سودة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد » (١٢٨) .

وهذه الحادثة لا تحتاج معها إلى تعليق لتوضيح مدى أهمية الاحتياط تجاه حقوق الناس إذن فالاحتياط جيد ومطلوب في كل عمل ويجب في الدماء والأعراض والأموال ، وبالنسبة للمجاهدين والمقاتلين في الجبهة يُعتبر أمراً ضرورياً للغاية .

في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم (ص) أن « من بلغ الأربعين ولم يتعص فقد عصي » ، أستاذنا الكبير الإمام الخميني يُفسر هذه الرواية على النحو التالي فيقول : « ليس المقصود من الرواية أن يأخذ كل من بلغ الأربعين العصي بيده وإن لم يفعل فقد أثم ، بل إن مقصود الحديث هو أن كل من بلغ الأربعين فعليه أن يستند على عصا الاحتياط في حياته ، فيحرص أكثر على أداء

(١٢٨) الرواية نقلناها من كتاب آمال الصدوق المجلس ٧٢ الحديث السادس ، وقريب منها عن البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣١ .

الفرائض ويحذرُ كل الحذر من الذنب ، يعملُ بالمستحبات ويجتنب المكروهات ويدع الشبهات ويلتزم بعضا الاحتياط في كافة شؤونه الاجتماعية والشخصية والحلال والحرام .

إن المؤمل ممن بلغ الأربعين ليس مثلما يؤمل من الشاب أو الحدث ، والأحاديث الشريفة تؤكدُ أن حسابَ الأول أشد (١٢٩) .

وهذه الأحاديث تُعطينا درساً هاماً هو أن على العلماء والطلبة والمجاهدين أن يحتاطوا كثيراً في أعمالهم ، وأن يستندوا على عصا الاحتياط ، وأن تكون أعمالهم وأقوالهم دقيقة وهادفة تؤدي بمراعاة الاحتياط ، وإذا رأوا في عمل شبهة تركوه ، وإذا شكوا في مطابقته لأحكام الإسلام تجنبوه ، وهذا الأمر يتأكد بصورة خاصة في الجبهة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى :

« الأمور ثلاثة - حلالٌ بينٌ ، وحرامٌ بينٌ ، وشبهاتٌ بين ذلك فمن ترك الشبهات ، نجى من المحرمات ، ومن ارتكب الشبهات وقع في المحرمات وهلك من حيث لا يعلم . . . »

فمثلاً إذا شككتم في حديث هل هو غيبةٌ أم لا فلا تتحدثوا به ، أو في مالٍ هل هو من حلالٍ أو حرامٍ ، فلا تستفيدوا منه ، أو في حديثٍ لا تعرفون صدقه من كذبه ، فلا تتحدثوا به ، إذا التزمت بهذه القاعدة فلن تقعوا في الكذب والغيبة . . .

(١٢٩) ومن هذه الأحاديث ما أورده الكليني في الكافي الجزء الثامن (الروضة) ص ١٠٨ ، بسند متصل عن أبي بصير عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :
« إن العبد لفي فسحةٍ من أمره ما بينه وبين أربعين سنة - فإذا بلغها - أوحى الله عز وجل إلى ملكيه : قد عمّرت عبي هذا عمراً ، فغلظا وشددا وكتبنا عليه ، قليل عمله وكثيره ، وصغيره وكبيره » ، وفي هذا الحديث ما يؤيد تفسير الإمام الخميني للحديث النبوي الوارد في المتن ، فتشديد المحاسبة على الصغيرة والكبيرة يستلزم من الإنسان أن يلتزم بالاحتياط كي لا يقع في صغيرة فضلاً عن الكبيرة .
وفي مشكاة الأنوار للطبرسي الحفيد عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال : « من جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز للنار » .

وعلى العكس من ذلك حالٌ من يقتحم الشبهات ، فإن ذلك سهل عليه ارتكاب الذنوب ، أي أن الإنسان يقترب من الذنب ، باقتحامه في الشبهات وعمله بالمكروهات ويفقد بذلك حالة النفرة والاشمئزاز من الذنب ، أي أن نفسه تصبح مستعدة لارتكاب الذنب ، دون أن يتأثر من ذلك . بل وأحياناً يتلذذ من الذنب - والعياذ بالله - وتجنباً لذلك تدقُّ الأحاديث الشريفة ، جرس الإنذار ، أن حذار من الوقوع فيما يجركم نحو «اللابالية» ، ويُفرقكم فيما بعد في مستنقع المعاصي .

القرآن الكريم يقول : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [سورة التغابن، الآية ٢١] . ﴿ وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ﴾ [سورة الحج ، الآية ٧٨] .

هذه الآيات الكريمة تؤكد أن على المسلم - فضلاً عن التزامه بالتقوى - أن يُراعي أيضاً حق التقوى ، ومراعاة حق التقوى تحصل بالالتزام بالاحتياط .

أيها المجاهدون . . . تمسكوا بعضا الاحتياط ما استطعتم وبصورة دائمة ، بين الناس وفي محال أعمالكم وفي الجبهة . . . من الممكن أن تؤدي كلمة واحدة في غير محلها إلى تشويه صورة الإسلام في أعين الناس وتُنفّرهم منه .

وما أكثر ما يؤدي كلامٌ جارحٌ منكم إلى تشييط عزائم واندفاع البعض نحو الجبهات ، الاستغلال السيئ للزي الجهادي يؤدي إلى تشويه صورة المجاهد في أعين الناس ، وهذا ذنبٌ ما أعظمه . . .

على العلماء والطلبة والمجاهدين وجميع الذين يُحسبون على الإسلام أن يحتاطوا بصورة كاملة في جميع الأعمال ، فالمسألة هنا تتعلق بالإسلام ذاته وسمعته . . . الإمام الصادق (ع) يقول : « الحسنُ لكل واحدٍ حسنٌ ومنك أحسن لمكانك منا والقبیح لكل واحد قبیحٌ ومنك أقبح لمكانك منا » (١٣٠) .

(١٣٠) الخطاب موجه إلى أحد العلويين كان يرتكب بعض المعاصي فأنبه الإمام الصادق عليه السلام بذلك .

أيها العلماء وحرص الإسلام ، عليكم أن تنصتوا لهذا الحديث وتعوه بقلوبكم وأرواحكم لينتشر هذا الحديث في أماكن عملكم وفي الجبهات ، وأن يُكتب على الجدران ، فخطاب الإمام الصادق (ع) موجّه في الواقع لكل من يُحسب على الإسلام وثورته .

نعم ، فالعمل الجيد هو جيدٌ إذا صدرَ من أي كان ، والقبیح أيضاً قبيح إذا صدر من أي كان ، أما إذا صدر العمل الجيد من أحد المؤمنين المجاهدين فهو أحسن لأنه جندِيٌّ من جنود الإسلام ، وإذا - لا سمح الله - صدر عنكم قبيحٌ فهو أقبح لأنكم منسوبون إلى الإسلام . . . واحذروا كل الحذر من الندم يوم القيامة إذا لم تلتزموا بالاحتياط في أعمالكم .

« وصايا الإمام الحسن (ع) » :

للإمام الحسن بن علي المجتبى (ع) وصايا أوصى بها جنادة بن أبي أمية وقد دخل عليه في مرضه الذي استشهد عليه السّلام فيه ، ونحن هنا نلخص أهم ما جاء في تلك الوصايا :

١ - يا جنادة . . . استعدّ لسفرك - والمقصود سفر الآخرة - وحصل زادك قبل حلول أجلك .

٢ - واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك . . . واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت خازناً فيه لغيرك ، فانزل الدنيا بمنزلة الميتة .

٣ - واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

٤ - وإذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيباً بلا سلطان ، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته .

٥ - واعلم أن الدنيا في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب . . . فخذ منها ما يكفيك ، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر ، فأخذت منه كما أخذت من الميتة ، وإن كان العتاب فالعتاب يسير .

فاعلم أنك ستُسأل يوم القيامة ، أن من أين جمعت ، وكيف أنفقت ؟
أفي حلالٍ أم حرام ؟ إذا كنت قد جمعت من حلال ، وأنفقت في حلال أيضاً
فهناك حساب عليك أن تجيب فيه على كل حال .

وإن كنت قد جمعت من حرام ، وأنفقت في حلال ، أو كنت قد جمعت
من حلال وأنفقت في حرام ، فجزاء ذلك جهنم والعذاب .

فيا أيها المجاهدون وأيها المؤمنون ، اعلّموا أنكم إن لم تحتاطوا في
أعمالكم فستلاقوا يوم القيامة حساباً وعذاباً وعقاباً وعتاباً .

أيها الأعداء في الجبهة ، تمسكوا ما استطعتم بعضا الاحتياط في كل
حركاتكم وسكناتكم وجميع أمور حياتكم ، كي يرضى عنكم الله عز وجل
ورسوله (ص) .

واعلموا أن من يتمسك ببعض الاحتياط في أموره ، لن يرى الهزيمة
والخزي في الدنيا ، وينأى عن النار في الآخرة .

« تجنب الإسراف والتبذير »

الإسراف والتبذير . . من الأمور الهامة التي يجدر بالمسلمين كافة ، وخصوصاً أنتم أيها الأعزاء التنبيه لها بصورة كاملة ، والواجب هو أن نركّز صفة الاعتدال في نفوسنا ، وهذا ما يؤكد عليه القرآن والأحاديث (١٣١) .

قال تعالى : ﴿ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانُوا بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية ٦٧] .

فالمؤمن هو من يتجنب التبذير والإسراف وكذلك البخل ، ويتنزه الاعتدال والحد الوسط في الديوان المنسوب إليه يقول الإمام علي (ع) :

وقد دَقَّت ورَقَّت واسترَقَّت فضولُ العيش أعناقَ الرجال

عدم التدبير في تسيير الشؤون الحياتية ، والتطرف في الأمور الاقتصادية هي من العوامل التي تُفقد الإنسان أعصابه وراحته وتجعله عبداً للآخرين ، وما لم ينتهج العبدُ خط الاعتدال والعدل في تسيير أمور حياته فلن تؤول عاقبته إلى الحسنى (١٣٢) .

(١٣١ و ١٣٢) في بحار الأنوار للمجلسي ج ٧١ ص ٣٤٦ عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إن القصد - الاعتدال والتوسط في الخرج بين الإسراف والبخل - أمرٌ يُحبُّه الله عزَّ وجلَّ وإن السرف ييغضه الله عزَّ وجلَّ حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء ، وحتى صبك فضل شراك » ويرويه الصدوق في الخصال ص ١١ .
وفي غرر الحكم عن الإمام علي (ع) أنه قال : « ويح المسرف ما أبعدُه عن صلاح نفسه واستدراك أمره » .

« سرُّ انتصارات مسلمي صدر الإسلام »

لودققنا النظر في حياة مسلمي صدر الإسلام ، لوجدنا بوضوح أن أحد أسرار انتصاراتهم هو حياة الاقتصاد والاعتدال التي كانوا يعيشونها ، فلم يكن ثمة إسراف أو تبذير في حياتهم الخاصة وأعمالهم الاجتماعية ، وكذلك في ميادين الحرب ، فلم يكونوا مسرفين ولا مبذرين ولا يهتمون بمظاهر التشريفات .

أرسلَ النبي الأعظم (ص) رسالةً إلى ملك الروم بيد رسوله دحية الكلبي - وكان من الزهاد العباد - دحيةً هذا ركب ناقته وسار لأداء مهمته ، ولم يكن يقتاتُ في طريقه سوى على حليب ناقته ، ولم يأخذ معه أيّ متاعٍ أوزاد ، ولم يكن معه مالٌ أيضاً ، وبهذا الحال ذهب إلى أرض الروم وسَلِمَ رسالةً النبي (ص) إلى ملكها ، وعاد إلى المدينة . عسكريُّ كهذا بهذا المتاع وهذه الصلابة والزهد لا شكُّ بأنه متتصر .

ومن العوامل الأخرى لانتصارات مسلمي صدر الإسلام ، هي الشهامة والشجاعة التي كانوا يتمتعون بها ، يُنقل عن دحية الكلبي أنه عندما وصل إلى عاصمة الامبراطورية لتسليم رسالة النبي (ص) إلى ملك الروم ، همَّ بالدخول إلى قصر الملك دون إذن ، فمنعه الحراس ، فعلى صياحُه حتى اضطروا للسماح له بالدخول إلا أنهم شرطوا عليه أن يسجد ويضع الرسالة على الأرض أمام رجلِ الملك ، فأبى دحية هذه الذلة وقال لهم : معاذ الله أن أفعل ذلك ، فالسجود لله وحده .

ودخل دحية القصر ولم يفعل ما طلبوه ، وما خاطب الملك إلا بخطاب ، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين وسَلِمه الرسالة .

في معركة مؤتة ، كان جند الإسلام يشربون الماء الأسن إذ لم يجدوا غيره ، ويتجرعون ألمَ الجوع والعطش ، ومع ذلك كانوا يشكرون الله تعالى .

= وفي كتاب الخصال للشيخ الصدوق . ط . قم ص ٩ . عن إبراهيم بن ميمون قال : سمعتُ أبا عبد الله الصادق يقول : « ضمنتُ لمن اقتصد أن لا يفتر » .

كانوا يسيرون حفاةً حتى تُدمى أقدامهم ، ويضطرون إلى شدّها بالخرق القديمة ، إذ لم تكن أحذية ينتعلونها ، والخلاصة فإنهم كانوا يتحملون مشاكل ومضاعب جمّة ، ولكنهم ورغم تلك المضاعب حققوا أعظم الانتصارات .

جرجي زيدان يعلل هزيمة الروم والفرس أمام جيوش المسلمين بقوله : « إن العسكريين والجنود الروم والفرس كانوا ذوي تربية مترفة » ، والذي يستطيع أن يصمّد حقاً ويثبت في الحرب ، هو من لم يكن مترفاً في تربيته .

من الأمور الهامة التي تجب على جند الإسلام هي تجنب الإسراف والتبذير ، فهما من كبائر الذنوب ، الإسلام لا يُريدُ للإنسان أن يغرق في الدنيا وشهواتها ، والإسراف والتبذير من صفات عشاق الدنيا .

الانغماس في حب الدنيا يمكن تقسيمه على ثلاثة أقسام :

« علامات الانغماس في حب الدنيا »

١ - حالة الترف . . وهي أول أقسام ومظاهر الانغماس والغرق في حب الدنيا ، وهذه الحالة هي ما يُطلق عليها أستاذنا الإمام الخميني ، وصف روح أهل القصور . وهي إذا سيطرت على الإنسان دفعته إلى الطغيان والتكبر ، وبالتالي جلبت عليه الويل والثبور .

وبإلقاء نظرة سريعة ، على ما ذكره القرآن الكريم من قصص الأنبياء نجد أن الذين يكذبون الأنبياء ويحاربونهم هم في العادة المترفون ، وإذ نطالع تاريخ الأنبياء نجد أن أول من يتبع النبي (ص) هم المستضعفون ، في حين كان موقف المترفين المعارضة على طول الخط ، وأقل ما كانوا يعترضون به هو التحجّج على النبي والمكابرة بأن يقولوا للنبي أن اطرد هؤلاء الحفاة والرعاة والضعفاء من عندك حتى نتبعك .

يقول تعالى في سورة سبأ : ﴿ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [سورة سبأ ، الآية ٣٤] . . .

وحالة الترف تُغرق صاحبها في الشهوات والملذات الدنيوية وتؤدي به في النهاية إلى الطغيان وتكذيب الأنبياء .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ، إِنَّ رَأْيَهُ اسْتَغْنَى . . ﴾ [سورة العلق ، الآية ٦] .

لذلك فعلينا الحذر كل الحذر من أن نرى أنفسنا في غنى عن الله تعالى ،
فبذلك نهوى إلى مستنقع التكبر والطغيان وعاقبة ذلك بالطبع جهنم
وبئس المصير . . .

ومصير الأمة المترفة التي لا تقيدها أية قيم ، هو الهزيمة والفناء .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَمَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ١٦] .

فلذا أبيض قوم ، أو هُزموا في جبهاتهم ، أو ضعفوا ولم يعودوا يقرون على
شيء ، فذلك يكشف أن الترف والكسل قد سيطر عليهم ، وذلك يعني أن
المترفين والغارقين في حب الدنيا قد كثروا في جبهاتهم ، وكثرت الذنوب
فيها ، ونتيجة كل ذلك هي العذاب في الدنيا « سواء أن يكون ذلك على صورة
الهزيمة العسكرية أو الضعف والهوان على الأمم أو الذلة والمسكنة » وهذا هو
الخزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر .

في حرب الأيام الستة بين العرب واليهود والتي أسفرت عن هزيمة
المسلمين ، في هذه الحرب يُنقل أنه فيما كان الجنود الإسرائيليون يتقدمون
على الجبهات رجالاً وشباناً ونساءً - في نفس هذا الوقت كان قادة الجيش
المصري في خيامهم في الجبهة يأكلون ويشربون المرطبات التي جلبت لهم خصيصاً
من مصر ، وعسكريون مترفون كهؤلاء كان من الطبيعي أن يهزموا .

ومن الطبيعي أن تهزم الجبهة التي يتواجد فيها المترفون والمترفون
واللاهون العابثون ، العسكريون المصريون كانوا يلعبون القمار ويأكلون
(الایس کریم) ، والقوات الإسرائيلية كانت تتقدم وتتقدم .

فمن لا هم له إلا التفكير بالمال والغذاء واللباس والراحة والنساء من
المؤكد أنه سيُهزم .

القرآن الكريم يذم صفة الترف والغرق في حب الدنيا والشهوات ،

ويذكرها في عداد صفات أهل النار .

قال تعالى : ﴿ وأصحاب الشمال ، ما أصحاب الشمال ، في سمومٍ وحميمٍ وظلٍّ من يحمومٍ ، لا باردٍ ولا كريم ، إنهم كانوا قبلَ ذلكَ مترفينَ وكانوا يَصْرُونَ على الحنثِ العظيمِ ﴾ [سورة الواقعة ، الآيتان ٤١ - ٤٦] .

فالانغماس في حب الدنيا والترف والعُجب بالنفس ، هذه العوامل تدفع الإنسان للوقوع في الذنب وبالتالي إلى أن يصبح من أهل النار .

٢ - الإسراف والتبذير : وهي العلامة الثانية من علامات ومظاهر الغرق في حب الدنيا ، فالمسرفون والمبذرون في معيشتهم هم من الغارقين في حب الدنيا ، والقرآن الكريم يذمهم بشدة ويصفهم بأنهم إخوان الشياطين .

الإسراف : وهي تهية ما يزيد عن حاجة الإنسان ، فكثرة الأكل فوق ما يحتاجه البهون هو من الإسراف ، وتهية أي شيء مما يزيد على حاجة الإنسان من الحاجيات المعيشية هو من الإسراف ، واللباس الإضافي الذي يفوق ما يحتاجه الإنسان هو من الإسراف .

أما التبذير : فهو تضييع الوسائل المعيشية أو الاستفادة منها في غير مواقعها ، ومثاله إلقاء وإتلاف الطعام المتبقي ، ومن مصاديقه أيضاً إطلاق الرصاص دون مبرر ، وإذا كانت الرصاصات تابعة لبيت المال فوامصيتها ، إذ أن تلك الرصاصات ستُطلق نحو صدر المبذر يوم القيامة ، وقد كان بعض العلماء يعتبر من المشكل شرعاً سكب الماء المتبقي في الإناء .

وذنب الإسراف والتبذير عظيم جداً ، وهذا ما يمكن أن نفهمه بوضوح من أن القرآن الكريم يشبه المبذرين بالشياطين .

قال تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٢٧] .

فإذا أطلق أحدكم رصاصةً دون مبرر ، أو أتلف ما تبقى من طعام ، أو من البسةٍ يمكن الاستفادة منها ، فليعرف أنه دخل بذلك في زمرة إخوان الشياطين .

وفي نفس الوقت الذي يجب عليكم أن تتجنبوا الإسراف والتبذير ، عليكم أيضاً أن تهتموا بنظافتكم وخاصةً بين الناس ، احرصوا على ارتداء الملابس النظيفة ، وعلى أن لا تكون أحذيتكم وأرجلكم قذرة ، لا تدعوا عرق أبدانكم ورائحة ملابسكم تؤذي الآخرين ، كلوا الأنواع المتنوعة من الأطعمة ، ولكن بشرط أن لا تسرفوا .

من المهم جداً ، مراعاة طهارة ونظافة الألبسة والأطعمة والأجسام والأحذية ومحالّ عملكم ، إذا كنتم في الخنادق فاحرصوا على نظافتها وطهارتها ، وكذلك الحال إذا كنتم في معسكراتكم أو أية مناطق أخرى .

وهنا يجدر الانتباه إلى أن هناك فرقاً بين النظافة والطهارة والحرص عليها من جهة ، وبين الإسراف من جهةٍ أخرى ، الرسول الأعظم (ص) كان يهتم كثيراً بالنظافة ، كان يحرص دائماً على عدم الخروج من المنزل إلا بلباسٍ نظيف ، وكان ينظر إلى المرأة ويرتب ملابسه ويقول : « رحم الله من جبّ الغيبة عن نفسه » .

كان (ص) يتعطر ويحرص على مقابلة الناس وهو على طهارة ونظافةٍ كاملتين ، لم يرَ أحدٌ قميصَ رسول الله (ص) إلا نظيفاً ولكن وفي نفس الوقت كان لباسُهُ (ص) في غاية البساطة . لم يكن (ص) يهتم باللباس الباهظ الثمن ، ما كان مهماً عنده هو الطهارة والنظافة .

أيها الأعضاء ، احرصوا في منازلكم أيضاً على تجنب الإسراف سواء في الأكل أو الملابس ، والأهم من ذلك هو تجنب الإسراف في محالّ أعمالكم وفي الجبهات ، كي تحظى الجبهة برضا الله ونبه (ص) .

رسول الله (ص) وكافة المقتدين به كانوا يرتجفون تخرجاً من أموال بيت مال المسلمين - فالعياذ بالله - من أن يسرف أو يبذر أحدُ المؤمنين المجاهدين في أموال بيت المال .

الإسراف ذنب عظيم فلا تدعوه يلوّث جبهاتكم ولو كنتم - لا سمح الله - مبتلين بهذا الذنب « الإسراف » في بيوتكم فعليكم اجتنابه بصورةٍ قاطعةٍ عند ذهابكم للجبهات ، فاحرصوا على أن لا تدعوا محالّ عملكم وخصوصاً

الجبهات أن تتلوث بهذا الذنب ، كي تظل يدُ الرعاية الإلهية ترعاكم .

٣ - العلامة الثالثة من علامات الانغماس في حب الدنيا هي : التعلق القلبي بالأمور الدنيوية المباحة ، أي أن يكون الإنسان متعلقاً بالمال والأكل والراحة والجنس وغير ذلك .

الابتلاء بالتدخين هو من هذا النوع من التعلق بالدنيا أيضاً ، ومما يؤسف له حقاً أن بعض الآباء يشكون من أن أبناءهم يذهبون إلى الجبهات ، لكنهم مع ذلك يدخنون .

التدخينُ مضرٌ لصحة الجسم ، ولاقتصاد الدولة ، وكذلك لصحة الروح وسلامة المجتمع .

أيها الأخوة ، اعلّموا أنكم بالتدخين تهدون لأعداء الإسلام هديةً يستغلونها ضدكم ، إذ تسيئون إلى صورة الإسلام في أذهان آبائكم وأمهاتكم وأرحامكم وأصدقائكم .

ولا معنىً للتدخين بالنسبة إليكم أصلاً خصوصاً في الجبهة ، التدخين هو من مظاهر التعلق بالمباحات الدنيوية وسيجلب لكم المتاعب والمصائب ، وعلى أي حال فترك التدخين ليس أمراً صعباً ، فكثيرون كانوا يدخنون الترياق ثم تركوه ، والذين يتذرعون بأننا لا نقدر على ذلك ، أو أن الأمر صعب ، أو أننا مدمنون ، وغير ذلك من الأعذار فأعذارهم هذه جميعاً أوهاماً لا أكثر .

وهناك حكمٌ ثانويٌّ يتعلق بالتدخين ، يجعله مشكلاً من الناحية الشرعية ، وهو استغلال أعداء الإسلام له لتشويه نظرة المجتمع تجاه المؤمنين .

وخلاصة ما تقدم ، هو أن التعلق بالمباحات والحرص عليها يُعتبر من المصاديق البارزة للفرق في حبّ الدنيا .

« منهج تربوي لأحد العلماء الربّانيين » :

المرحوم الملا حسين قلي الهمداني « قدس سرّه » هذا الرجل الرباني

والعارف الحقيقي كان أول ما يوصي به طلاب درسه في الأخلاق ، هو
هذه الوصية :

« الحذر الحذر من كثرة الطعام وكثرة الكلام ، وكثرة المجالسة مع الأنام
وعليكَ وعليكَ بذكر الله على كل حال » .

فكثرة الكلام ، والأكل ، وحب الراحة ، هذه هي من أهم العوامل التي
تورثُ قساوة القلب .

وقد ورد في الروايات أن كثرة الكلام في غير محله تورث ضيق القلب .

ونقرأ في الروايات أيضاً أن الرسول الأعظم (ص) أدخل إلى القبر بيده
الشريفة شاباً مسلماً من الصحابة توفي ، أم الشاب وقفت على قبر أبيها
وافترخت بذلك وقالت : لن أبكيك وقد أوسدك النبي (ص) بيده في القبر .

وعندما ذهبت المرأة أخبر النبي (ص) أصحابه ، أن النفس قد ضغطت
الشاب ضغطةً هشتت ضلوعه ، وأوضح النبي (ص) أن الشاب قد كان على
خير ، وقد جاهد في سبيل الله ، وكان من أهل العبادة إلا أنه كان
يكثر الكلام .

أيها الأعزاء تجنبوا ما استطعتم المجالس التي لا تستفيدون منها شيئاً ،
ولياكم والنظرات هنا وهناك ، فإنها تزرع الشهوة والهوى في القلب وتستتبع
عواقب سيئة .

« الغفلة عن ذكر الله »

في محاضرة سابقة ، جاء الحديث ضمناً عن الآثار السيئة للغفلة ،
واتضح أن قسوة القلب وكدورته ، هما من آثار الغفلة عن ذكر الله .

قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا
يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك
كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ١٧٩] .

الآية الكريمة ، تعتبر الغفلة عن ذكر الله سبباً للشقاء وسوء التوفيق ،
الغفلة عن الله تعالى ، تجعل الإنسان بصيراً أعمى ، وسميماً أصم ، وعاقلاً لا
يفهم ، وبالتالي هي التي تجعل جهنم داره ومأواه ، نسيان الله تعالى وعدم
الاهتمام بالمعاد والموت والقيامة والحشر هذه الأمور هي التي تحول الإنسان
أكثر وحشية من الوحش ، وأخطر من كل ميكروبٍ سرطاني .

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه فويلٌ للقاسية
قلوبهم من ذكر الله ﴾ [سورة الزمر ، الآية ٢٢] .

« أسباب الغفلة عن الله »

الذنوب . . . فالذنوب مهما كان صغيراً وجزئياً ، فإنه يشكل سبباً
أساسياً وكبيراً للغفلة عن الله تعالى ، فاستكبروا الذنوب مهما كان صغيراً ، فهذا
ما تؤكده الأحاديث .

الشيخ الكليني عليه الرحمة ينقل في باب الذنوب من أصول الكافي ،

روايةً عن الإمام الصادق (ع) يقول فيها : « إذا أذنبَ الرجل خرج في قلبه نكتةٌ سوداء ، فإن تابَ انمَحَتْ ، وإن زاد زادتْ حتى تَغْلِبَ على قلبه فلا يُفْلَح بعدها أبداً » .

ويلاحظ على النص أن الإمام (ع) ذكر مطلق الذنب ولم يحدده ، أي أن الذنب مهما كان صغيراً فإنه يترك نكتة سوداء في قلب العبد والمقصود من النكتة السوداء هي الغفلة وقساوة القلب ، فإن تاب ذهبَت تلك النكتة أي القساوة والغفلة ، وإلا توسعتْ وازدادت في قلب العبد ، وازداد بُعداً عن الله تعالى ، وإذا ذاك لن يفلح بعدها أبداً كما يقول الإمام الصادق (ع) .

والشخص الذي يغفل عن الله وينساه تكون عاقبته كما تحدده الآية الكريمة : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآياتِ الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ [سورة الروم ، الآية ١٠] .

فمن يرتكب الذنوب والمعاصي تصل عاقبته إلى المرحلة التي يعمد فيها إلى تكذيب آياتِ الله ويستهزأ بها ، ويصل به الحال إلى أن ﴿ إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ [سورة القلم ، الآية ١٥] .

ولكن هذا الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه يَفَنِّد مزاعمهم ويفضح حقيقة أن فسادهم وإعراضهم عن ذكر الله قد جعل قلوبهم قاسية مظلمة فلم تعد كفوءة لاستقبال أنوار الوحي الإلهي .

وحصيلة ما تقدم هي أن الغفلة عن ذكره تعالى من الكفر والعصيان ، لذلك فعلى الأخوة الأعزاء أن ينتبهوا إلى أن الذنوب خطرةٌ مهما كانت صغيرة ، وهي تورث قساوة القلب .

ونُنقل عن بعض علماء الأخلاق قولهم ، أن لا وجود للذنوب الصغير أصلاً ، فكل ذنب هو كبيرٌ إذا نظرنا إلى عظمة من يُعصى وهو الله عز وجل .

واعلموا أن الغافلين عن ذكر الله سيلقون ناراً حاميةً تعلّي شرارة منها مياه كل بحار العالم .

« قصة من عصر صدر الإسلام »

في إحدى المعارك خرج المسلمون مع الرسول (ص) للحرب وبقي عددٌ منهم في المدينة لمعالجة المرضى ، ورعاية عوائل المجاهدين ، أحد الذين بقوا في المدينة ، ذهب إلى أحد المنازل لمهمة كُلف بها ، فدق الباب وفتحت لهم امرأةً فرأها ، في تلك اللحظة وقع الرجلُ في حبال الشيطان ، فمدَّ إلى المرأة يد الشهوة ، فاهتزت تلك المرأة المؤمنة وصرخت به : ويحك النار النار النار .

هذه الكلمات نزلت على الرجل مثل الصاعقة ، كالشرارة التي ألقيت في حوض من النفط ، أججت النار في وجه الرجل ، فطفق يهيم في سكك المدينة ، وهو يهتف النار النار النار ، وخرج إلى الصحراء هائماً ، وهو يصرخ بصورة هستيرية ، النار النار النار .

رجع الرسول (ص) من المعركة إلى المدينة ، بعدها نزلت آية التوبة ، وقبل الله توبة الرجل ، فأمر الرسول بإعادة الرجل إلى المدينة ، فعاد امتثالاً لأمر رسول الله (ص) ، وعندما وصل إليها كان المسلمون يصلّون في المسجد ، فدرس نفسه بين الصفوف خجلاً ، كيلا يراه الرسول (ص) وكان يستحي من النظر إليه (ص) .

بعد انتهاء الصلاة قام الرسول الأعظم (ص) خطيباً في الناس ، وقرأ للناس سورة التكاثر : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . . . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . . . ﴾ ، ثم شرع (ص) في وعظ الناس وتحذيرهم من الدنيا وغرورها ، والنفس وشهواتها ، ويذكّرهم بالموت والمعاد ويحذّرهم من الغفلة عن ذلك والوقوع في حبال الدنيا وقيودها الناعمة التي تُقيد الإنسان حتى تجرّه إلى القبر ثم النار . . . حيث يُستلنُّ هناك عن النعيم . عن نعمة الولاية التي مُنحت لك لكنك لم تستفد منها وجرتك الغفلة إلى جهنم ، ونعمة العقل التي وهبها الله تعالى لك لكنك رغم ذلك لم تستفد منها وكان مصيرك النار .

واستطرد الرسول في وعظه المؤثر وفجأة شهِق ذلك الرجل التائب شهقةً وسقط على الأرض ، وعندما رفعه المصلون وجدوه قد مات . . .

نعم بسبب معصية صغيرة بحسب الظاهر ، مات الرجل كمدأ وحزناً ،
فإذا انتبه ودقق النظر المؤمنون والمجاهدون ، بل وجميع الناس في قوله
تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ ووعوها
بوجدانهم حقاً ، لما ارتكبوا أية معصية مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، سواء في
الخلوة أو في حضور الناس أو غيابهم .

إذا نظر إلى امرأة فاعلموا أن إمام العصر (عج) على علم بحقيقة هذه
النظرة وفيما إذا كانت بشهوة أم بدونها .

اعلموا أن إمام العصر (عج) معكم ، حاضر وناظر وشاهد على جميع
أعمالكم ، يعرف النوايا التي في القلوب ، ويعلم ما يجول في نفوسكم من
خواطر . كونوا على يقين كامل بهذه الحقيقة ، فالإيمان بها يحبزكم عن كل
معصية وأينما كنتم اعملوا يقيناً أن الله تعالى وإمام العصر معكم حيثما كنتم في
منازلكم ومحال أعمالكم ، لا يغيب شيء عنه تعالى وعن وليه (عج) ، فلا
تغفلوا أنتم أيضاً عن الله تعالى وعن وليه الإمام المنتظر (عج) طرفه عين أبداً .

استعيذوا بالله تعالى دائماً من شر الشيطان وتسويلاته ، على الإنسان أن
يتجنب ما استطاع التعامل والحديث مع غير المحارم من النساء ، وليس من
الصحيح أصلاً أن نقول نحن إخوة وأخوات ولا ضير .

لنستمع إلى القرآن الكريم وهو يتحدث عن قصة يوسف (ع) - وهو نبي
الله - مع امرأة عزيز مصر ، يقول تعالى : ﴿ ولقد هَمَّتْ به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربّه . . . ﴾ .

تلك المرأة كانت مصرّة كل الإصرار أن يجيئها يوسف لما راودته عن
نفسه ، ولولا أن لطف الله الخاص وعصمته ليوسف والبرهان الواضح الذي
قدمه تعالى لنبيه ، لولا أن ذلك كان عاصماً ليوسف (ع) ، لمال إليها بالميل
الطبيعي الموجود عند الإنسان .

ونلاحظ أن يوسف (ع) نفسه يدعوره عز وجل فيقول : ﴿ ربي السجن
أحب إليّ ممّا يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكنّ من
الجاهليّن ، فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ إنه هو السميع العليم ﴾ .

الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وتجاربنا ، جميعها تؤكد صعوبة وخطورة التعامل مع غير المحارم من النساء ، فحذار من أن تقعوا في حبال الشيطان ، وأن تُخدعوا بأوصاف الأخ والأخت ، فالشهوة لا تعرف الأخ والأخت ، وكم أودت بالإنسان إلى الشقاء والفناء .

فحذار حذار من أن تضلوا وتُخدعوا باسم الأخت والأخ ، اجتنبوا ما استطعتم التعامل مع غير المحارم من النساء ، واعتبروا بتجارب الماضين التي توضح أن عاقبة هكذا تعامل هو السقوط في الذنب والشقاء ، وتذكروا دائماً قول يوسف (ع) وهو نبيٌ من أنبياء الله : ﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ [سورة يوسف ، الآية ٣٣] .

وتذكروا دائماً ما قاله الشيطان - عليه اللعنة - لنبي الله نوح (ع) ، لا تجلس في خلوة مع امرأة أجنبية وإذا فعلت فاعلم أنني ثالثكما .

« الغفلة وقسوة القلب »

كما تقدم القول ، فالغفلة عن ذكر الله تعالى ، تورث القلب القساوة والظلمة ، وهذه تؤدي بدورها إلى الوقوع في المعصية والطغيان والتكبر وبالنهاية تكون النتيجة هي الكفر بالله .

إن طبيعة عمل المجاهد خصوصاً في الجبهة ، مقترنة دائماً بالشدة والقسوة إذ أن القتال نفسه صورةٌ من صور القسوة على كل حال ، لذلك فعلى المرابطين في الجبهات ، أن يربّوا أنفسهم تربيةً خاصةً ولا يغفلوا عنها ، بحيث يعادلون بتلك التربية القسوة والغلظة التي هي نتيجة طبيعية للقتال والحرب . وهذه التربية ليست أمراً سهلاً بالطبع ، إلا بذكر الله تعالى وتنمية العبادة الصحيحة ، وتقوية الروحية وتعميق صفة التراحم والتعاطف المتبادل بين الأخوة المؤمنين .

إقامة صلاة الليل ، والصلوات المفروضة على أوقاتها ، قراءة القرآن والأدعية بخشوع ، ذكر الله تعالى على كل حال ، ذكر الموت والقيامة والمعاد ، ذكر لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وغير ذلك ، هذه الأمور هي التي تُزيل القسوة من القلب ولا تسمح بظهورها إلا في مواقعها اللازمة .

وعلى العكس من ذلك ، فإن اللهو والعبث والانغماس في الشهوات ، والإقبال على المباحات ككثرة الأكل والكلام ، والمزاح في غير محله ، وكثرة النوم ، والجلوس في كل مجلس دون تمييز الضار من النافع . . . هذه الأمور هي من العوامل التي تورث القسوة والغفلة في القلب وتزيدها .

وهنا من الضروري أن نذكر بأن الإسلام لا يعارض تلبية الحاجات والميول الغريزية عند الإنسان ، فهو يرفض الرهبانية ولا يسمح بها ، بل على العكس يقول تعالى في كتابه المجيد : ﴿ كلوا واشربوا ﴾ ولكنه يشرط ذلك بأن ﴿ ولا تسرفوا ﴾ .

« الآثار السيئة لقسوة القلب »

وبسبب قسوة القلب وغفلته عن الله تعالى يصبح الذنب بالنسبة للإنسان شيئاً مألوفاً وطبيعياً ، وقد ورد في الروايات أن بني إسرائيل قتلوا في ليلة واحدة أربعمئة نبي ، وفي اليوم التالي فتحوا محالهم وأسواقهم ، وعادوا إلى أعمالهم وكان شيئاً لم يكن ، لا قتل أنبياء ولا هم يحزنون .

هذا الأمر موجودٌ فينا أيضاً ولكن بشكلٍ مختلف ، نحن نرتكب في اليوم عدة ذنوب كالكذب وإثارة الشائعات والظعن والتجريح ولمز الآخرين ، ولا نحزن من ذلك وكأن ما كان لم يكن ، ويحدث أن يقع ذنب إثارة الشائعات والظعن مثلاً وإذا بالمجاهد الذي يجب عليه أن يطفىء هذه النيران ، يقوم هو أحياناً بنفسه بنقل تلك الشائعات دون أن يلتفت لما يقوم به ، وهذا هو الأمر العجيب حقاً ، ويُؤسف له كثيراً .

وما أفضح تلك القسوة والغفلة التي تسيطر على قلوب البعض بحيث توصلهم إلى اعتبار الذنب أمراً عادياً ، بل وإلى التلذذ به والعياذ بالله . وما أكثر ما يتوهم البعض بأنه يؤدي عملاً صالحاً ، عندما يقوم بإثارة الشائعات والكذب والغيبة ، ويصور هذه المعاصي وكأنها أعمالٌ مفيدةٌ للثورة ، فهو يُذنب ويعتبر ذلك من أجل الإسلام ويلصقها بالإسلام ويدّعي أنها مفيدة له وللإسلام .

وقد ورد في الروايات الإشارة إلى أن الغيبة ستغلبُ على حديث مجالس آخر الزمان ، حتى يُقال إن المجلس الذي لا غيبة فيه ، مجلسٌ ناقص .

نعم قساوة القلب والغفلة عن الله تعالى توصل الحال إلى الحد الذي أن الحجاج بن يوسف الثقفي ، كان عندما يتناول طعامه ، يأمر بأن يؤتى له بأحد شيعة الإمام علي (ع) فيقطع رأسه أمامه فيتلذذ بطعامه مقترناً بقطع أيدي وأرجل ولإزهاق أرواح الشيعة .

« الدعاء »

الدعاء . . . وهو من الأمور الضرورية للجميع خاصة المرابطين في الجبهات ، وتؤكد أهمية الدعاء في الليالي المباركة التي يوليها الإسلام أهمية خاصة - كليالي الجمعة والقدر ورمضان وغيرها - .

القرآن الكريم أوصى بالدعاء كثيراً ، واعتبر تركه استكباراً عن عبادة الله ، واعتبر تارك الدعاء من أهل النار .

قال تعالى : ﴿ . . . ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [سورة المؤمن ، الآية ٦٠] .

ويقول تعالى في موضع آخر : ﴿ قُلْ مَا يَعْأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ ﴾ [سورة الفرقان ، الآية ٧٧] .

فهل هناك من مصيبةٍ أعظم من أن يُوكَل الإنسان إلى نفسه ولا يعأ به ربه ، ولو أن الله تعالى أوكل العبد إلى نفسه طرفة عينٍ لهلك .

أيها الأعزاء في الجبهة . . . احرصوا كلَّ الحرص على تقوية رابطتكم بالله تعالى في هذا المكان المقدس ، لا تنسوا الدعاء والمناجاة مع محبوبكم وأنتم في خنادقكم . كان للدعاء والمناجاة مكانٌ خاصٌّ في حياة الأئمة الطاهرين (ع) ، وكان لكل واحدٍ منهم دعاءٌ خاصٌّ به .

فمثلاً كان لرسول الله (ص) ذكرٌ خاصٌّ هو الدعاء التالي : « اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبداً » .

العياذ بالله تعالى من أن يُوكَل الإنسان إلى نفسه وخصوصاً إذا كان قوياً إذ أنه سيصبح مثل الحجاج أو صدام وأمثالهم . . وما وصلت إليه الحضارات المادية في العصر الحاضر « في الشرق أو الغرب » من إجرامٍ ووحشية ، وما

غدت تشكله من تهديد دمار البشرية ، كل ذلك يعودُ إلى أن القائمين على تلك الحضارات ، قد أوتكنا إلى أنفسهم .

فالإنسان إذا ترك وراثته يتحول إلى حيوان وحشي كاسرٍ بكل ما لهذه الكلمة من معنى .

أيها المجاهدون افندوا برسول الله (ص) ، واملأوا السماء ، بأصوات الدعاء من خنادقكم ، عطّروا فضاء الجبهات بدعاء « اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ، طرفة عينٍ أبداً » .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ، فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي ، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٨٦] .

في آية الدعاء ، أتى سبع مراتٍ بضمير المتكلم ، ومعروفٍ في علم البلاغة أن ضمير المتكلم يُؤتى به عادةً تعبيراً عن مقامِ العناية والتلطف . في هذه الآية يدعو ربُّ العالمين عبادهُ ، ويقول تفضلوا إلى سفرتي ، فلكم فيها كل ما تريدون ، نعالوا ، فلكم ما تطلبون ، تعالوا فإنني قريبٌ منكم ، واطمئنوا أني سأعطيكم ما تطلبون ، فرشدكم وصلاحكم هو في الدعاء .

« فوائد الدعاء » :

من جملةِ فوائد الدعاء ، إزالةُ هموم الإنسان وآلامه النفسية ، فالدعاء والمناحةُ والبكاء بين يدي الله تعالى والشكوى إليه تعالى ، هذه الأمور تُزيل الهموم والعقد من قلب الإنسان ، وهي همومٌ كبيرةٌ خاصةً في هذا العصر حيث الهموم هي هموم الإسلام والمسلمين ، والآلام هي آلام الإسلام والمسلمين .

أيها الأعداء المرابطون في خنادقكم في جبهات النور ، حلّوا ضيوفاً بقلوبكم على النور بالدعاء والمناجاة والارتباط بالله ذي الجلال والإكرام ، اجعلوا بالدعاء جبهات الشرف والعزة والنهوض أكثر قدسيّة .

الإنسان يحتاجُ دوماً إلى من يشكي له همومه وآلامه ، وإلا فإنه سيكونُ

عرضة للإصابة بالعقد والأمراض النفسية ، فمن أولى بالشكوى له من الله عز وجل
فهل من قوة أعظم من قوته سبحانه ، وهل من عظمة أعظم من عظمته سبحانه
تبارك وتعالى ، وهو تعالى الرؤوف بحالنا ، الرحيم بنا في كل حين ، إليه تعالى
لنشكو ونبت آلامنا وأحزاننا في المصاعب والشدائد ، فهو أرحم الراحمين ،
وأي صديق أقرب منه تبارك وتعالى ، وأي ملاذ وحصن آمن من ظل
رب العالمين .

أيها المجاهدون الأعزاء . . . عليكم بمناجاة الله تبارك وتعالى في
الأسحار بثوا إليه كل ما في قلوبكم . . . قولوا له كل ما في قلوبكم من أسرار
وآلام ، حتى لا يبقى فيها شيء ، أشكوا إليه آلامكم ، ومصائبكم
ومصاعبكم ، أشكوا إليه من مكر الأعداء ، وكل ما لديكم وكل ما تريدون ناجوا
الله تبارك وتعالى فهو رب العالمين ، ليس المهم أن نفكر في استجابة الدعاء أو
عدمها « وسيستجاب بالطبع » . . . المهم هو أن تذهبوا إلى منزل الحبيب فإنه
إذا رأى صلاحكم في الاستجابة لدعائكم ، استجاب لكم ، وحتى إذا لم
يستجب ، فما أفضل أن يطلب منه أيضاً ، فكروا وتأملوا في الفوائد العظيمة
المرتبة عن الدعاء . . . فالدعاء كافٍ لكم .

ومن الفوائد الهامة للدعاء ، كما تقدمت الإشارة إليها ، هي إزالة العقد
والآلام والهموم من القلوب ، وهذا الأمر هام جداً ، فإزالة تلك العقد يسد
الطريق تجاه سوء الظن ويمنعه من الدخول إلى قلب الإنسان .

وهناك فائدة هامة للغاية يحققها الدعاء ، وهي أنه يقوي العلاقة
والارتباط بين العبد والمولى ، وأية سعادة ، وفائدة أعظم من هذه ، فالدعاء
هو في الحقيقة ، حديث العبد والمولى بين العاشق والمعشوق ، حواراً بين
العبد والمولى .

وأهل المعرفة يخاطبون عشقهم المقدس قائلين : « ناج قلوبنا حتى لو
بالتائب والعتاب » فرغم أن جميع أعماله عز اسمه هي لطف ورحمة ، ولكن
عشاقه حاضرون أن يؤنبوا ألف مرة مقابل نظرة وارتباط يكون لهم
بعشقهم المقدس .

وهذه هي لذة اللذائذ ، فيا أبناء الإسلام أودعوا قلوبكم في الأسحار لدى بارئها وتحدثوا معه وبثوا له همومكم وأشجانكم .

الفائدة الثالثة من فوائد الدعاء هي : حَجَزُ الإنسان عن المعصية والوقوع فيها ، فالمرتبط بالله تعالى لا يقع عادةً في المعصية ، أو إذا وقع في انحرافٍ ، فإنه يكون صغيراً وجزئياً ثانوياً ، وإذا أذنب سارع فوراً للإنبابة والتوبة ، قال تعالى في كتابه المجيد : ﴿ إِنِ الصَّلَاةُ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ ﴾ .

إن إقامة صلاة الليل في قلب الخندق وفي جوف الليل تبعدكم عن الذنب تماماً ، بل وحتى صلاتنا اليومية العادية ، فيها فائدة كبيرة لنا في حياتنا اليومية على الرغم من افتقادها لأية روحية تُذكر ، إلا أنها ورغم ذلك تحفظ صاحبها من الوقوع في الذنب إلى حدٍ ما ، لذلك يؤكدُ أئمةُ أهل البيت (ع) على أن هذه الصلاة العادية على الرغم من خلوها من الروحية المطلوبة ، فإنها تُحصن الإنسان - لو التزم بها - من اليأس ومن الوصول إلى طريقٍ مسدود ، وهنا بالطبع توجدُ درجاتٌ متعددة أيضاً ، فالصلاة الفضلى المتميزة بروحيةٍ كاملةٍ تُحصن الإنسان بصورة كاملة من الوقوع في المعاصي ، بل وفي المكروهات - كما هو حال المعصومين وأولياء الله - وإذا قلَّت تلك الروحية قلَّت بالمقابل مناعةُ الإنسان تجاه السقوط في الذنوب والمعاصي ، والأمر الذي يعتبرهُ القرآن الكريم أهمُّ من الصلاة هو الارتباط والتفاعل مع الله سبحانه - وهو الأمر الذي تهدف الصلاة أصلاً إلى تحقيقه - .

كلما رأيتم التعب والملل والكسل قد تسلل إلى نفوسكم ، فسارعوا في اللجوء إلى الله تعالى ، فأنتم تعرفون جيداً من تجاربكم السابقة - أن جيش الإسلام ، انتصر بكلمة السرياء الله ، فالله تعالى هو الذي حقق لكم النصر ، والارتباط بالله عزَّ وجلَّ هو الذي نصركم .

وهناك فائدةٌ أخرى للدعاء ، وهي الأُنس بالله عزَّ وجلَّ ، وهي حالةٌ تُوصل الإنسان إلى الدرجة التي يضحي معها بكل شيءٍ من أجل إقامة صلاة الليل ، وتجعله يتمنى أن لا تنتهي الصلاة أبداً عندما يصلي ، وهذه الروحية العالية هي التي تخلق النصر وتبعث على الفخر .

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٤٥] .

والخاشعون هم الذاكرون لله تعالى المرتبطون به عز وجل ، وهؤلاء يمزج الله روح الدعاء في أرواحهم ، فلا تكون بعد ذلك الصلاة والصيام ثقیلةً عليهم ، بل إنهم ليحزنون إذا انتهت الصلاة ، ويودّعون شهر رمضان بدموع الشوق والحزن على الفراق .

ومن الفوائد الأخرى للدعاء ، هي أنه يجعل الإنسان دائم الذكر لله تعالى وبعده عن الغفلة ، وهذه درجة عالية من درجات أولياء الله ، وفيها يصل الإنسان إلى الحالة التي يرى فيها الله عز وجل في كل حين ويجده أمامه في كل آن (١٣٣) .

في آخر مرة طلبتُ فيها من المرحوم العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه ، النصح والموعظة ، تلا عليّ الآية الكريمة : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٥٢] .

الإمام الخميني (قده) كان يعظنا دائماً بهذه الموعظة ، « اعملوا وكأنكم ترون أنفسكم دائماً في حضرة الله تعالى ، إن الله بكل شيء محيط ، هذه الحقيقة لا تحتاج إلى دليل عقلي عليها ، بل تريد إيماناً وتصديقاً قلبياً بها » وما أروع وما أبلغ ما قيل من أن الله عز وجل محسوس لا معقول . . . فإذا أيقن الإنسان بقلبه وبروحه أنه في حضرة الله دائماً وأنه تعالى هو الشاهد على أعماله ، إذ ذاك لن يكون للذنوب وجودٌ في حياته .

ذكركم القلبی ولهجكم بيا ربّ ، يا ربّ ، يا ربّ ، هو الذي يثبت الإيمان واليقين في قلوبكم ، أستاذنا العظيم الإمام الخميني يقول في بداية شرحه لدعاء السحر :

« . . . فتبّاً لعبدٍ يدّعي العبودية ، ثم دعى سيده ومولاه بالأسماء

(١٣٣) مأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : « ما هممت بأمرٍ إلا رأيت الله قبله وبعده وفيه . . . » .

والصفات - ويقصد من الأسماء والصفات أهل البيت (ع) - . . . وكان مسؤوله -
أي ما يطلبه - هو الشهوات النفسانية والرزائل الحيوانية والظلمات التي بعضها
فوق بعض ، والرئاسات الباطلة ، وبسط اليد في البلاد والتسلط على
العباد» (١٣٤) .

عندما تلهجون بذكر يا الله يا الله لا تفكروا بالدنيا « لا تكن الدنيا أكبر
همكم » .

عندما تلهجون بذكر يا الله يا الله لا تجعلوا همكم في استجابة دعائكم أو
عدمها واعلموا أن الله يحبكم أكثر مما تحبون أنفسكم ، وعلاقته تعالى بكم
أقوى وأشد من علاقتكم بأنفسكم ، وهو أعرف بكم ، وما أكثر ما يفعل الإنسان
ما يضره ، وهو لا يعرف ما يضره مما ينفعه ، ولكن الله عز وجل لم يغلق باباً
وما جعل ولا جعل للتوبة من الذنب إلا الخير والحسن .

في الأحاديث الشريفة ورد أن الله عز وجل قسم الرحمة مئة قسم اختص
بتسعة وتسعين قسماً لنفسه ، ووزع القسم الواحد على جميع الخلائق فكانت
مظاهر هذا القسم الواحد كل مظاهر الرحمة الموجودة في الخلائق ، مثل عاطفة
الأبوة والأمومة ، والمحبة والتراحم وجميع العواطف الأخرى في الدنيا ترجع
إلى هذا القسم الواحد ، فما بال التسعة والتسعون قسماً (١٣٥)؟! . . . وهذه
التعابير طبعاً هي للتمثيل وتقريب المعنى للأذهان وبسبب عجز اللغة عن
توضيح حجم الرحمة الإلهية وإلا فإن حقيقة الرحمة الربانية أعظم وأكبر كثيراً
من أن تستطيع اللغة المحدودة أن تحدها .

لا تتذمروا ولا تشكوا الله لعدم استجابة دعواتكم على الرغم من تعددها
وكثرة ترديدها ، فالأهم من استجابة الدعاء ، هو الدعاء نفسه وذكر الله تعالى . .

(١٣٤) شرح دعاء السحر ص ٢٦ ط . بيروت بمقدمة السيد أحمد الفهري .

(١٣٥) في كتاب كنز العمال للمتقي الهندي وكتابه هذا يعتبر أضخم جامع للأحاديث النبوية عند
السنة ، ينقل عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال : « إن الله تعالى خلق مائة رحمة يوم خلق
السموات والأرض كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض » كنز العمال الحديث
رقم ١٠٤٠٧ .

قال عز وجل : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [سورة النور ، الآية ٣٧] .

وكما تقدم فإن من فوائد الدعاء والارتباط بالله تعالى وإدامة ذكره على حال . هي أن الإنسان يرى دائماً نفسه في حضرة الله عز وجل ، بمراى منه تعالى يراه شاهداً ومراقباً وناظراً على كل أعماله ، وهذا ما يؤصله إلى العزة والكرامة والقرب عند الله تعالى وعند الناس أيضاً .

الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي أعدّ مرةً مجلساً استهدف منه إخراج الإمام الصادق (ع) وإسقاط هيئته ، وذلك بتوجيه أسئلة معقدة له (ع) ، وفعلاً هياً قتادة أربعين سؤالاً من أعقد الأسئلة ، ودعى المنصور الإمام الصادق (ع) إلى مجلسه وحضر المجلس عدداً ممن يُسمون بالعلماء ، وبمجرد دخول الإمام (ع) قام الجميع إجلالاً له (ع) دون إرادتهم ، فجلس (ع) ، وسكت الجميع وبهتوا من هيئته ، فأصبح (ع) الحاكم على المجلس ، ولم يتجرأ أيُّ من الحاضرين على الكلام ، فساد الصمت ولم تعد تسمع إلا الأنفاس المكتومة ، نعم أولئك الذين أرادوا إخراج الإمام (ع) بالأسئلة المعقدة ، بهتوا من هيئته وسكتوا .

الإمام عليه السلام ، رأى أن لا أحد يتحدث ، فالتفت إلى قتادة وقال له : سَلْ إِنْ كَانَ لَدَيْكَ سَوْال ، فارتجف قتادة وانحسر نطقه ، فقال قتادة متلکثاً : يا ابن رسول الله (ص) أخبرنا كيف يُشرب اللبن ، فتبسم الإمام (ع) وقال : أهذا سؤالك ، فقال قتادة : والله يا ابن رسول الله قد أعددت أربعين مسألةً صعبةً ، ولكنني نسيتها جميعاً . . . هنالك قال الإمام (ع) : ويحك أو تعرف أمام مَنْ جلست ؟! . . . وقرأ عليه السلام قوله تعالى : ﴿ في بيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرفعَ ويُذكرُ فيها اسمهُ ويسبحُ له فيها بالغدو والآصال . . . ﴾ [سورة النور ، الآية ٣٦] .

نعم كان قتادة جالساً أمام من أراد الله له العظمة والهيبة والعزة والرفعة ، وميزة الهيبة والعظمة من الله ، هذه الديزة نحدها في الإمام الخميني (قلده) أيضاً ، فكلما دخل مجلساً بهتَ بهيئته وعظمته الحاضرين وأسر قلوبهم .

ومن الفوائد الأخرى للدعاء هي أنه يُطهِّر الإنسان من الصفات المذمومة شرعاً، ومعروف أن طريق تطهير النفس من تلك الصفات يبدأ بمعرفة النفس وعبوبها وهذا ما يفتح الدعاء السبيل إليه ، فالذي يلهج بالذكر وبيا الله وبيا الله ، يتعرف على حقيقة نفسه بصورة لا شعورية ، وهذه المعرفة تفتح أمامه الآفاق إلى معرفة ربه جلا وعلا^(١٣٦) ، قال عز من قائل : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ [سورة فاطر ، الآية ١٥] .

فصفة الغنى المطلق وعدم الاحتياج للغير هي من صفات الكمال المختصة بالله عز وجل وحده ، وجميع الخلائق فقراء محتاجون إليه عز وجل ، الجميع متعلقون به من جهة احتياجهم إليه ، ومن أدرك هذه الحقيقة ، فلن يستشعر لأحد منه عليه ، ولن يعرف هو منه على أحد ، وبإدراك هذه الحقيقة ، لن يبقى محلاً ولا معنى للتفاخر بالعلم أو الزري أو بالأموال والعشيرة ولا بالرئاسة ولا يستطيع أحد أن يقول أنا وأنا ، فلا معنى للتفاخر بالرئاسة مثلاً لمن يرى نفسه فقيراً محتاجاً بكل معنى الكلمة ، وبالنسبة له لن يكون هناك معنى للكبر والغرور .

الشخص الذي ينهض في جوف الليل ، لكي يناجي ربه ويلهج باسمه ويذكره في قلب خندقه ، ويرى نفسه فقيراً محتاجاً إلى الله في شؤونه الدنيوية والأخروية كافة .

شخص كهذا لن يجد الكبر والغرور إلى نفسه سبيلاً ، ولن يغلبه الخوف والرهبة من غير الله ، شخص مثل هذا يتحلّى برفعة وعزة من طراز خاص ، وهو لا يهاب أية قوة ، ويرى كل القوى المسماة بالعظمى والكبرى ، يراها خاوية جوفاء ، ولهذا نرى الشجاعة بارزة في مثل هذا الشخص .

يُنقل أن هارون الرشيد كان ماراً في الطريق فرأى بهلولاً يلعب مع الصبية وكان منهمكاً في صنع بيت صغير فقال له الرشيد : ويحك بهلول أي رجلٍ

(١٣٦) في الحديث الشريف المشهور عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

أنت ، لم أعرضت عن الدنيا ؟ .

فأجابه بهلول : وأنت نعم الرجل حيث تركت الآخرة وعلقت بالدنيا .

فقال له الرشيد : اطلب ما شئت . . .

فأجابه بهلول : يا هارون أولسنا أنا وأنت عبيدُ الله ، أترأه يذكرك

وينساني !! فلمَ أطلب منك .

فقال الرشيد : سمعتُ أن عليك ديناً أثقلك ، أترغب أن أؤديه عنك ؟ ! .

فرد عليه بهلول : من في عني ديني هو الغني ، ولا مال لك تملكه ، أو

أطلب من غاصبٍ مسكينٍ ذليلٍ ؟ ! .

وُنقل عن بهلول أيضاً ، أنه كانت له حاجة فنذر أن لو قضيت له ،

لُيعطين درهماً لأذلّ الناس وأفقرهم ، فلما قضيت حاجته ذهب إلى قصر هارون

وأعطاه درهماً ، فتعجب هارون وقال : ما هذا ؟ ! فأجاب بهلول : كان عليّ

نذرٌ أن أعطي درهماً لأضعف مسكين ، وقد حلّ الوفاء بالنذر فلم أجد مسكيناً

وفقيراً أحوج منك ؟ ! .

نعم . . . الدعاء والارتباط بالله تعالى يوجد لدى الإنسان حالاتٍ معنويةً

عاليةً من هذا الطراز ، فهنيئاً لمن يهجرُ النوم في جوف الليل ، وينشغل بذكر

الله عزّ وجلّ ومناجاته ضارباً بالدنيا وما فيها بعرض الحائط .

« عللُ حجب الدعاء »

في المحاضرة السابقة تحدثنا عن عظمة الأثر الذي يتركه الدعاء والارتباط بالله عز وجل على سعادة الإنسان في دنياه وأخراه ، كما تحدثنا عن عظم فائدة مناجاة الله والتضرع إليه والشكوى بين يديه في قلب الخنادق وفي الأسحار ، ولم يرد في الإسلام وتعاليمه المقدسة ، حث وتأكيد على شيء مثلما ورد بشأن الدعاء والمناجاة ، وفي أحاديث أهل البيت (ع) نقراً أن : « الدعاء مع العبادة » ، « الدعاء سنان المؤمن » ، « الدعاء ترس المؤمن » (١٣٧) .

وإذا لم تكن للدعاء أية فائدة سوى أن الله تعالى يستقبل فيه العبد لكانت كافية لنا للترحم بالدعاء ونحرص عليه ، فالفخر كل الفخر للصغير أن يلتقي بالعظيم ويتحدث معه ، ربنا العظيم دعانا ليستقبلنا ، لندعوه ، لتتحدث معه ، فهل هناك فخر أعظم من هذا ؟! هل هناك فخر أعظم من أن يدعو المولى عبده إلى ضيافته ويقول : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ .

على سبيل المثال أسألكم ، ماذا يحدث لأحدكم لو كانت وجهت إليه

(١٣٧) الحديث الأول في وسائل الشيعة ج ٤ ص ١٠٨٦ والثالث في نفس المصدر ص ١٠٩٥ .
وفي الكافي ج ٢ ص ٣٣٩ وص ٣٤٠ عن الرسول (ص) : « الدعاء سلاح المؤمن » ، وعن الصادق : « الدعاء أنفذ من السنان الحديد » .
وفي بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٠٠ عن الأمير (ع) قال : « الدعاء مفتاح الرحمة ومصباح الظلمة » .
وعن الصادق (ع) قال : « عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء » الوسائل ج ٤ ص ١٠٩٩ .

دعوة من مكتب الإمام الخميني (قده) لزيارته وذهبتهم وزرتم الإمام وجلستم في حضرته ، ماذا يحدث لكم آنذاك ، ألا تعدونه فخراً لكم وتحفظون باعتزاز ببطاقة الدعوة .

إله العالمين . . . هو بذاته المقدسة ، دعاكم وقال ادعوني ، قال : يا عبدي ، إنني أدعوك أن أجب دعوتي ، فهل هناك فخرٌ بعد هذا ، أية سعادة أعظم من أن يناجي العبدُ ربّه في الخندق والجبهة ويلهج اسمه ويحادثه ويشكو له همومه .

في أوقات فراغكم في الجبهات ، افتحوا أيديكم للدعاء والمناجاة ، بدلاً من الانشغال بما لا طائلَ منه ، انتصروا على أعدائكم في الداخل والخارج بالدعاء والارتباط بالله عزّ وجلّ فهذا هو الذي نصركم حتى الآن لا سواه .

الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦] .

« عللُ حجب الدعاء »

في هذه المحاضرة ، يتناولُ بحثنا الإجابة على هذا التساؤل : « لماذا لا يُستجابُ دعاءُ كل هؤلاء الشباب المجاهدين في الجبهة والشعب المسلم المضحي خلف الجبهة » .

وفي هذا الموضوع كُتبت بحوثٌ كثيرةٌ ، نذكر منها ملخصاً لما ذكره أستاذنا العلامة الطباطبائي رحمه الله عليه « وما ذكره الأستاذ العلامة كان بأسلوبٍ علمي ونحن نطرحه هنا بأسلوبٍ بسيط مدعم بالآيات والأحاديث » .

من المؤكد مبدئياً أن الدعاء يستجابُ عندما تكون الاستجابة في صالح العبد وخيره وإلا فلنفترض أن طفل أحدكم أو أخاه ، قد أصابته وعكة صحية ، وكان أبوه يحبه كثيراً وقد وعده بأنه سيجلبُ له ما يشاء ، هذا الطفل المريض وصلت درجة حرارته إلى أربعين مثلاً ، وهو يطلبُ من والده أو أخيه غذاءً أو

فاكهةً هي له بالنسبة لوضعه الحالي أشدُّ ضرراً من السمِّ ، أي أنه سيموت إذا تناول تلك الفاكهة أو الطعام ، في هذه الحالة فالمؤكد أن هذا الأب أو الأخ لن يستجيب إلى طلب مريضه الحبيب ، مهما توسَّل المريض وصرخ وبكى .

وهذا الموقف نابعٌ بالطبع من رحمة الأب والأخ بالمريض وحُبهم له ، وقد يصل الحال إلى أن يضطر الأب أو الأخ إلى ضرب المريض حباً له ورحمةً به ولكنه لا يُعطيه ما يريد ، يزرُق في جسمه الأبرة المؤلمة ، ولا يُعطيه الفاكهة التي يريد وكل ذلك رحمةً به وحباً له ، وهنا انتبهوا جيداً إلى حقيقة ، أننا نحن أيضاً يحدث لنا مع الله عزَّ وجلَّ مثلما يحدث بين المريض وأبيه أو أخيه - أي أن نطلب من الله ما يضرنا ونتهم أنه نافع لنا ، فنحن لا نحيطُ علماً بحقيقة الأمور ، وما يكمن خلف الظواهر ، وهذه طبيعة أصيلة في الإنسان المحدود ولذلك فإنه قد يتوهم الكثير من الأشياء ، وكأنها نافعة له لكنها في الحقيقة ضارة وقاتلة . . . لنستمع إلى الله عزَّ وجلَّ يقول في ذلك : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٢١٦] .

فأنتم مثل ذلك الطفل المريض الذي يطلب من والده فاكهةً وطعاماً وهو لا يعرف أن فيه موتهً وهلاكه . وهذا يعني أن بعض أدعيتكم ليست في صلاحكم أن تُستجاب ولكنكم لا تعلمون ، والله يُريدُ خيركم وصلاحكم ، وإذا رُفعت الحجب ، ستفهمون أنتم أيضاً أوجه المصلحة (١٣٨) .

(١٣٨) في مجموعة الأمير الزاهد ابن ورام ج ٢ ص ١١٧ عن النبي الأكرم (ص) أنه قال : « ... عبادَ الله ، أنتم كالمرضى وربُّ العالمين كالطبيب ، فصلحُ المرضى ، فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به ، لا فيما يشتهي المريض ، ويقترحه ، الا فسلموا الله أمره تكونوا من الفائزين » .

وفي كتاب الأصول من الكافي باب الرضا بالقضاء ، الحديث السابع عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : « قال الله تعالى - مخاطباً نبيه موسى (ع) - ما خلقتُ خلقاً أحب إليَّ من عبدي المؤمن ، فإني إنما ابتليته لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأزوي - أبعد - عنه ما هو شرُّ له لما هو خير له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه ، فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي ، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري » .

يحدث أحياناً أن يُبتلى الإنسان بأذى ومصيبة في حياته ، فيغدو بسببها حليف الحزن والبكاء ، والبعض يأخذ بالشكوى من الله عز وجل ، ثم يفهم بعد سنة مثلاً ، أن ما حدث كان نافعاً له كثيراً وأن صلاحه كان في أن لا يُستجاب دعاؤه آنذاك ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ... فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ [سورة النساء، الآية ١٩]

مضمون هذه الآية الكريمة تجدونه واضحاً لو تأملتم قليلاً في تجربة الثورة الإسلامية في إيران ، فما أكثر الأحداث التي وقعت فيها وكانت مصداقاً لهذه الآية الكريمة ولما تقدم ، فلا تملأوا أيها الأعداء المرابطون في الجبهات من الدعاء ولا تتركوه خصوصاً في ميادين الجهاد ، فلعل من غير الصالح لكم استجابة بعض أدعيتكم في الدنيا ، ولكن المتيقن منه أن الدعاء نافع لكم على كل حال ، وقد تكون الإجابة مرهونة بالوقت أحياناً ، موسى نبي الله (ع) كان يدعو الله أن يهلك فرعون ، فأوحى إليه ربه أن قد أجبت دعاءك يا موسى ، في حين نقرأ في الروايات أن فرعون قد غرق في البحر بعد أربعين سنة من ذلك ، فليس من الصالح استجابة كل دعاء وبسرعة ، هذه الحرب ستنتهي بانتصاركم ، ولكن عندما يحين وقت النصر، نحن لا نعلم ماذا خلف الحجب، واضح أن للحرب أضراراً ، فبسببها فقدنا أعزاء علينا ، وعظماء خسرهم الشعب ، ولكن للحرب فوائد جمة أيضاً ، كل تلك التضحيات العظيمة أوجدتها الحرب ، فلا تستهينوا بها ، ولا تعدوها مسألة عادية بسيطة ، العالم أجمع حيرته فعالكم ، وحتى العدو يدعن رغباً عنه ويحسرة لعظمة ما قتم به ، ومعروف موقف الصديق .

الله عز وجل يعدكم وهو صادق الوعد أنه مجيب لدعاء العبد إذا رأى فيه صلاحه وخيره ، وأحياناً تُستجاب دعواتنا بعد فترة أيضاً - أي حين يحين وقتها - وقد ورد في الأحاديث الشريفة أيضاً أن الذين كانوا يدعون الله كثيراً في الدنيا ولا يستجاب لهم ، تجدهم يوم القيامة فرحين بالأجر والثواب الجزيل الذي تفضل به الله عليهم - بسبب صبرهم على الدعاء رغم عدم الاستجابة - وتبلغ عظمة فرحهم إلى الحد الذي يتمنون أن لو لم يستجب لهم أي دعاء في الدنيا ، وكذلك حال الفقراء في الدنيا حيث نجدهم يوم القيامة فرحين بما

آتاهم الله ، يتمنون أن لو أنهم ماتوا من الجوع والفقر كي يكون أجرهم هنالك - يوم القيامة أعظم ، وهذا هو أيضاً حال المعلولين ، وعوائل الشهداء ، الجرحى ، والمبتلين بالمصائب ، هؤلاء جميعاً تراهم يوم القيامة فرحين بما آتاهم ربهم على صبرهم من فضل وجزاء جميل ، والشهداء أيضاً يتمنون يومئذ لو أنهم قُطعوا إرباً إرباً في سبيل الله في اليوم سبعين مرة ، ثم يحيون كي يفعل ذلك بهم مرة أخرى ، وذلك لما يلقونه من جزاء جميل على القتل في سبيل الله .

وواضح أن لا يقين بأن أدعية المرابطين في الجبهات لا تُستجاب في الدنيا ، بل على العكس تماماً ، فكثيراً ما يُستجاب دعائهم وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن حتى لو لم تستجب دعواتهم في الدنيا ، فإنهم يوم القيامة سيلقون جزاءً عظيماً على ذلك وسيفرحون بل وإنهم سيتمنون أن لو قضوا أعمالهم كلها في الجبهة والخندق .

أيها المقاتلون . . . يا عشاق الله ، دائماً تذكروا هذه الآية الكريمة ، واجعلوها نصب أعينكم : ﴿ . . . فعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ تذكروها في الجبهة والخندق ، تذكروها في كل مكان وفي كل آن .

نعم ، تذكروا ذلك دائماً وتذكروا أن كثيراً من الأشياء التي مرّت عليكم وكنتم تكرهونها وترونها شراً ، ثم جعل الله فيها خيراً كثيراً .

السبب الثاني لعدم استجابة الدعاء . . هو التلوث بالذنوب والمعاصي ، نقرأ في دعاء كميل : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء . . . » .

الذنب يقطع علاقة الإنسان بالله تعالى ، وبه يُطرد العبد من الحضرة الربانية والذنب مهما كان صغيراً فهو كبير - في أثره - وكافٍ لقطع الارتباط بالله عزّ وجلّ ومن الضروري أن نذكر أن العواقب السيئة للذنب لا تشمل المذنب وحده بل إنها أحياناً تعم وتشمّل الجميع والمجتمع كله ، فمثلاً الأمة التي تنفّس فيها الذنوب تزداد فيها بالمقابل حالات الموت غير الطبيعي والبلاء والمصائب .

إذا أذنب - لا سمح الله - أحد المجاهدين ، فمن المحتمل أن تأخذ

العواقب السيئة لذلك الذنب برقاب الجميع وتشمل الجبهة بأسرها ، على الرغم من أن باقي المجاهدين المرابطين الأعضاء لم يذنبوا بل إن دأبهم كان الدعاء والعبادة والمناجاة ، ولكن ذنب نفرٍ واحدٍ في الجبهة قد يُسفر عن رفع يد الرعاية الإلهية من الجبهة (١٣٩) .

يحدث أحياناً أن أحد المجاهدين يصبح شريراً « وبالطبع فإن هؤلاء لا يمكن أن يصبحوا أشراراً ، لكن الأشرار يتزينون أحياناً بزيّ المجاهدين فيعمّ آنذاك شرُّه على كل المجاهدين ، وهذا الذنب كبير جداً .

إذا حدث - لا سمح الله - أن وقع خلافٌ بين فردين من المجاهدين ، سواء كان وقع هذا الخلاف في محال العمل أو في الجبهة ، فتطور هذا الخلاف إلى سدور كلامٍ غير لائقٍ بينهما ووقع السباب والانتهاك ، هذا العمل وحده يكفي لأن يؤدي إلى خراب الجبهة ، ويحول دون استجابة دعاء المرابطين المجاهدين الأخيار .

وهناك سببٌ آخر لعدم استجابة الدعاء ، يذكره أستاذنا العظيم الإمام الخميني (قده) ، وهو قصورُ استعداد الداعي ، ويعني أن الصفات المذمومة إذا استولت على قلب العبد سلبت منه أهلية أن يستجيب الله تعالى دعاءه ويشمله برحمته ، ونضرب لكم مثلاً لتوضيح ذلك ، فمثلاً هناك دائرة كهربائية ، مصدرها يُمدّها بالطاقة الكهربائية ، والأسلاك الموصلة مربوطة بصورة صحيحة . ولكن المصباح عاطلٌ أو محترق عندها ، الكهرباء تصل إليه ولكنه لا يتوهج بها ، لماذا لسببٍ بسيطٍ هو أنه عاطل ، أي ليس كفوءاً للاستفادة من الطاقة الكهربائية .

الحسد ، التجسس ، إساءة الظن ، النزاع والتفرقة ، إساءة استغلال

(١٣٩) وهذا ما يؤكد ضرورة وأهمية التزام المجاهدين في الجبهة وغيرها بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتصدوا لكل من يذنب كي يحفظوا الجبهة والجهاد من أن تُرفع عنها يدُ الرعاية الإلهية ، إلى هذا المعنى يشير الرسول الأعظم في الحديث المشهور عنه (ص) : « لتأمروا بالمعروف و تنهوا عن المنكر أو ليسلطان الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » .

الزِّيَّ والرتبة والمنصب ، إهانة واستصغار من تحت الإمرة ، كل هذه وغيرها تحول دون إجابة الدعاء ، إذا اغترَّ أحدُ القادة ، وشرع يسحق من تحت إمرته ولا يحفل بهم ، ويُسيءُ استغلال منصبه ومسؤوليته وزيه ويُميز نفسه عن الآخرين ، هذه الأعمال وأمثالها تحول دون استجابة الدعاء في الجبهة والذنب يقع على عاتق هذا القائد ، إلا أن النصر سيمنع عن الجميع . والنصر والرفعة والعز مرهونٌ بإخلاصكم ودعائكم وارتباطكم بالله تعالى ، وأخيراً فالدعاء يُستجاب عندما يكون قلبُ الداعي ، نقياً تقياً صافياً .

يحدثُ أن يظَلَّ الإنسان أربعين عاماً يدعو ويلهجُ بالدعاء ولكن لا يُستجاب له لماذا لأنه يغتاب ، ومن المؤكد أن الكذب والغيبة والحسد والتهاون في الأعمال هذه كلها ذنوبٌ تحبس الدعاء ، وكلما ازدادت الذنوب كلما كان حبس الدعاء أكثر وهذه قاعدةٌ تنطبقُ على الجبهة .

الجبهةُ مدرسةٌ فعليكم أن تحاذروا فيها من أن يختطف الشيطان منكم الصبر والصمود ، جاهدوا أنفسكم وهذبوها ما استطعتم في الجبهات وقبل أن تعودوا .

احرصوا على ارتباطكم بالله تعالى أينما كنتم وحكموه في كل أعمالكم وجميع شؤونكم الحياتية ، السعادة والخير في الدنيا والآخرة مرهونةٌ بالارتباط بالله تعالى ، وإذا لم يصلحكم فيضه عز وجل ، فاعلموا أن العائق في أنفسكم فابحثوا عنه وأزيلوه ، وانظروا إلى مكمّن النقص أين يكون .

« الارتباط بالله »

في الدروس السابقة أوصيتكم مراراً والآن أيضاً أوصيكم أن أيها الأعزة ، احرصوا على المناجاة والدعاء ، فهي أَلَذُّ اللذائذ ، وأعظم افتخار العبد يكون بارتباطه بمولاه ، بأن يناجي ويحدث ربه خصوصاً في الأسحار ، فأحلوا ما استطعتم ضيوفاً على الرحمن الرحيم .

من الممكن أن يوصل الأمة إلى السعادة ، دعاءً واحدً ، مناجاةً واحدةً في جوف الليل خصوصاً إذا كان الدعاء بقلب خاضع محترقٍ بالشوق لله عز وجل ، فالله يؤكد أن رعايته وهدايته ورحمته هي من نصيب أولي القلوب الخاشعة الوجلة .

أيها الأعزة ، انتخبوا دعاءً خاصاً لكم ، يناسب حالتكم النفسية وحرصوا على أن تلهجوا به وأن تديموا ذكر الله على كل حال ، اختاروا ذكراً مثل « لا إله إلا الله » أو « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » . . . وغيرها .

جميعُ الأنبياء (ع) كان لكلٍّ منهم ذكرٌ خاص ، فالرسول الأكرم (ص) كان له ذكرٌ ودعاءٌ خاص هو : « اللهم لا تكلمي إلى نفسي طرفة عين أبداً » . . . هذه الأدعية تهبُّ الإنسان السعادة وتبعث فيه الحيوية والإقبال على ربه ، وبواسطتها يتحقق النصر ، أحياناً يُسيطر الإنسان على شياطين الإنس والجن بدعاء واحد هو « يا الله » .

الإمام الصادق (ع) يصف أباه الباقر (ع) بأنه كان دائم الذكر ، والأئمة الأطهار عليهم السلام كانوا جميعاً كذلك ، مشغولين بذكر الله على كل حال .

« الحرص على تلاوة القرآن »

لنتمسك بالقرآن الكريم واجب على كل مسلم ، ويجدر بكل مسلم أن يتلو منه آيات صباحاً ومساءً ، ويلتزم به منهجاً وأساساً لسير حياته ، وهذا الأمر يتأكد بالنسبة لكم أنتم أيها المجاهدون وخاصةً المقاتلون في الجبهات ، والقرآن يؤكد على أن لا يترك قراءة القرآن حتى أولئك المقاتلون في سبيله والذين يتعرضون لنيران العدو ، وهذا ما يوضحه قوله عز وجل : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ، يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ﴾ [سورة المزمل ، الآية ٢٠] .

مظلمة تلك الجبهة التي لا ينورها نور القرآن ، فنوروا جبهاتكم وخنادقكم بتلاوة القرآن ، وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال : « نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ، ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود وانصارى صلّوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم ، فإن البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن ، كثر خيرُه واتسع أهله ، وأضاء لأهل السماء - الملائكة - كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا » (١٤٠) .

كما ورد عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر فيه الله عز وجل ، تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ، وأن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين » (١٤١) .

وعن الإمام الصادق (ع) قال : قال الرسول (ص) : « ليس شيء أشد على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً والمصحف في البيت يطرد الشيطان » .

والله عز وجل يجعل قراءة القرآن الحصن الآمن الذي يستعاذ به من الشياطين (١٤٢) .

(١٤٠ و ١٤١) يُوردهما الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦١٠ .

(١٤٢) يورده المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١١٦ .

والقرآن وتلاوته تبعث النور في قلب الإنسان وتملأه حيوية وإقبالاً على الله عز وجل ، أقوال العرفاء وأساتذة الأخلاق وكذلك أحاديث أئمة أهل البيت جميعها تؤكد وتوصي أن إذا داهمتكم المصائب والفتن والهموم والأحزان فالتجأوا إلى القرآن وآتوه ، وهذا الأمر تؤكدُهُ التجربة أيضاً حيث أثبت أن تلاوة القرآن تُزيل الهمَّ والغمَّ والحزن والقلق من قلب الإنسان وتحصنه من الإصابة بالأمراض النفسية .

تلاوة القرآن في الواقع هي عبارة عن حديث للعبد من مولاه ، حديث من المعشوق إلى العاشق ، ولذلك ورد في الأحاديث الشريفة ، الأمرُ بأنه وعندما تتلو القرآن وتصل إلى آية فيها يا أيها الذين آمنوا ، فقل لبيك اللهم لبيك ، أي أن تجيب نداء مولاك الحبيب ، وهذه هي اللذة الخاصة والطعم الخاص لتلاوة القرآن ، وهذا الطعم هو الذي يُؤهل الإنسان إلى الانقطاع إلى الله تعالى ، في المناجاة الشعبانية ، وهي مناجاة هامة وذات مضامين عالية وقد كان الأئمة الأطهار (ع) جميعاً يواظبون على قراءتها ، في هذه المناجاة نقرأ أن « إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك » ، وتلاوة القرآن توصل الإنسان إلى هكذا حالة معنوية .

الجهة تُوصل الإنسان أيضاً إلى هكذا معنويات عالية ، ولكن بشرط أن يتجلى فيها نورُ الله ، أن تكون عامرة بالدعاء وقراءة القرآن ، وقد ورد عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال : « إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ، فإنه شافعٌ مشفع وماحلٌ مصدق » (١٤٣) .

ولكن هذه الشفاعة والبركة لن تشملكم إذا انقطعت علاقتكم بالقرآن الكريم .

« التوسل بالأئمة الأطهار »

وهو أمرٌ ضروريٌ وهامٌ بالنسبة لجميع المسلمين سيما الأعداء المرابطين

(١٤٣) في ج ٢ كتاب فضل القرآن من أصول الكافي عن الرسول (ص) قال : « إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مشفع وماحلٌ مصدق » .

في الجبهات ، بل يفوق بأهميته الدعاء وتلاوة القرآن ، وقلما نجد في الأدعية المأثورة التي جمعها الشيخ عباس القمي في مفاتيحه ، قلما نجد منها دعاء ليس فيه التوسل بالأئمة الأطهار .

ويُستفاد من روايات كثيرة أن التوسل بأهل البيت (ع) يؤهل الدعاء للقبول ويرفعه إلى السماء ، القرآن الكريم يقول : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٥٧]

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ [سورة المائدة ، الآية ٣٥] ، والإمام الصادق (ع) يحدد مصداق الوسيلة فيقول (ع) : « نحن والله الوسيلة » (١٤٤) .

فإذا أصبتم ببلاء ومصيبة وأذى فتوسلوا بأهل البيت (ع) لكشف البلاء عنكم ، الدعاء بدون التوسل خالٍ من الفائدة ، النبي الأكرم (ص) كان يدعو الله تعالى صباحاً ومساءً ويتوسل بعلي (ع) كي تُستجاب دعوته ويقول لو وجدت مخلوقاً أقرب إلى الله لتوسلت به لاستجابة دعائي .

القرآن الكريم يقول أيضاً : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ .

والإمام الصادق (ع) يقول : « نحنُ والله الأسماء الحسنى » (١٤٥) ، أي أن الأئمة الأطهار هم واسطة انتقال الفيض الرباني إلى العباد ، نقرأ في الزيارة

(١٤٤) في تفسير القمي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ .. قال : تقربوا إليه بالإمام .

وفي المناقب عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال في تفسير الآية « أنا وسيلته » .
ويعلق العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ج ٥ ص ٣٣٤ على الآية والروايات المتعلقة بها فيقول رحمة الله عليه : « وإذا تدبرت الحديث وانطبق معنى الآية عليه وجدت أن الوسيلة هي مقام النبي (ص) من ربه الذي به يتقرب هو إليه تعالى ، ويلحق به آله الطاهرون ثم الصالحون من أمته وقد ورد في بعض الروايات عنهم (ع) أن رسول الله (ص) أخذ بحجزة ربه ونحن آخذون بحجزته وأنتم آخذون بحجرتنا » .

(١٤٥) في كتاب الأصول في الكافي ج ١ عن سادس الأئمة الصادق (ع) قال : « نحنُ والله الأسماء الحسنى التي لا يتقبل الله من العباد إلا بمعرفتنا » .

الجامعة « بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يُنزلُ الغيث وبكم يُمسكُ السماء أن
تقعَ على الأرض ، وبكم يُنفسُ الهم ويكشفُ الضر » .

واستناداً على ما تقدم ، تتضحُ لنا ضرورةُ وأهميةُ التوسلِ بأهل بيت
النبوة والإمامة بالنسبة للجميع ، وخاصةً للمرابطين والمجاهدين في جبهاتنا .

« محاسبة الخاص غير العام »

من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نفهم بوضوح أن حسابَ الخواص يوم القيامة يختلف عن حساب العوام ، لأن الإسلام ينتظر من الخاصة ما لا ينتظره من العامة ، ولذلك نقرأ في الأحاديث أن « يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنبٌ واحدٌ . . » .

القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة ضمن حديثه عن قصة نبي الله يوسف (ع) فعندما فُسر يوسف رؤيا صاحبيه في السجن « بأنه أحدهما يُقتل والآخر يجد له طريقاً نحو الجهاز الحاكم » وعندما أراد صاحبها يوسف (ع) الخروج من السجن قال يوسف للثاني « الذي يجد طريقاً نحو الجهاز الحاكم » قال له : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ « أي قل له إن مظلوماً يقبع في السجن بلا ذنب » لكن هذا السجين نسي ما أوصاه يوسف لمدة سبع أو ثمان سنين بعد أن وصل إلى جهاز الحكم - « وكان الذي أنساه هو الله تعالى » ، ونقرأ في الروايات أن جبرئيل هبط إلى يوسف وسأله « من الذي أنقذك من مكر إخوتك وعزمهم على قتلك » .

فأجاب : هو الله ، فسأله ثانية : « ومن الذي أنجاك من الجب وجعلك عند عزيز مصر ونجاك من الوقوع في المعصية » ، فأجاب يوسف : هو الله ، فسأله ثالثة : « ومن ذا الذي أنقذك من زليخا وباقي النساء » ، فأجاب : هو الله ، هنالك قال جبرائيل : إذن إذا كان الله عز وجل هو الذي نجاك من كل ما مضى فلم تستصرخت صاحبك في السجن ، ولم تدعُ الله هذه المرة أيضاً ، عندما أحس نبي الله يوسف (ع) بالخجل والندم ، وتاب إلى الله وتضرع إليه وبكى ،

ورغم ذلك فقد أبقاه الله عز وجل في السجن سبع سنين بسبب ذلك ، وهذا الفعل لو كان قد صدر من شخص عادي لا من نبي مثل يوسف ، لما استحق مثل هذا العقاب عليه ولما كان بالنسبة إليه ذنباً أصلاً ، ولكن حساب يوسف يختلف عن حساب غيره من الناس ، فالله عز وجل يريد من يوسف وأمثاله أن لا يروا في الوجود مؤثراً إلا الله وهذا هو المتوقع منكم أيضاً ، نعم ، فالمجاهدون يُعدون من الخواص لا من العوام وهم يعتبرون عماد الإسلام من بين الناس ، لذا فما يُتوقع منهم لا ينتظر من عامة الناس ومن الممكن أن بعض الأعمال يُعتبر ارتكابها ذنباً إذا صدرت منكم ولكن نفس تلك الأعمال تُعتبر أعمالاً عادية إذا صدرت من عامة الناس ، فالأشخاص يختلفون بملاحظة أماكنهم ومواقفهم وزمانهم وغيرها ، في قصة نبي الله يونس (ع) سمعتم كيف أنه تحمل من قومه الأذى والظلم والعذاب والكفر برسالته ، وتعرفون كيف أن الله عز وجل وعد نبيه بأنه سيعذب قومه على كفرهم وأذاهم له (ع) وأن عذابهم قريب ، ولكن الذي حدث هو أن نبي الله يونس خرج بعد هذا الوعد من قومه بدون إذن الله ، بسبب ازدياد ظلمهم وأذاهم ، وغادر بلده ، وهذا ما كان ينبغي له أن يفعله ، ليس لأنه ذنب بل لأن النبي ينبغي له أن لا يغادر قومه إلا بإذن ربه عز وجل ، بعد أن غادر يونس بلده ذهب إلى البحر وركب سفينة أبحرت في عرض البحر ، وهناك ظهر لها حوت مهدهداً جميع ركاب السفينة ، ولأجل إنقاذ السفينة منه قرر الركاب أن يضحوا بأحدهم ويلقوه إلى الحوت ، وقرروا أن يكون تعين هذا الذي سيلقى بواسطة القرعة ، وفعلاً اقترحوا أولاً فخرجت القرعة باسم النبي يونس (ع) واقترحوا ثانية وثالثة ، فخرجتا باسمه (ع) أيضاً ، وأرادوا الرابعة ، فرفض النبي (ع) وقال : إن الله عز وجل يأمر بقذفي إلى البحر لأنني هارب ، فآلقوه في اليم ، فأوحى الله إلى الحوت أن أبلعيه - ولكن لا تأكله - فقر النبي يونس (ع) في بطنها ، وهناك تاب وأناب إلى الله وشرع بالبكاء والدعاء والمناجاة ، وكان يقول في مناجاته : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ .

وهنا تختلف الروايات في تحديد المدة التي قضاه يونس في هذا السجن الغريب حتى قبلت توبته ، وتراوح المدة بين خمسة إلى أربعين يوماً ، ثم أمر الله عز وجل الحوت أن اقدفيه إلى الساحل ، فأطاع أمر ربه ، وبعد

أيامٍ قضاهما إلى الساحل عاد إلى قومه فوجد أن العذاب لم ينزل عليهم بعد ، وعرف أنه وبعد ارتحاله عن قومه ، رأوا علامات العذاب الرباني ، فتأبوا إلى الله عز وجل ، فقبل تعالى توبتهم ورفع عنهم العذاب ، وأوحى الله إلى نبيه أن كما قبلنا توبتك قبلنا توبتهم .

والشيء الذي يجب أن لا يُنسى في قصة يونس (ع) ، هو قوله تعالى : ﴿ فلولا إنه كان من المستبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [سورة الصافات ، الآية ١٤٢] .

فالآية الكريمة تقول إن نبي الله يونس (ع) حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة وبالأشغال الشاقة بسبب عمله البسيط - وهو خروجه من قومه بدون إذن الله - وما أنقذه من هذا الحكم سوى أنه (ع) كان من المستبحين ، فأني درس عظيم تعطينا هذه الآية الكريمة ، الموضع يستحق حقاً التأمل والتفكير .

وحديث : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ، يعني أن عملاً ما قد يكون بالنسبة للفلاح والكاسب والفرد العادي ، عملاً جيداً في حين أن نفس هذا العمل يعتبر ذنباً وسيئة بالنسبة للمجاهدين . والله والإسلام والناس أيضاً يتوقعون منك أكثر مما يتوقعونه من غيركم .

من الأمثلة التطبيقية مثلاً على تلك القاعدة ، نقول إن من غير اللائق لأحدكم أن ينازع البائع كثيراً عند شراء شيء ما ، كما أن من غير اللائق بالنسبة له أن يدخن في مكان عام وبزيه الرسمي ، الشجار مع الزوجة عند الإفطار مثلاً ، هذا العمل سيء بصورة عامة ، وهو كذلك إذا صدر من شخص عادي ، لكنه إذا صدر من الخواص فإنه يكون ذنباً كبيراً لأنه سيؤدي إلى تشويه صورتكم في عين تلك الزوجة .

﴿ قد أفلح المؤمنون .. الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ .

ما أكثر الأشخاص الذين لا يتخرجون من القول السيء ويغلب على حديثهم اللغو والكلام الفارغ ، وهذا أمر قبيح بلا شك وهو من عمل أهل

النار ، لكن هذا العمل إذا صدر من اثنين من المجاهدين - في الجبهة - لا
سمح الله - فواضح أنه سيكون من الكبائر - بحد الكفر - فالجبهة محل ذكر الله
وعبادته وفيها تظهر يد رعاية الإمام المنتظر (عج) ، هل يصح أن تتمازحوا مزاحاً
غير مؤدب أو تخاطبوا بعضكم البعض بكلمات غير مؤدبة وغير لائقة عند الإمام
الخميني بالطبع لن تستسيغوا ذلك ، فكيف يصح إذن أن يرتكب شيء من هذا
القبيل في الجبهة - أي في حضرة الإمام المهدي (ع) ؟ ! .

الجبهة والخنادق أماكن مقدسة ، وسبق أن أوضحنا أن الإمام علياً (ع)
يصفها بأنها أكثر قدسية من الكعبة ، فهل يصح فيها والحال هذه ارتكاب المزاح
القبیح أو اللغو والكلام الفارغ في هذه الأماكن المقدسة .

واستناداً على ما تقدم ، ليعرف حارس الإسلام ، أنه ينتهك حرمة
الإسلام إذا أراد أن يُدخَلَ في الشارع أو الأماكن العامة ، فلا يحق لكم أن
تدخنوا في الأماكن العامة .

قيادة السيارة بسرعة ٩٠ كم أو ١٠٠ كم في الشوارع الداخلية
المزدحمة ، هذا العمل سيء بلا شك وإذا قام به الفرد العادي ، يعترض عليه
الناس ، ولكن هل يستطيع حارس الإسلام أن يقوم بذلك ؟ ! بالطبع لا ، وهذا
العمل حرامٌ عليه ، لأنه سيؤدي إلى تشويه صورة المجاهدين في أعين الناس ،
وأي ذنب أعظم من هذا ، فما أكثر ما تُعطي مثل هذه الأعمال الذريعة للأعداء
لتشويه صورة الإسلام وجنده ، وهذا الأمر يُؤكد في الجبهة بصورة خاصة ،
فمثلاً إذا سيطرتم على قرية أو مدينة ، وأسرتُم عدداً من الأفراد فلا يحق لكم
بحال إساءة معاملتهم فهذا ذنب كبير ، أنتم إذا فتحتم قرية أو مدينة فافتدوا عند
دخولكم لها بالرسول الأعظم (ص) عند فتحه مكة ، عندما دخل النبي الأكرم (ص)
مكة جعل بيت أبي سفيان آمناً وأعلن أن من دخله كان آمناً ، على الرغم من أن
أبا سفيان هذا جهّز أربعة وثمانين حرباً على الإسلام وحرّض عليها ، وظل على
كفره إلى الآخر ، الرسول (ص) جعل بيت أبي سفيان آمناً وهو أول وألد أعدائه
وأعدله الإسلام ، عند فتح مكة ، كان أحد المسلمين يحمل الراية وهو يصرخ
بحماسة : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُسبى الحرمة » ، وعند وصول الخبر

إلى الرسول (ص) تأذى من ذلك وأمر الإمام علياً (ع) أن يذهب ويأخذ الراية من ذاك الرجل ، فأخذها علي (ع) وهو يعلن موقف الرسول الأعظم (ص) الرحيم هاتفاً : « اليوم يوم المرحمة » .

الرسول الأكرم (ص) خطب في قريش وزعمائها الذين طالما آذوه فخطبهم قائلاً : « يا معشر قريش ماذا تقولون ؟! وماذا تظنون أنني فاعل بكم » . . . كان من الطبيعي لمن في مثل هذا الموقف أن ينتقم بما استطاع من أولئك الأعداء الشرسين الذين صَبَّوا على الرسول الأكرم والمسلمين ما استطاعوه من ألوان العذاب . . . ولكن محمداً (ص) هو نبي الرحمة والكريم إذا ملك ، وهذا ما كانت قريش تعرفه فأجابته على سؤاله : « خيراً أخ كريم وابن أخ كريم » ، فأجابهم الرسول (ص) : « أقول لكم كما قال أخي يوسف : « لا تريبَ عليكم اليومَ يُغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهو أرحمُ الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء . . » (١٤٦) .

أيها المجاهدون ، ارفقوا بأعداء الإسلام وعاملوهم بالحسنى وحاولوا هدايتهم ، ما لم يكونوا متآمرين ، فأما المتآمرون الذين يصدون عن سبيل الله ، ويتآمرون على الإسلام ، فاقطعوا حيثنذ عليهم كل سبيل .

أنتم أيها المجاهدون ، عليكم أن توضحوا للناس بأعمالكم رحمة الإسلام ورأفته لا تتعاملوا بخشونة مع السجناء ، ولا تحتقروهم ولا تجرحوا أحاسيسهم ولو بالحديث ولو فعلتم ذلك فويلٌ لكم وألف ويل .

تذكروا دائماً قولُ الإمام الصادق (ع) : « الحسنُ لكل أحدٍ حسن ومنك أحسن لمكانك منا ، والقبیحُ لكل أحدٍ قبیحٌ ومنك أقبح لمكانك منا » .

فالعَمَلُ الصَّالِحُ جيّدٌ من أي شخص صدر حتى ولو كان يهودياً ، ولكنه منك - أيها المجاهد - أفضل وأكثر جودة ، لماذا ؟ لأنك محسوبٌ على أهل البيت وإمام العصر ، والعَمَلُ القَبِيحُ قَبِيحٌ من أي شخص صدر حتى ولو كان مساماً ، لكنه أقبح منك أنت أيها المجاهد ، لماذا ؟ لأنك تُحَسَبُ على

الإسلام والإمام المنتظر (عج) ، ولأنك أيها المجاهد في الجبهة تعيش
المحل الذي يتجلى فيه نور الإمام المهدي (ع) وباقي أهل البيت .
والخلاصة من كل ما تقدم هي : أن الله تعالى ، والإسلام ، والناس
جميعاً يتوقعون من الأشخاص المحسوبين على الإسلام أكثر مما يتوقعونه
غيرهم ، وأن حسابهم يختلف كثيراً عن حساب عامة الناس .

« مسؤولية المجاهد أكبر »

اتضح من المحاضرة السابقة ، أن الشخص المحسوب على الإسلام يُعتبر ذنبه أكبر بدرجات من ذنب غيره ، مثلما يحدده الله عز وجل بشأن نساء النبي (ص) فيقول تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ، وَمَن تَقَنَّتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلُ صَالِحًا نُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ . . ﴾ [سورة الأحزاب ، الآيات ٣٠ - ٣٢] .

ومفهوم هذه الآية الكريمة ينطبق أيضاً على رجل الدين والمجاهد فيضاعف أي ذنب يرتكبه أحدهم .

الإنسان ، إما أن لا يدخل سلك الطلبة والجهاد أصلاً ، وأما إذا دخل فعليه أن يلتزم بما يتطلبه ذلك منه ، وكذلك حال المجاهد أما أن لا يذهب إلى الجبهة ، وأما إذا ذهب فعليه أن يلتزم بأخلاقيات وواجبات هذا المكان المقدس ، وعليه أن يضع نصب عينيه دائماً قول الإمام الصادق (ع) : « الحسن لكل أحد حسن ومنك أحسن لمكانك منا ، والقبیح لكل أحد قبیح ومنك أقبیح لمكانك منا » ، وليعرف أن القرآن أعلن أن المحسوب على الإسلام يُضاعف ذنبه .

« حفظ اللسان من الكلام الجارح »

على الإنسان إذا كان من المجاهدين أو من علماء الدين ، عليه أن يكون حذراً ودقيقاً جداً في محل عمله ، في حديثه في ذهابه وإيابه ، في تعامله مع

الناس ، مع العدو ومع الصديق ، عليه أن ينتبه لأعماله بصورة دائمة ، أن يلتزم بالآداب والأحكام الشرعية ، فلا يُكثر الكلام دون ضرورة ، فكثرة الكلام مذمومة شرعاً وهي تورث ضغط القبر .

القرآن الكريم يؤكد صراحةً أن هناك حفظةً يسجلون علينا كل ما ننطق به من خيرٍ أو شر ، وأن جميع أقوالنا ستُعرض وستُعلن على الملأ يوم القيامة ، ولأجل ذلك سُمي يوم القيامة بأنه ﴿ يوم تَبْلَى السرائر ﴾ ، حيث تُزال فيه الحجب والأستار ، وتكشف الأسرار ، وتعلن يومئذ جميع الأعمال والأقوال ، ويومئذ يعرض الإنسان أصابعه من الندم ، وليس من ارتكاب الذنوب والغيبة وحسب بل ومن اللغو والكلام الفارغ أيضاً ، فاللغو والكلام الفارغ حرامٌ على الطلبة والعلماء والمجاهدين بالعنوان الثاني .

اللغو والكلام الفارغ الذي ليس له نفعٌ لا في الدنيا ولا في الآخرة يعتبر عملاً مشكلاً من الناحية الشرعية إذا صدر من المقاتل في الجبهة الذي يُفترض فيه أن يملأ أجواء الجبهة بالدعاء والمناجاة ويهز عرش الله من كثرة دعائه ، والعياذ بالله من أن يعتاد لسان أحد المجاهدين في الجبهة على الكلام غير اللائق والحديث الجارح ، إذ أنها تُعتبر من الذنوب العظيمة .

والأمر الذي يجب أن تنتبهوا له جيداً هو أن جميع ما تقولونه لن يذهب سدى ، بل أنه يبقى على صورة أجسام يتجسم بها يوم القيامة ، ومن القرآن والأحاديث يفهم أن الكلام يترك أثراً في الإنسان يتحول فيه تدريجياً إلى ملكةٍ راسخة في نفسه ، وتقوم هذه الملكة بتحديد هوية الإنسان في يوم القيامة وفق طبيعة الكلام الذي كان يعتاد عليه شراً فشراً وخيراً فخيئراً ، فمثلاً يُحشر الإنسان الذي يكثر من الكلام الفاحش والجارح على هيئة قرد .

أيها الأعضاء في الجبهة ، احذروا الغفلة عن الله فإن الإنسان قد يصبح من أهل النار بسببها ، وتيقنوا من أن الإمام المنتظر (عج) لن يقبلكم في حضرته إذا شاع الكلام الفاحش والجارح بينكم .

أتى رجلٌ إلى الرسول الأعظم (ص) ليعظه فقال له الرسول (ص) : « احفظ لسانك » فأعاد الرجل طلبه الموعظة فقال الرسول (ص) : « احفظ

لسانك » وهكذا ثلاث مرات^(١٤٧) ، وهذه حقيقة واقعية حقاً ، فإذا حفظ الإنسان لسانه ظل بعيداً عن كثيرٍ من مواطن الانحراف ، فالكذب ، الغيبة ، البهتان ، السباب والالتهام والتجريح ، إثارة الشائعات وأمثالها ، كلُّها ذنوبٌ تصدرُ من اللسان « وبالطبع فإن الغيبة والكذب وغيرها لا وجود لها في الجبهة » .

أيها الأخوة ، لتكون أعمالكم من السمو بحيث تجملُ صورةَ الجبهة في أعين الناس ، لا - والعياذ بالله - أن يقولَ القاتلُ ، إن ابني ذهبَ إلى الجبهة وعاد مدخناً ، فهذا القولُ عارٌ حيث يُعتبرُ التدخين في ميادين الصراع محرماً بالعنوان الثانوي .

« تعاملُ أفرادِ المجاهدين مع الناس »

من المؤكد أن تعاملنا مع الناس يجب أن لا يكون خشناً ، وإذا لم يراقب الطالب وعالم الدين والمجاهد ، نفسه ولم ينتبه لمكر الشيطان ، فإن الغرور والتكبر سيتسلل إلى نفسه ، وأولى مفسدات الغرور هو التعامل الخشن مع الناس ، وهو من السيئات الكبيرة ويعتبرُ بمثابة إعلان الحرب على الله عزَّ وجلَّ .

يُنقل أن رسول الله (ص) بينما كان جالساً مرةً ، وإذا بجند الإسلام يأتون بأحد قادة العدو مقيداً بالسلاسل في رجليه ويديه ، فلما رآه الرسولُ (ص) تبسّم وقام وفرش له عباءته وأجلسه عليها ، وأمر أن تُفك قيودُه ، فسأله الأسير :

(١٤٧) في ج ٢ من الكافي للكليني ص ١١٥ : « جاء رجلٌ إلى النبي (ص) فقال له : يا رسول الله أوصني ، قال (ص) : احفظ لسانك ، فقال : يا رسول الله أوصني ، قال (ص) : احفظ لسانك ، ويحك وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائدُ السُّتهم » .

وفي مكارم الأخلاق ص ٤٦٣ ضمن وصايا الرسول الأعظم (ص) لأبي ذر عليه الرحمة : « يا أبا ذر : دُع ما لستَ منه في شيء فلا تنطق بما لا يعينك واخزن لسانك كما تخزن ورقك » .

يا أبا ذر : الصلاة عمادُ الدين واللسان أكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر والصوم جنّة من النار واللسان أكبر ، والجهاد نباهةٌ واللسان أكبر .

يا محمد ما الذي يضحكك ، فأجاب (ص) : « إني لأضحك من أن هؤلاء يجرونك إلى الجنة بالسلاسل وأنت تريد أن تفك القيود » ، وتحدث (ص) مع الأسير برهة بكلام طيب ، فأسلم الأسير في نفس الوقت تأثراً بأخلاق النبي (ص) الكريم وحسن تعامله .

« التعامل مع العلماء »

التعامل مع علماء الدين يجب أن يكون دقيقاً ومؤدباً جداً ، حتى مع علماء أي من المذاهب الأخرى ، فالعواقب الناجمة عن التعامل السيء مع العلماء سيئة وكثيرة المفسد ، أحد العلماء الكبار يُوصي بهذا الخصوص فيقول : « حاذروا من التحدث على العلماء ، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً » .

احرصوا ما استطعتم على احترام العلماء وإظهار الود والتجليل لهم .

الإمام الخميني (قده) يحرص على أن يقرن اسم أي من العلماء الدين يذكرهم في دروسه أو كتبه ، يقرنه بعبارات التجليل والاحترام حتى لو كان العالم على مذهب آخر .

فحذار حذار أيها الأخوة من أن يتسلل الغرور إلى أنفسكم حتى تنسوا السلام على الآخرين ، احرصوا دائماً على البدء بالسلام اقتداءً بالرسول الأكرم (ص) الذي تصفه الروايات بأنه ما كان يستطيع أحد أن يسلم عليه لأنه (ص) كان سباقاً للبدء بالسلام على الصغير والكبير .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً ، هذه الفريضة الإلهية الهامة ، احرصوا على أدائها بالأخلاق الفاضلة والرحمة والرفق والكلمة الطيبة ، ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ، يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية ١٣] .

فلقمان الحكيم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بصورة نصيحة أبوية رحيمة ورؤوفة ، لأن الخشونة والعظلة في أداء هذه الفريضة تعتبر ذنباً فضلاً عن أنها لا تُثمر شيئاً .

كذلك عليكم أيضاً أن تحذروا ما استطعتم وتكونوا دقيقين في تعاملكم

مع النساء ، واحرصوا على الرفق والرحمة والحذر تجاه أمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر ، واحرصوا ما استطعتم على تجنب التعامل مع غير المحارم من النساء ، لا تُخدعوا بأوصاف الأخت والأخ ، تذكروا دائماً قصة نبي الله يوسف (ع) الذي كان يدعو ربه في تلك الظروف الصعبة رغم كونه نبياً كان يدعو ﴿... رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، فَاسْتَجِبْ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يوسف ، الآيتان ٣٣ ، ٣٤] .

« النظافة وأهميتها »

من الأمور الأخرى الهامة التي يجدر بالأخوة أن ينتبهوا لها ويراعوها بصورة كاملة ، هو موضوع النظافة والطهارة ، فيجب أن تراعى في الجبهة ، وبين الناس ، وفي محال العمل والمعسكرات وغيرها ، ومن غير اللائق حتماً أن يكون له لباس أو حذاء قذر^(١٤٨) .

احذروا من أن تعطوا العدو أو الصديق أية ذريعة يُسيء بها إليكم . إذا أصبح شخص أو اثنان مدخنين باسمكم ، فعلى الإسلام السلام ، إذا وقع نزاع أو اختلاف بسيط بين أمر وآخر ، واعدوا أن العدو سيعلن خبر تفكك ونهاية المجاهدين والإسلام .

أيها الأخوة الأعزاء ، احذروا وراقبوا جداً جميع أعمالكم وأقوالكم وتعاملكم وحاسبوا أنفسكم جيداً .

(١٤٨) عن الرسول الكريم (ص) قال : « من اتخذ ثوباً فلينظفه » ، وسائل الشيعة ج ١ ص ٥٨ . وعن الرسول (ص) أيضاً : « اكسوا أديتكم ولا تشبهوا باليهود » الوسائل ج ١ ص ٣٢٠ . ويلاحظ هنا الحديث الذي يرويه صاحب الوسائل عن الإمام الصادق (ع) وفيه إشارة إلى الأثر الذي يتركه الاهتمام بالنظافة ، في زرع الهمية في قلوب الأعداء ، يقول الإمام عليه السلام : « الثوب النقي يكبت العدو » وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٧٨ .

« حديث مع القادة »

في هذه المحاضرة لدينا بعض الكلمات نوجهها للقادة .

يُستفاد من العديد من الأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين (ع) حقيقة ، تؤكدُها التجارب الماضية أيضاً ، وهي أنه إذا صلح رئيسُ قومٍ ما صلح قومُهُ أيضاً ، أي الناسُ على دين ملوكهم ، فالعامة تنظر عادةً إلى زعمائها وعلمائها وحكامها .

الإمام الخميني (قده) يقول بهذا الخصوص : « لقد ثبت لي بالتجربة ، أن القرية التي يشيع فيها العلم والعفة والفضيلة ، إما أن فيها عالماً كفوءاً فعلاً أو كان فيها قبلاً والعكس صحيح أيضاً » ، « إذا صلح العالم صلح الناس ، وإذا فسد العالمُ فسد العالمُ ، إذا صلح الرئيس صلح المرؤوس . . » .

ليعرف قادة الوحدات والأقسام والمجاميع ، أنهم لو كانوا على فضيلة وعفة ، فسيكون كذلك أيضاً من تحت امرتهم بصورةٍ طبيعية ، وعلى نفس هذه القاعدة يُعطي الآباء والأمهات الصالحون ، أبناءً صالحين للمجتمع .

يقولُ تعالى في كتابه المجيد : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ فواجبُ القادة هو فضلاً عن مراقبة أنفسهم والحفاظ عليها من السقوط في المعاصي ، عليهم أيضاً أن يراقبوا ويحافظوا على من تحت أيديهم وأمرتهم ، وأفضل وسيلةٍ لحفظهم من مزالق الانحراف ، هو التزام القادة أنفسهم عملياً بأحكام وآداب الشريعة الإسلامية المقدسة .

هذبوا الآخرين وربّوهم بسلوككم وعملكم ، فعندما يعلمُ أحدكم أن

قائدُه يصلي صلاة الليل ويقرأ الأدعية والمناجاة ، سيتأثر هو أيضاً بذلك ويصبح هو أيضاً من أهل صلاة الليل والمناجاة والدعاء والتوسل ، ولكنه عندما يرى قائدَه يجادل وينازع ويلغو و . . . سيتأثر به أيضاً ويقتدي به في تلك الأعمال ، أو إذا كان القائد يعامل الأسرى معاملةً سيئةً فواضح كيف ستكون معاملة من تحت إمرته تجاه الأسرى .

« نقاط هامة حول تربية وتهذيب النفس » :

تقدّم فيما سبق إيجازاً لأهم ركائز التربية ، وهنا نكرر مرةً أخرى أهم الأمور الأساسية التي يحتاجها المجاهدون سواءً في الجبهة أو غيرها ، لتربية النفس وتهذيبها :

١ - الإخلاص : وحقيقته هي أن تؤدي جميع الأعمال من أجل رضا الله سبحانه فقط ، وعلاقته هي أن لا تياسوا ولا تهنوا إذا حدث - لا سمح الله - أن غلبتم ظاهرياً في الجبهة ، وعلامة إخلاص القائد والمسؤول هي أن لا يستغل مسؤوليته ومنصبه وزيه استغلالاً سيئاً ، وعلى العكس إذا أهان القائد أو احتقر واستخف بأحدٍ ممن تحت إمرته فهذا التصرف ناشئ من فقدان الإخلاص لدى القائد ، وهو - التصرف المذكور - ذنبٌ عظيم ، وموجبٌ لغضبِ الله عز وجل على مرتكبه ، والنصوص الشرعية تؤكد أن المسؤول إذا نظر بعين الاحتقار والسخرية لمن تحت إمرته ، فسيُسخر منه يوم القيامة بعد أن يلقى في جهنم .

٢ - الأخوة : وتؤكد أهميتها بين القادة خصوصاً ، إذا حدث - لا سمح الله - أن نشب خلافٌ ونزاعٌ وتنافسٌ بين اثنين من القادة ، أو كان هناك شيء من هذا القبيل في المدن وامتد إلى الجبهة ، فهذه الجبهة ستتحول إلى جبهة ضرار^(١٤٩) ، لا الجبهة التي يفترض أن يتجلى فيها نورُ الله سبحانه وتعالى .

إذا نشب - لا سمح الله - خلافٌ ونزاعٌ بين المجاهدين ، فلن يبقى للإسلام باقية ، ولن يبقى المقرُّ مقرَّ حرس الإسلام ، بل سيصبح مقر ضرار ، سيصبح المقر الذي يترسخ فيه وجود المنافقين عبر إثارة الفتنة .

(١٤٩) إشارة إلى مسجد ضرار الذي وردت قصته في القرآن الكريم .

إذا نشب - لا سمح الله - نزاع أو جدل بين اثنين من القادة في الجبهة أو غيرها فاعلموا أن الآثار السيئة لهذا النزاع والجدل ستؤثر على الجبهة ككل وستنتقل إلى من تحت إمرة القائدين ، سواء أرادا أم لم يريدوا ، وتذكروا أن أعظم الذنوب في الإسلام هو ذنب إثارة النزاع والاختلاف والفرقة بين المسلمين ، خاصة في الظروف الحالية التي يمر بها الإسلام ، وبالأخص في ظروف الحرب الحالية .

إذا أدت تصرفات القائد وسلوكه إلى نشوب النزاع والفرقة إلى من تحت إمرته ، فليعرف أن ذنب ذلك سيتحمّله هو - القائد - بالدرجة الرئيسية .

٣ - الرفق والتراحم : ويجب أن تسود روح التراحم والرفق بين المسلمين في كل مكان خاصة في الجبهة ، وكما تجب على الجند والمجاهدين طاعة قادتهم واتباعهم ، كذلك ينبغي للقائد ، أن لا يدع روح الاستبداد تسيطر عليه ، بل عليه أن يشاور جنده ومن تحت إمرته ويحترم آراءهم ، وصفة الرفق والتراحم ضرورية للجميع ومن اللازم توفرها في كافة المراكز والمؤسسات والمنظمات وخاصة مراكز المجاهدين .

٤ - الصبر والثبات : وهذه من الأمور الهامة الأخرى التي يجب توفرها فيكم ، وهي أكبر أهمية ! وضرورة بالنسبة للقائد .

الجبهة والحرب تحتاج بصورة كبيرة وخاصة للتحلي بالصبر والثبات وسعة الصدر وطول النفس ، الرسول الأعظم (ص) يحدد للإيمان ركنين أساسيين يُبنى عليهما ، هما :

١ - شكر الله عز وجل إذا انتصرتكم وغلبتم أعداءكم .

٢ - الصبر عند البلاء والمصائب والهزائم الظاهرية .

إذا تحدث القائد بحديث ما قد يُشْم منه رائحة اليأس ، فمن الواضح ماذا سيحدثه ذلك من آثار سيئة على من تحت إمرته .

وعلى العكس من ذلك ، إذا كانت أفعال وأقوال القائد تجاه المصاعب والهزائم وغيرها ، كانت بالصورة التي توضح قوة صبره وسعة صدره ، فمن

المؤكد حينئذ أن ذلك سيؤثر تأثيراً إيجابياً على جنده ويلهمهم روح الصبر والإيمان .

٥ - التوكل على الله عز وجل : وهو من الأمور الهامة التي يجدر بالجميع الالتزام بها خاصةً المقاتلين وبالأخص القادة . . . وليكونوا دائماً واضعين نصب أعينهم حقيقة أنه إذا تحقق لهم النصر ، فهو من عند الله سبحانه ، وبفضل التوكل عليه وإذا أصابتكم مصيبة ، فليعلموا أنها من شرور الغرور وعدم التوكل على الله سبحانه .

وخلاصة كل ما تقدم هي أن تعلموا أن الجبهة هي أفضل محل لتهديب النفس واكتساب الفضائل والأخلاق الحسنة .

يقول أحد العلماء الكبار : « إذا أردتم الوصول إلى درجة النفس الراضية المرضية فاذهبوا إلى الجبهات بنية مخلصه » .

« التقوى عند القيادة »

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُرَوَّنَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الحج ، الآيتان ١ - ٢] .

ويقول تعالى في سورة الأعلى :

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ، سِذِّكُرْ مَنْ يَخْشَىٰ ، وَتَجْنِبُهَا الْأَشْقَى ،
الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [سورة الأعلى ، الآيات ١٣ - ٩] .

نعم فعذاب جهنم أليم وشديد ومن الشدة بحيث تتعطل جميع قوى الإنسان عن العمل باستثناء قوة الحس كي تحس بالعذاب الإلهي ، وهناك لا يموت فيها ولا يحيى فهو لا يموت فيرتاح من العذاب الشديد ولا هو بحي يحيى حياة عادية .

وفي سورة المعارج يقول عز وجل :

﴿ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بَنِيهِ ، وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا ، إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ، تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّى ﴾ [سورة المعارج ، الآيات ١١ - ١٧] .

كما يقول في سورة البقرة :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٤٨] .

من النصوص القرآنية المتقدمة وغيرها ، يُفهمُ بوضوح أن التقوى هي سبيل نجاة الإنسان من النار والعذاب الإلهي ، وهي سبيلُ فلاحه في الدنيا والأخرى ويقول عز وجل في كتابه المجيد أيضاً : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ٩٦] .

نعم فالذنوب هي التي تُقيدُ الإنسان وهي التي تمنعُ أنعم الله .
حارس الثورة يجب أن يكون المرأة التي تتجسّد فيها أفضلُ صور التقوى ، والجهة يجب أن تكون محلّ تجلّي التقوى .

« على القائد احترامُ جنده ،

النبيُّ الأكرمُ محمد (ص) ذهبَ مرةً لعيادة أمير المؤمنين (ع) الذي كان قد أصيبَ بالحمى شديداً في عينه ، الرسول (ص) أرادَ أن يصرف الإمام (ع) عما يعنيه من ألم ، فشرعَ (ص) في الحديث عن قبض الروح والموت ، وكيف أن الكافر إذا حان أجله يأتيه ملك الموت بقضيبٍ حامٍ كالجمر من نار جهنم وبه يقبضُ روحَ الكافر بشدة ، فأشفق الإمام (ع) من ذلك كثيراً بحيث قام من سريره وطلب من الرسول (ص) أن يعيدَ هذا الوصف ثانية ، ففعل (ص) ، فسأله الإمام (ع) أن يا رسول الله وهل في أمّتك من تقبضُ روحه بهذه الصورة ، فأجاب (ص) : « نعم ، الظالم والمعتدي » .

ومصادق الظالم والمعتدي لا ينحصر في عصرنا الحاضر بصدام وحسب ، بل إن القائد في القوات الإسلامية يعتبرُ ظالماً أيضاً إذا أهان أحد المقاتلين أو احتقره أو سخر منه ولم يحترمه فكل ذلك ظلمٌ واعتداء .

إن الذي يلجأ إلى الكلام اللاذع والبذيء في حديثه مع الناس أو يحقّرهم سيُحشَرُ يوم القيامة على هيئة الكلب ويُلقَى في جهنم ، وعندما يصرخ فيها ويستصرخ أن ربنا أخرجنا منها ، يأتيه الجواب الإلهي أن « اخسأوا فيها ولا تكلمون » ، لاحظوا هنا وصفَ اخسأوا ودققوا فيه ، فهذا اللفظ كان يُستخدم في الجاهلية لطرد الكلب ولعل في استخدامه في هذا النص إشارة إلى أن هيئة المُخاطبين ستكون كهية الكلب .

« الالتزام بالفرائض »

أولى مراتب التقوى هي الالتزام بما فرض الله تعالى علينا ، فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة شرعية ، يجب عليكم أن تلتزموا بالعمل بها حتماً وخاصةً في الجبهات ، وهذا بغض النظر عن وجوب هذه الفريضة على كل مسلم .

« صفات المجاهد في سبيل الله »

للمجاهدين الذين دعاهم الله إلى التجارة معه ووعدهم الجنة والدرجات العلى مقابل أن يشتري منهم أموالهم وأنفسهم يجاهدون بها في سبيله ، لهؤلاء صفات حددها الله عز وجل في القرآن بما يلي :

١ - الثابثون : أي أن يكونوا دائماً في حالة التوبة والإنابة إلى الله والمناجاة معه .

٢ - العابدون : وأن يكونوا في جميع أعمالهم عباداً لله عز وجل .

٣ - الحامدون : وأن يشكروا الله عز وجل على كل حال على نعمائه ، وأن تكون حالة الشكر هذه حقيقة راسخة في قلوبهم وأرواحهم .

٤ - السائحون : وأن يكونوا في جميع أحوالهم سائرين إلى الله وكادحين للقائه .

٥ - الراكعون الساجدون : أي أن يولوا الصلاة أهمية كبرى ، ويقبلوا على الركوع والسجود في كل مكان عند فراغهم - في الجبهة والخندق و ..

و .. و ..

٦ - الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر : أن يتخذ المجاهد هذه الفريضة شعاره يلتزم به قولاً وعملاً في الجبهة ومراكزكم ، على الجميع أن يكون أحدهم مرآة لأخيه وأن يشجع كل منهم أخاه على أداء الفرائض والتكاليف الإلهية على أحسن وجه ، وعليكم اجتناب المحرمات ، واحرصوا على منع وقوع أية معصية في الجبهة والحرس مهما كانت صغيرة - المعصية - .

٧ - الحافظون لحدود الله : أي أن يحرصوا على مراعاة وحفظ حدود الله وأن يمتنعوا ارتكاب المعصية في الجبهة ومحال عمل المجاهدين أصلاً .

إذا لم يلتزم القائد بالفرائض ولم يحرص ويهتم بها ، فالمؤكد أن جندَهُ لن يلتزموا بها أيضاً في حين أن الجندي والمجاهد عندما يرى قائده ومسؤوله يحضر إلى محل صلاة الجماعة في أول وقتها ، فالمؤكد أن ذلك سيؤثر تأثيراً إيجابياً عليه سواء من حيث يدري أو لا يدري ، قصرت المدة أو طالت .

وعلى العكس إذا لم يحضر القائد - وبدون عذر - إلى صلاة الجماعة فالمؤكد أن ذلك سترك أثراً سيئاً على باقي المقاتلين ، وإذا كان عددُ المشتركين في اليوم لإقامة صلاة الجماعة أو مجلس الدعاء مئة شخص مثلاً ، فإن هذا العدد سينخفض تدريجياً حتى يصل الحال إلى فقدان صلاة الجماعة ومجلس الدعاء .

وكذلك الحال إذا رأى المقاتلون من قائدهم شجاعةً وبطولةً فريدةً ، فسيتأثرون بذلك حتماً وتبرُّ لديهم الشجاعة والإقدام ولن تجد تراجعاً أو فراراً منهم في الحديث الشريف : « من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة » (١٥٠) .

إذن أصبح واضحاً الآن ، أن أهم ما يجبُ على المجاهدين وخصوصاً قاداتهم هو الالتزام بالتقوى ، « أداء الفرائض واجتناب المحارم » فهذه هي أولى مراتب التقوى .

« الاحتياط ضروري في الأعمال »

يجدرُ بحارس الإسلام أن يلتزم بالاحتياط في أعماله خصوصاً القادة

(١٥٠) في كتاب المحاسن للبرقي ص ٢٧ من طبعة إيران عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : « من استنَّ بسنةٍ عدلٍ فاتبع ، كان له أجرٌ من عمل بها من غير أن يُتقصَّ من أجورهم شيء ، ومن استنَّ جورٍ فاتبع ، كان له مثلٌ وزر من عمل بها من غير أن يُتقصَّ من أوزارهم شيء » .

الأعضاء في الجبهة كما ينبغي للقائد والمسؤول أن لا تكون قنوات ارتباطه بالخارج وطرق حصوله على الأخبار والمعلومات محدودة^(١٥١) ، فإحدى المشاكل التي تعترض عمل القيادة وتعيق أداء المسؤولية بالمستوى اللائق هي مشكلة استقاء المسؤول أو القائد لمعلوماته من قناة واحدة وهذا ما يؤدي إلى شيوع سوء الظن وانتشار الشائعات ، لذلك فالواجب على القائد أن يدقق في كل أحاديثه وقراراته وأعماله ويناقشها وكذلك المعلومات التي يحصل عليها ، مناقشة دقيقة للغاية ، وكل ذلك يقوم به قبل أن يصدر منه أي حديث أو قرار أو عمل وهذا هو مصداق أعمال الاحتياط ، أي أن لا تسمح بصدور الأعمال والقرارات والأقوال ارتجالاً بل بعد المناقشة والتفكير والاستشارة .

واعلموا أن القائد أو المسؤول إذا ارتكب خطأً أو اشتبهاً - ولو عن غير قصد - فإن أول سؤالٍ سيوجه إليه يوم القيامة هو لماذا لم تحتط ؟! ، إذا أدى عملٌ أو قولٌ أو تعاملٌ ولو عن غير قصد من أحدكم ، وأدى إلى أن تنشوء صورة ذلك الشخص في أعين الناس ، فليعلم أنه سيُسأل يوم القيامة أن لماذا لم تحتط في أعمالك . فالاحتياط ضروريٌ لجميع المجاهدين ، وواجبٌ عليهم وخصوصاً بالنسبة للقادة ، وبالصورة التي يذكرها الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا . . ﴾ [سورة التغابن ، الآية ١٦] والآية تعني أن علينا أن نلتزم بالاحتياط في أعمالنا وأقوالنا وقراراتنا ما استطعنا لذلك سبيلاً ، والخلاصة هي أن :

« ترك الاحتياط يعتبر ذنباً بالنسبة للمقاتلين في الجبهة ، وهو بالنسبة للقادة بالذات ذنبٌ أكبر » .

« الحرص على المستحبات »

من الأمور الأخرى التي ينبغي للقادة والمسؤولين بل ولجميع المجاهدين ، أن يهتموا بها ويحرصوا عليها ، هي أداء المستحبات ، فالالتزام

(١٥١) وهذا تطبيقٌ عمليٌ للاحتياط في الأعمال ، إذ أن استقاء المعلومات من مصادر محدودة قد يؤدي بالقائد إلى أن يظلم بعض الأفراد أو يتخذ قراراتٍ خاطئة تعتمد على معلومات ناقصة وهو الأمر الذي ينتج عادةً من محدودية قنوات الارتباط واستقاء المعلومات .

بها يفتحُ أمام العبد باب الرعاية الإلهية والهداية الخاصة .

ويجدر الانتباه إلى أن الحرص على المستحبات يمتاز بأهمية خاصة في الجبهات لأن الجبهات أحوَجُ ما تكون للهداية والرعاية الإلهية الخاصة . وطبيعيُّ أنا جميعاً فقراء ومحتاجون للرعاية الإلهية هذه إلا أن احتياج الجبهات أخصّ وأهم . لذلك فمن الضروري للقادة أن يعملوا بالمستحبات وخاصة صلاة الليل التي وردَ التأكيدُ والحثُ عليها في النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة أكثر مما ورد من حثٍ وتأكيّدٍ على باقي المستحبات . وهي - صلاة الليل - التي توصل الإنسان إلى المقام المحمود وهي التي تبعث في الإنسان المعنوية العالية والنشاط أكثر من غيرها من المستحبات .

فيا أيها القادة احرصوا واعملوا على إبقاء يد الرعاية الإلهية تظلكم وذلك بالالتزام بإقامة صلاة الليل وكونوا قدوةً للآخرين في ذلك .

احذروا من السماح للشيطان أن يدخل نفوسكم بذريعة أن لا تؤدوا هذه الصلاة أمام الآخرين لأن ذلك من الرياء ، كلا بل أدوها بإخلاص ولو في حضور الآخرين .

أيها القائد ، أقم صلاة الليل في السحر مقابل جنحك وباقي إخوانك ، كي يتذكر الآخرون أيضاً ، فتحيي بذلك هذه السنة ، واعلم أنه لو اقتدى بك شخصٌ وأقام صلاة الليل فإن ثوابها سيكتب لكما معاً .

ومن المستحبات الأخرى التي تمتاز بأهمية خاصة أيضاً هي تلاوة القرآن الكريم . فاقروا أيها القادة في وسط العسكريين القرآن بصوت عالٍ وخاشع كي يتذكر الآخرون ويقتدوا ، فمن الواضح أن للتلقين أثرأفعالاً في الناس ، وعندما ترون أصدقاءكم قد جلسوا يتلون القرآن ويذكرون أهل بيت العصمة ، فمن الطبيعي أن تميلوا أنتم أيضاً وترغبوا بذلك .

القادة - في الجبهات وغيرها - يستطيعون أن يسنوا سنةً حسنةً كهذه يوجدوا بذلك آثاراً حسنةً جمّةً .

أيها القادة والمسؤولون . . اشتركوا في مجالس دعاء كميل ليالي

الْجُمُعِ ، لِيَقْتَدِيَ بِكُمْ جَنْدَكُمْ وَيَصْبِحُوا مِنْ أَهْلِ الدَّعَاءِ وَذَكَرَ اللَّهُ .
وفي آخر البحث ننقل لكم روايةً عن الرسول الأعظم محمد (ص) ،
نأمل أن تكون دائماً نصبَ أعينكم وموضع تفكيركم

الرسول (ص) كان يوماً جالساً بين أصحابه فقال (ص) :
- « يوشكُ الأممُ أن تداعى عليكم تداعي الأكلة على قصعتها » .
فقال أحدُ الأصحاب :

- من قلةٍ نحنُ يومئذٍ - أي بسبب قلة العدد والعدة يهجم علينا الأعداء
ويمزقوننا - .

فأجاب (ص) :
- « بل أنتم كثيرٌ .. ولكنكم غشاءٌ كغشاء السيل .. وليزعزع الله من
عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » .
فيسأله أحدهم :
- يا رسول الله وما الوهن ؟

فقال (ص) :
- « حبُّ الدنيا وكراهةُ الموت » (١٥٢) .
الحمدُ لله لأن لا وجود لكراهة الموت في قلب المجاهدين ، وعلى حدِّ
وصف الأجانب أنفسهم فإن أطولَ صفٍ هو صف المتطوعين لتفجير الألغام
بأجسامهم ، الآن لا يعتبرُ حارساً للإسلام من يخافُ الموت ، فالجميع يرحبون
بالقتل في سبيل الله ، وإن شاء الله يزولُ أيُّ أثرٍ لحبِّ الدنيا من
قلوبكم أيضاً .

ولكن انتبهوا هنا إلى نقطةٍ هامةٍ هي أن حبَّ الدنيا لا يعني فقط حبَّ
المال ، بل إن معناه أعمُّ من ذلك ، فالتنافسُ بين القادة والعياذ بالله هو من

(١٥٢) الحديث يرويه ابنُ داود في سننه تحت رقم ٤٢٩٧ .

مصاديق حبّ الدنيا ، ونشوبُ نزاعٍ وخلافٍ بين المجاهدين ، نشوب ذلك يكشفُ عن وجود حبّ الدنيا في القلوب .

ادعوا الله جميعاً أن يزيل من قلوبنا ومن بيننا جميعاً التنافسَ في حبّ الدنيا ، وطلب الرئاسة ، وعبادة المال ، وسوء الظن . . وغير ذلك من علائق الدنيا .

ادعوا الله جميعاً كي يوفّقنا لأن نتخلّق بأخلاقه عزّ وجلّ .

« إلهي هب لي كمالَ الانقطاع إليك ،

وأنرْ أبصار قلوبنا بنور نظرها إليك ،

حتى تخرق أبصارُ القلوب حُجُبَ النور ،

فتصلّ إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقةً بعزّ قدسك »

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس محتويات الكتاب

٥	مقدمة
٩	الجهاد والمجاهد
١٠	المواجهة مدرسة صنع الإنسان
١٢	ثواب المجاهد والمواجهة
١٧	شروط الجهاد وصفات المجاهد
١٨	شروط الجهاد والمجاهد
٢٤	أداء التكليف الشرعي أهم من الانتصار
٢٦	طاعة القيادة
٢٩	شروط النصر الإلهي
٢٩	أثر التفرقة في هدم المعنويات
٣٣	الرفق والرحمة
٣٥	وصف ابن أبي الحديد للإمام علي (ع)
٣٥	وصايا الرسول الأكرم (ص) لجند الإسلام
٣٦	التراحم والتعاطف فيما بينكم
٣٩	ساحة المواجهة نعمة
٤٠	الأخوة والاتحاد في ميادين الجهاد (القسم الأول)
٤٠	النزاع والفرقة وآثارهما
٤٤	الوحدة إحدى أعمدة الإسلام
٤٥	حقيقة ساحة المواجهة

٤٧	تحذير
٤٩	الأخوة والاتحاد في ميادين الجهاد (القسم الثاني)
٥٠	عوامل تقوية أو أضرار الأخوة
٥١	الغيبة في أحاديث أهل البيت
٥٣	الذنب وآثاره في المواجهة
٥٤	موقف
٥٦	التوكل
٥٩	حفظ الأسرار
٥٩	تنبيه ضروري
٦٠	التوكل في تبليغ الرسالات
٦٢	قصة من الصدر الأول للإسلام
٦٥	علاج العجب والغرور
٦٨	الإخلاص
٧٣	علائم الإخلاص
٧٦	معنى النصر والهزيمة
٨٠	شروط قبول الجهاد في سبيل الله
٨٠	التقوى السلبية والتقوى الإيجابية
٨٣	هو الله الذي يشري الأموال والأنفس . . .
٨٣	شروط قبول الجهاد في سبيل الله
٨٨	التقوى
٨٩	مراتب التقوى
٩٠	تبعات إهمال الفرائض الإلهية
٩١	الحرب والجهاد لإحياء دين الله
٩٢	صلاة الليل مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة
٩٣	صلاة الليل سلاح المؤمن
٩٥	الالتزام بالواجبات
٩٦	ثواب صلاة الجماعة

٩٨	اجتناب المحارم
١٠٣	تبعات تضييع حقوق الناس
١٠٥	حفظ بيت المال
١٠٥	قصة رجل من أهل الجنة
١٠٧	حساب المجاهد غير حساب غيره
١٠٨	قصة عن الورع عن محارم الله
١٠٩	قصة عن موقف الإمام علي (ع) تجاه بيت المال
١١٠	الخمس
١١١	التقصير والتهاون تجاه بيت المال
١١٢	طريقة التعامل الحكومي لأمر المؤمنين
١١٣	طعام أمير المؤمنين (ع)
١١٣	وصية الأمير لأحد ولاته
١١٦	الاحتياط في الأعمال
١٢١	وصايا الإمام الحسن (ع)
١٢٣	تجنب الإسراف والتبذير
١٢٤	سر انتصارات مسلمي صدر الإسلام
١٢٥	علامات الانغماس في حب الدنيا
١٢٩	منهج تربوي لأحد العلماء والربانيين
١٣١	الغفلة عن ذكر الله
١٣١	أسباب الغفلة عن ذكر الله
١٣٣	قصة من عصر صدر الإسلام
١٣٥	الغفلة وقسوة القلب
١٣٦	الآثار السيئة لقسوة القلب
١٣٧	الدعاء
١٤٦	علل حجب الدعاء
١٥٣	الارتباط بالله
١٥٤	الحرص على تلاوة القرآن

١٥٥	التوسل بالأئمة الأطهار
١٥٨	محاسبة الخاص غير العام
١٦٤	مسؤولية المجاهد أكبر
١٦٤	حفظ اللسان من الكلام الجارح
١٦٦	تعامل أفراد المجاهدين مع الناس
١٦٧	التعامل مع العلماء
١٦٨	النظافة وأهميتها
١٦٩	حديث مع القادة
١٧٠	نقاط هامة حول تربية وتهذيب النفس
١٧٣	التقوى عند القيادة
١٧٤	على القائد احترام جنده
١٧٥	الالتزام بالفرائض
١٧٥	صفات المجاهد في سبيل الله
١٧٦	الاحتياط ضروري في الأعمال
١٧٧	الحرص على المستحبات
١٨١	الفهرس